

النص الكامل
الطبعة الالكترونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

أَخَانَا كْرِيسْتِي

WWW.LILAS.COM

CHASSEY

مُغَامَرَةٌ كَعَكَّةُ الْعِيدِ
وقصص أخرى



الأجيال
للترجمة والنشر
AJSL Publishers



Agatha Christie



The Adventure of The Christmas Pudding

مغامرة كعكة العيد

في البداية تلقى بوارو تحذيراً بالابتعاد عن كعكة العيد. ما هو السر الغريب في تلك الكعكة؟

بعد ذلك يأتي الاكتشاف المثير لجثة في صندوق، ثم جريمة يُتَّهم فيها الشخص الخطأ، ثم تلك القضية الغريبة للميت الذي غيّر عادته في تناول الطعام، وأخيراً اللغز الغريب للمقتيل الذي رأى حادثة قتله في المنام!

سنة ألباز محيرة تواجه بوارو، لكنه لن يفشل في حل أي واحد منها.



هيركيول بوارو



رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر من كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها ألفي مليون نسخة!

www.LILAS.COM

الناشر وصاحب الحق الحصري
بالطبعة العربية في جميع أنحاء العالم



الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

CHASSEY

المحتويات

٤	مغامرة كعكة العيد
٦٧	نغز الصندوق الإسباني
١٢١	المضطهد
٢٢٢	أربعة وعشرون شحرواً
٢٤٧	الحلم
٢٨٧	جماعة غرينشو

قال السيد هيركيول بوارو: أنا آسف جداً!

ولكنه قوطع بشكل مهذب وبارع يخلو من التكلف: أرجو أن لا تتسرع بالرفض يا سيد بوارو إذ توجد قضايا حيوية تخص الدولة، وسوف تكون الأوساط العليا ممتنة لتعاونك.

لوح بوارو بيده قائلاً: هذا لطف كبير منك، ولكنني - فعلاً - لا أستطيع تولي الأمر في هذا الوقت من السنة...

قاطعته السيد جيزموند ثانية: فترة عيد الميلاد... وهل أجمل من فضائه على الطريقة القديمة في الريف الإنكليزي؟

ارتعش هيركيول بوارو الذي لم ترق له فكرة الريف الإنكليزي في مثل هذا الوقت من السنة، وعاد السيد جيزموند ليقره بقوله: عيد «بلاد على الطريقة القديمة»!

قال هيركيول بوارو: ولكنني لست إنكليزياً، وفي بلادي لا يحتفل بعيد الميلاد سوى الأطفال، أما نحن الكبار فنحتفل بعيد «أس السنة».

- آه، ولكن عيد الميلاد في إنكلترا تقليد عظيم، وأؤكد لك أنك ستشاهده على أفضل صورة في «كينغزليسي»، وهو منزل قديم رائع، حتى إن أحد أجنحته يعود إلى القرن الرابع عشر.

وارتعش يوارو مرة أخرى؛ فقد شعر ببخشية من ذكر المنازل الريفية القديمة، إذ أنه قد عانى كثيراً من منازل إنكلترا التاريخية تلك. نقل نظره باستحسان في أرجاء شقة المريحة المعاصرة المدفأة والمجهزة بأحدث وسائل الراحة، ثم قال بحزم: «إني لا أعادر لندن في الشتاء».

نظر جيزموند إلى زميله، ثم إلى يوارو وهو يقول: لا أعتقد أنك تقدر تماماً الأهمية الفائقة لهذه القضية يا سيد يوارو.

لم يكن الزائر الآخر قد نلّمه حتى الآن إلا بعبارته «تشرفنا» مهذباً ورسميةً، وقد جلس الآن محديقاً إلى حذائه اللامع وقد ارتسمت على وجهه علامات الامتعاض الشديد. كان شاباً لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره، وبدا واضحاً أنه في حالة بؤس شديد.

قال يوارو: نعم؛ بالطبع؛ إني أقدر خطورة القضية، ومشاعري القلبية مع صاحب السمو.

أجاب جيزموند: إن الموقف في غاية الدقة.

حوّل يوارو انتباهه من الشاب إلى زميله الأكبر سناً. لو أراد المرء أن يلخص السيد جيزموند بكلمة واحدة لكنت تلك الكلمة هي: «التحفظ». كان كل ما فيه متحفظاً؛ ملبسه المناسبة جيدة التفضيل، صوته العذب المصقول الذي لا يرتفع إلا نادراً عن التوتيرة المقبولة، شعره البني الفاتح الذي يرقى عند الصدين، ووجهه الشاحب الجاد.

بدا لهيركيول يوارو أنه قد تعرّف في حياته إلى عشرات من أمثال السيد جيزموند، وكانوا جميعاً يستعملون -في لحظة ما- العبارة نفسها: «الموقف في غاية الدقة».

قال يوارو: يمكن للشرطة أن يتولّوا القضية بكفاءة.

- لا ليس الشرطة، فاسترداد ال... حسناً، استرداد ما تريد استرداده يتطلب بالتأكيد إجراءات في المحاكم لا نرغب في خوضها، كما أننا لا نعرف إلا القليل من المعلومات. إننا نشك، ولكننا لا نعرف.

قال يوارو ثانية: إني معكم من كل قلبي.

وقد كان يوارو مخطئاً لو ظن أن مشاعره القلبية ستعني شيئاً لارتزبه، فقد كانا يريدان مساعدة عملية لا مشاعر قلبية.

عاد السير جيزموند لشرح محاسن عيد الميلاد الإنكليزي: إن الطراز الحقيقي لأعياد الميلاد التقليدية أعذب بالتلاشي كما تعلم؛ فالتناس يقضونه في الفنادق هذه الأيام. أما عيد الميلاد الإنكليزي، -تحت نجتمع العائلة كلها، والأطفال وهداياهم، وشجرة عيد الميلاد، «الديك الرومي، وكعكة الخوخ، ورجل الثلج عطف النافذة...

فقاطع هيركيول يوارو مشاكساً ومراعياً لدوامي الدقة: وكيف أصبح رجل ثلج وليس ثمة ثلج. لا أعتقد أنه يمكن شراء الثلج، حتى أنه - ميلاد إنكليزي.

قال السيد جيزموند: كنت أحدث صديقاً لي في مكتب الأرصاء... اليوم وأخبرني أنه من الأغلب حصول الثلج في عيد الميلاد.

أم يكن نقل هذه المعلومة في محله، فقد ارتعش هيركيول

بوارو بأشد مما ارتعش سابقاً وهو يقول: تلج في الريف؟ سيكون ذلك أسوأ، ولا سيما في بيت حجري وضخم وبارد.

- أبدأ؛ فقد تغيرت الأمور كثيراً في السنوات العشر الأخيرة، وتوجد الآن تدفئة مركزية تعمل بالوقود.

للمرة الأولى بدأ التردد يلوح على وجه بوارو وهو يتساءل: في «كينغزليسي» تدفئة مركزية؟

اغتنم السيد جيزموند الفرصة قائلاً: نعم؛ بالطبع، بالإضافة إلى شبكة واسعة للماء الساخن، وأنابيب تدفئة في كل غرفة، ثقب - يا عزيزي بوارو - بأن «كينغزليسي» هو الراحة ذاتها في فصل الشتاء، وربما وجدته أدفاً من اللزوم.

قال بوارو: غير معقول!

وبحذافة متمرسة استغل جيزموند هذا التقدم قائلاً وهو يضع ثقته في بوارو: أنت تدرك صعوبة المتاهة العويصة التي نتخبط فيها؟

هزّ بوارو رأسه، فالمشكلة لم تكن سهلة حقاً؛ فمئذ بضعة أسابيع وصل إلى لندن أمير شاب هو الابن الوحيد لأحد مهرجات الهند. وكانت بلاده تمر بفترة من الاستياء والقلق؛ فرغم ما يتمتع به والده من ولاء شعبي نتيجة محافظته على نمط حياته الشرقي إلا أن الرأي العام كان يشعر بالريبة نوعاً ما تجاه الابن، فقد كانت حماقاته ذات طابع غربي لا يلقى الاستحسان. وقد أعلنت حديثاً خطوبته لابنة عم له كانت حريصة على عدم إظهار أية عادات غربية في بلدها رغم دراستها في جامعة كامبريدج، وقد تم الإعلان عن موعد الزواج وقام الأمير الشاب برحلة إلى إنكلترا حاملاً معه بعضاً من جواهر أسرته

الشهيرة لكي يعهد لدار «كارتيه» بإعادة وضعها في قوالب عصرية. وكان من بين الجواهر ياقوتة مشهورة تُزعت من عقدها ذي الطراز القديم ووضعها صاغة «كارتيه» المشهورون في قالب جديد.

حتى ذلك الحين سارت الأمور بشكل طبيعي، ولكن بعد ذلك ظهر ما لم يكن متوقفاً؛ فقد كان من الطبيعي لشاب على هذه الدرجة من الغنى والنزوات أن يرتكب بعض حماقات، كان يهتّب صديقة عابرة مشيت معه في شارع بوند سواراً من الزمرد أو مشبكاً ثميناً لقاء الصحبة التي جمعت بينهما، وأن يعتبر ذلك طبيعياً ولكن الأمير كان أكثر طيشاً من ذلك؛ فبعد أن انتشى بإطراء السيدة واهتمامها أراها الياقوتة الشهيرة في قلبها الجديد، ثم زاد من حماقته فاستجاب لطلبها بأن تلبسها لسهرة واحدة فقط.

وكانت العاقبة سريعة ومؤلمة، فقد تركت المرأة طاولة عشائها لتجديد زيتتها، ومر الوقت ولم تعد، فقد غادرت المبنى من باب آخر واختفت منذ ذلك الحين. وكان الجانب المأساوي في الموضوع أن الياقوتة بقلبها الجديد قد اختفت معها.

هذه هي الحقائق التي كان من شأن إعلانها إثارة عواقب وخيمة؛ إذ لم تكن الياقوتة مجرد ياقوتة، بل كانت ملكاً تاريخياً ذا أهمية عظيمة في تلك المنطقة من البلاد، وكانت ملابس اختفائها تجعل أي إعلان غير ضروري عن تلك الملابس أمراً يمكن أن يؤدي إلى عواقب سياسية خطيرة جداً.

ما كان جيزموند بالرجل الذي يضع تلك الحقائق بشكل مبسط، فقد لفها بالكثير من الحشو والبهرجة. ولم يكن بوارو يعرف بالضبط من هو جيزموند. لقد قابل الكثير من أمثاله خلال عمله، ولم يكن

متأكداً مما إذا كان جيزموند يعمل في وزارة الداخلية أو الخارجية أو أي مكتب سري آخر من مكاتب الدولة، المهم أنه كان يعمل لحساب الحكومة وأن اليافوتة ينبغي أن تُستزود، وأن السيد بورو (كما أصر جيزموند برفق) هو الرجل الذي ينبغي أن يستردها.

قال بورو مذهأً: حسناً، ولكن معلوماتكم قليلة جداً. مقترحات وشكوك... وكل ذلك لا يكفي ليده التحقيق.

- دع عنك ذلك يا سيد بورو، فالمشكلة لا تستعصي على قدراتك بالتأكيد. هيا يا صاحبي!

كان ذلك تواضعاً زائفاً، فقد كان واضحاً من نبرة صوت بورو أن مجرد تعهده بمهمة يجعل التجاح مرادفاً لها.

قال جيزموند: إن الرجل ما يزال في مقتبل العمر، ومن المؤلم أن تقصد حياته كلها بسبب لحظة طيش عابرة.

نظر بورو بلطف إلى الشاب منكسر الخاطر وقال متشجعاً: إن الشباب هو وقت المحامات، ولو كان الأمير شاهياً عادياً لمر ذلك دون مشكلة؛ إذ يتولى الأب دفع التكاليف ويتولى محامي الأسرة حل جميع المشكلات وينتهي كل شيء بسلام. أما في وضع كوضعك فالأمر صعب بالفعل، فأتت على وشك الزواج...

قاطعته الشاب والكلمات تندفق منه لأول مرة: هذه هي المشكلة، هذه هي بالضبط؛ فخطيبي جادة كثيراً وتتعامل مع الحياة بجد كبير. الفضيحة هي المشكلة، فاليافوتة - كما تعلم - مشهورة جداً، ولها تاريخ طويل رافقه الكثير من سفك الدماء وسقط بسببها الكثير من القتلى!

نظر بورو بإمعان إلى جيزموند قائلاً: القتلى؟ أرجو أن لا يصل الأمر إلى هذه الدرجة!

قام جيزموند بحركة مضطربة أشبه بدجاجة أرادت وضع بيضة ثم غيرت رأيها، ثم قال بجد متفعل: لا، لا؛ من المستحيل أن تصل الأمور إلى هذا المستوى.

أجاب بورو: لا يمكنك أن تؤكد ذلك؛ فيصرف النظر عن الشخص الذي يحوز اليافوتة الآن فربما كان آخرون يسعون للحصول عليها. من الذي يمكنه أن يقاوم الإغراء يا صديقي؟

أجاب جيزموند بمزيد من الجدية المتفائلة: ما أظننا بحاجة إلى الدخول في افتراضات من هذا النوع، فهي غير مجدية.

أجاب بورو بجدية مفاجئة: أما أنا فأضع جميع الاحتمالات في الاعتبار، مثل السياسيين!

نظر جيزموند إليه بشك وهو يستجمع نفسه قائلاً: حسناً، فهل اعتبر الأمر عتياً إذن؟ هل ستذهب إلى «كنغزليسي»؟

تساءل بورو: وكيف سأبرز وجودي هناك؟

ابتسم جيزموند وأجاب بقلّة: أعتقد أن ترتيب ذلك مسألة سيرة. أؤكد لك أن الأمر سيبدو طبعياً تماماً، ومنجد آل «ليسي» ما راعين ومنعنين!

- ألم تخدعني بشأن التدفئة المركزية؟

أجاب جيزموند بشكل بدا معه متأثراً: أبدأ؛ أؤكد لك أنك... هناك كل وسائل الراحة.

تتمتع بوراو وهو يتذكر: "الرفاعة العصرية كلها"، ثم أضاف:
مواقف.

-٢-

كانت درجة الحرارة في غرفة استقبال كينغزليسي الكبيرة الثنين وعشرين درجة مئوية عندما جلس بوراو يتحدث إلى السيدة ليسي قرب إحدى التوافذ الكبيرة ذات الأعمدة الحجرية.

كانت السيدة ليسي تطلّز بالآبرة، ولم تكن تطلّز أشكالا نافرة أو زهوراً مزخرفة على الحرير، بل بدا أنها تشغل نفسها بمهمة تطريز حواشي لمناديل المائدة، وكانت تتكلم وهي تطلّز بصوت رقيق تأملٍ وجده بوراو رائعاً: أتلى أن تستمع بحفلة عيد الميلاد عندنا هنا يا سيد بوراو، فهي تقتصر على العائلة: حفيدتي وحفيدي وصديقه، ويريجيت ابنة أخي، وابنة العم ديانا، وصديق قديم هو ديفيد ويلورين. حفلة عائلية تماماً، وهو ما أعيرتني إيدونا موركام أنك تريد. حفلة عيد ميلاد تقليدية لن تجد شيئاً تقليدياً أكثر منها؛ فزوجي ما زال يعيش في الماضي تماماً، وهو يحب أن يرى كل شيء كما كان عندما كان صبياً في الثانية عشرة من عمره، وقد اعتاد على قضاء إجازاته هنا.

استمتعت لنفسها وأكملت: يريد كل شيء كما كان؛ شجرة عيد الميلاد والأكياس المعلقة وحساء المحار والديك الرومي... بل يريد ديكين روميين أحدهما مسلوق والآخر مشوي، وكعكة الخوخ التي يُخفي فيها الخاتم وزرّ العازب، وكل التفاصيل الأخرى. لم تعد الأمور كما كانت من قبل، ولكن زوجي يتوقع كل شيء؛ كل الحلويات القديمة، حلوى اللوز والزبيب والفواكه المجففة والزنجبيل... يا إلهي! أبدو وكأنني دليلٌ للأطعمة والحلويات!

- لقد أثرت شهيتي يا سيدي.

- أتوقع أننا سنصاب جميعاً بسوء هضم مربع مساء غد، فما من أحد اعتاد على أكل كل هذا في هذه الأيام.

قطعت حديثها بعضُ الصبيحات والفقهات العاليات خارج النافذة، فألقت بنظرة إلى الخارج وقالت: لا أدري ماذا يفعل هؤلاء في الخارج... ربما كانوا يلعبون لعبة ما. لقد كنت أخشى دائماً أن يشعر هؤلاء الغنيان بالملل من عيد الميلاد عندنا هنا، ولكن على العكس من ذلك؛ إن لابني وابنتي وأصدقائهما موقفاً مرتفعاً تجاه العيد؛ فهم يعتقدون بأنه هراء وهرج مبالغ فيه وأن من الأفضل قضاءه في فندق ما حيث يُمضون الوقت بالرفص والاحتفال، أما الجيل الأصغر فيجد عيدنا هنا مستمتعاً جداً.

سكنت السيدة ليسي قليلاً ثم مضت تقول: وبالإضافة إلى ذلك فإن فتيان وفتيات المدارس هم دائماً في حالة جوع، أليس كذلك؟ لا بد أنهم يحزمونهم بقدر ما يأكله ثلاثة رجال أشرار.

ضحك بوراو وقال: إنه لطف كبير منك ومن زوجك سيدي أن تسمحوا لي بالانضمام إلى حفلكم العائلي بهذه الطريقة.

- إن هذا من دواعي سرورنا بالتأكيد، وأرجو أن لا تُثني بالأى إذا وجدت هوراس فقط بعض الشيء، فهذه طريقته ليس إلا.

كان زوجها الكولونيل هوراس ليسي قد علّق على حضور بوراو قائلاً: لا أستطيع فهم السبب الذي جعلك ترغيبني في وجود أجنبي لعين يعكّر علينا عيدنا، لماذا لا يأتينا في وقت آخر؟ إنني لا أستطيع تحمّل الأجانب. حسناً، حسناً، لقد فرضته علينا إيدونا موركام.

ولكن ما علاقتها هي؟ بوذي لو أعرف لماذا لا تستضيفه هي في عيد الميلاد؟

وأجابته السيدة ليسي في حينها: لأنك تعلم جيداً أن إدوينا تذهب دوماً إلى حفلة آل كلاريدج.

نظر إليها زوجها نظرة تاقية وقال: أفتك تخطفين لشيء، أليس كذلك؟

قالت وقد فتمت عينها الزرقاوين: أخطط لشيء؟ طبعاً لا ولماذا أخطط؟

ضحك الكولونيل العجوز ضحكة عميقة مدوية وقال: إني لا أستبعد ذلك؛ فعندما تبدين في شابة البراعة لتكونين بصدد أمر ما.



بعد أن استعرضت السيدة ليسي تلك الأفكار في عقلها مضت إلى القول: لقد قالت إدوينا إن بإمكانك مساعدتها. لست متأكدة كيف ستساعدنا، ولكن إدوينا قالت إن بعض أصدقائك قد وجدك كفواً في مشكلة مثل مشكلتنا. ولكن، أنت لا تعرف عن أي شيء أنكلم.

نظر إليها بوارو مشجعاً. كانت في نحو السبعين من عمرها، منتصبية القامة كالرمح، لوذ شعرها كيباض الثلج، وردية الوجنتين زرقاء العينين ذات أنف مضحك وذقن ينم عن التصميم.

قال بوارو: إذا كان يوجد ما يمكنكني عمله فسأكون سعيداً بذلك. إنها قضية اتئان مؤسف لفئة شابة كما فهمت.

هزت السيدة ليسي رأسها بالإيجاب وقالت: نعم، ولكن يبدو من غير الطبيعي أن... أن أحدك عن ذلك؛ ففي النهاية أنت غريب تماماً.

أردف بوارو بتفهم: وأجيتي أيضاً.

قالت السيدة ليسي: نعم، ولكن من شأن ذلك أن يسهل الأمر على نحو ما. ومهما يكن فقد بدت إدوينا مقتنعة بأنك ربما تعلم شيئاً... حسناً، لنقل: شيئاً ذا فائدة عن ذلك الشاب ديزموند لي ورتلي.

انقطع بوارو لحققة من تفكيره لكي يعجب بإبداع السيد جيزموند؛ فقد استعمل السيدة موركام بسهولة ويسر لتحقيق أهدافه الخاصة، ثم عاد ليقول: ليس لهذا الشاب سمعة حسنة كما فهمت.

- بالطبع لست سمعته حسنة، بل إنها سيئة للغاية. ولكن ذلك لن يؤثر في علاقة سارة به، فمن غير المجدي أن تحذّر الفتيات من الرجال سيئي السمعة، بل إن ذلك سيرغبهن بهم أكثر.

- أنت محقة تماماً.

تابعت السيدة ليسي: في شباهي (وكان ذلك قبل وقت طويل جداً) اعتاد أهلنا أن يحذرونا من بعض الشباب، وكنا نتمنى لو نستطيع مراقبتهم أو الاختلاء بهم.

ضحكت ومضت قائللة: ولذلك لم أدع هوراس يعالج الأمر بمربته.

قال بوارو: أخبريني، ما الذي يملقك بالضبط؟

قالت السيدة ليسي: لقد قُتل ابنا في الحرب ثم ماتت زوجته الـ ١٦ ولادتها، فنشأت سارة بيننا وقمنا بتربيتها. وقد حرصنا على أن

تتمتع سارة دوماً بأكبر قدرٍ من الحرية، ولا أخري إن كنا على صواب في ذلك.

- ذلك هو الأنسب كما اعتقد، إذ لا يستطيع المرء السير بشكل يناقض روح العصر.

- هذا بالضبط ما كنت أعتقد. وبالطبع فإن الفتيات يُدشّن هنه الأيام على مثل هذه الأمور.

نظر يوارو إليها مستظهماً فقالت: دعني أخبر عن ذلك بالشكل التالي: لقد عاشت سارة حياة الطفلة الدنيا، فلم تحرص على أن تظهر بالمعظم اللائق بها اجتماعياً، بل أثرت -عوضاً عن ذلك- أن تعيش في بيت من غرفتين قرب النهر في تشيلسي وترتدي تلك الملابس المضحكة التي يلبسها شباب تلك الطبقة بجواربهم السميكة السوداء أو الخضر القاقمة، وراحت تمارس حياتها دون أن تغسل شعرها أو تمشطه!

- ذلك طبيعي تماماً، فتلك هي «الموضة» اليوم. وسيكبرون ويتزوجونها.

- نعم؛ أعلم ذلك، ولست قلقة من ذلك النوع من التصرفات، ولكننا التفتت بهذا المدعو ديزموند لي ورتلي (ذي السمعة البغيضة) الذي يعيش على خداع الفتيات الثريات، ويبدو أنهن يقعن في حيلته يحنون. لقد أوشك على الزواج بالأنسة هوب لولا أن أهلها لجؤوا إلى المحكمة ووضعوها تحت الوصاية، وهو ما يريد هوراس أن يفعله مع سارة لكي يحميها كما يقول. ولكنني لا أعتقد أن ذلك سيكون مجدياً يا سيد يوارو؛ إذ يمكن لهما أن يهربا إلى أيرلندا أو الأرجنتين ويتزوجا هناك غير أيّنين لوصاية المحكمة. فلماذا ما وُلد لهما

طفلاً فلا يملك المرء -إلا الإذعان للأمر الواقع والموافقة على الزواج، ثم يقع الطلاق بعد عام أو عامين (كما أراه يحصل عادة) ونأني الفتاة إلى بيتها لتتزوج بعد فترة تطول أو تقصر شخصاً طيباً إلى درجة البله وتستقر معه. وأعتقد أن المحزن في الأمر هو وجود طفل يُرعى في ظل زوج أم لا يمكن أن يعامله معاملة الأب مهما كان لطيفاً. ولعل ما كنا نفعله في شبانا أفضل بكثير من هذا المصير؛ إذ كنا نعتبر أن أول فتى تقع الفتاة في حبه هو دائماً غير ملائم! وأتذكر أنني كنت أحس بعواطف قوية تجاه شاب، شاب يُدعى... من الغريب أنني لا أذكر اسمه الأول، ولكنه من عائلة تيببت. وقد منعه والدي من زيارتنا، ولكنني كنت أرفض معه في الحفلات التي كنا نُدعى إليها. وكنا نهرب لتجلس سوياً، وأحياناً كان أصدقاؤنا ينظّمون رحلات فذهب معهم. وكان المرء يستمتع كثيراً بتلك اللقائم المنوعة، مع أننا لم نكن نذهب بعيداً في علاقاتنا كما تفعل فتيات اليوم. وبعد فترة احتضني السيد تيببت ليظهر بعد أربع سنوات، فهل تصدق -يا سيد يوارو- أنني دهشت عندما التقيت به بعد تلك السنوات وتساءلت: ما الذي أحيت فيه؟! فقد بدا لي شاباً بلهياً لا شكل له ولا منطق.

قال السيد يوارو بلهجة واعقة: يعتقد المرء دوماً أن إهام شبابه هي أجمل الأيام.

أجابته السيدة ليسي: أعلم أن كلامي مغلٍ وما كان لي أن أسجرك، ولكنني -على أية حال- لا أريد لسارة أن تتزوج ديزموند لي ورتلي وهي الفتاة الغالية عليّ. لقد جمعت العدالة بين سارة وديفيد دبلواين الموجود هنا، ولطالما أحبنا بعضهما البعض.

وفكرت السيدة ليسي قليلاً ثم قالت: حسناً، سأعترف لك

يا سيد يوارو- أنتي أنا نفسي أحيت ديزموند. طبعاً لا أعني أنتي
أحيته فعلاً بعقلي، بل شعرت بجاذبيته وعرفت أسباب تعلق سارة
به. ولكن لي من العمر والتجربة ما يجعلني أعرف أنه عديم الفائدة
تماماً، حتى ولو استنعت بصحته.

ثم أضافت بكآبة: مع أنني أعتقد أنه له بعض الصفات الحسنة،
فقد استأذن في إحضار أخته إلى هنا بعد أن أجرت عملية قاتلاً إن من
المحزن لها أن تقضي العبد في المستشفى. وقد تسأل إن كان في
إحضارها معه أي إزعاج لنا، كما تعهد بأن يقوم بنفسه بإيصال طعامها
إلى غرفتها والقيام بخدمتها. وأنا أعتقد أن هذا الموقف يحير موقفاً
لطيفاً منه، ما رأيك أنت يا سيد يوارو؟

قال يوارو وهو غارق في التفكير: موقفه يدل على مراعاة
لمشاعر الآخرين، وهو ما لا ينجم مع شخصيته.

- لا أدري، ولكن يمكن أن تكون للمرأة عواطف عائلية طيبة
في نفس الوقت الذي يمتن فيه سرقة فتاة غنية. وبالمناسبة، فإن
سارة متصبح غنية جداً، ليس بما ستركة لها من أموال (إذ إن معظم
أموالنا ستؤول مع هذا البيت إلى حفيدنا كولين)، ولكن والدة سارة
كانت غنية جداً وسوف تؤول ثروتها إلى سارة عندما تبلغ الحادية
والعشرين، وهي الآن في العشرين من عمرها. حسناً، أنا أعتقد أن
خوف ديزموند على أخته كان بالفعل موقفاً نبيلاً، كما أنه لم يخلق
لها مركزاً وهمياً مرموقاً، فهي تعمل طابخة اختزال في لندن كما أذكر.
وقد حافظ على وعده الطيب بإيصال الطعام إليها في أغلب الأحيان،
ولذلك فإن فيه بعض النقاط الجيدة كما أعتقد.

ثم أضافت السيدة ليسي بتصميم شديد: ولكنني -مع ذلك- لا
أريد لسارة أن تزوجه.

قال يوارو: بعد كل الذي سمعته وأخبرتني به فإنني أظن أن هذا
الزواج سيكون كارثة.

تساءلت السيدة ليسي: هل تظن أن بمقدورك أن تساعدنا بأية
وسيلة؟

أجاب يوارو: نعم، أظن أن هذا ممكن، ولكنني لا أريد أن
أعد بالكثير لأن أمثال ديزموند في عالمنا هذا أذكاء يا سيدتي. ولكن
لا تياسي، فوسع المرء أن يقوم بشيء ما تجاه هذا الأمر. وفي كل
الأحوال سأبذل قصارى جهدي، إن لم يكن لشيء فامتناً مني
لثقتكم بدعوتي لمتعة عيد الميلاد هذه.

ثم نظر حوله وأضاف: لأنه ليس من السهل الحصول على عيد
ميلاد جيد في هذه الأيام.

تهادت السيدة ليسي وانحنت إلى الأمام قائلة: هذا صحيح.
ولكن أتعلم ما الذي أحلم به وأتوق للحصول عليه يا سيد يوارو؟

- أخبرتني أنت يا سيدتي.

- ببساطة: أتوق إلى بيت صغير عصري تسهل إدارته يُبنى في
الحديقة هنا بمطبخ عصري تماماً ودون ممرات طويلة، بيت بسيط
ومريح أسكنه.

- إنها فكرة عملية جداً يا سيدتي.

- ولكنها صعبة التحقيق، فزوجي يشق هذا البيت والإقامة فيه
ولا يعاين إن كان غير مريح قليلاً أو كانت به بعض التوافر، وهو يكره

(بكل معنى الكلمة) السكن في بيت صغير عصري في الحديقة!

- إذن فأنت تُفخّين من أجل رغباته؟

- أنا لا أعتبرها تفضيحة يا سيد بوراو؛ فقد تزوجت هوراس فكان جيداً معي وأسعدني طول هذه السنين، وأنا أريد أن أسعد.

قال بوراو: مستعمرين في السكن هنا إذن؟

أجابت السيدة ليسي: إنه ليس سكناً مزعجاً إلى هذا الحد.

فاستدرك بوراو بسرعة: نعم، نعم، بل على العكس؛ إنه مريح جداً، كما أن التدفئة المركزية والماء الساخن عندكم من الأمور العظيمة.

- لقد أنفقتنا الكثير لنجعل مريحاً للسكن. لقد بعنا قطعة أرض جاهزة للاستصلاح (هكذا يستقونها، أليس كذلك؟)، وكانت بعيدة عن المنزل في الجانب الآخر من الحديقة لحسن الحظ. لقد كانت في الحقيقة قطعة أرض لا تسر الناظر، ولكننا حصلنا على ثمن جيد لها مكنتنا من إجراء كل التحسينات الممكنة في المنزل.

- وماذا بشأن الخدمة يا سيدتي؟

- آه، هذا أسهل مما تتوقع. لا يمكننا أن نتوقع الخدمة والرعاية التي كانت في السابق بالطبع، ولكن لدينا بعض الأشخاص الذين يأثرون من القرية، إذ تأتي امرأتان صباحاً لتحضير الغداء وغسل الأواني، وتأتي الخريجات للخدمة مساءً. توجد الكثيرات ممن يرغبن في القدوم للعمل بضع ساعات كل يوم. أما عيد الميلاد فمن حسن حظنا أن هريزني السيدة روس تأتي في كل عيد ميلاد، وهي طباعة رائعة من الدرجة الأولى تعاهدت قبل نحو عشر سنوات ولكنها تأتي

للمساعدة في المناسبات. كما يوجد عندنا العزيز بيفوريل أيضاً.

- التادل؟

- نعم؛ لقد تقاعد أيضاً، وهو يسكن في المنزل الصغير قرب الكوخ، ولكنه متعلق بنا ويصرّ على الحضور لخدمتنا في أعياد الميلاد. إنني أعافق فعلاً يا سيد بوراو أن يصيه مكرّوه؛ فهو طامع في السن وضعيف إلى حدٍّ أشعر معه بأنه لو حمل حملاً ثقيلاً فسيفقع، ولذلك فمن المولم مراقبته، خاصة وأن قلبه ليس على ما يرام وأخشى عليه من الإجهاد. ولكنني سأجرح مشاعره بعنف لو منعت من أن يأتي لخدمتنا. إنه يتنحى ويتألف مدمدماً عندما يرى حال أواني الشرب الفضية، وما إن يقضي ثلاثة أيام هنا حتى ترى تلك الأواني وقد عادت رائعة من جديد. إنه صديق مخلص وعزيز.

ابتسمت في وجه بوراو وقالت: عيد ميلاد أبيض أيضاً انظر، لقد بدأ الثلج بالتساقط، وما هم الأطفال قادمون. ينبغي أن أعزفك بهم يا سيد بوراو.

قدمت السيدة ليسي السيد بوراو إلى الغلامين، أولاً: كولين حفيدها التلميذ وصديقه ماينكل، وهما فيان لطفان مودبان في الخامسة عشرة من عمرهما، أحدهما أسمر والثاني أشقر. ثم قدمت لابنة صديقتها فانت الشعر الأسود والعمر المسائل والحيوية المتدفقة.

ثم قالت السيدة ليسي: وهذه حفيدتي سارة.

نظر بوراو إلى سارة بشيء من الاهتمام. بدت فتاةً جذابةً إلى حد ما، وبدا طبعها جسوراً ميالاً إلى التعدي، ولكنها كانت تُظهر حياءً حقيقياً لجدها.

- وهذا السيد لي ورتلي.

كان ديزموند لي ورتلي يرتدي سترة كتلك التي يرتديها صيادو السمك ويتطاولاً ضيقاً من الجينز الأسود، وكان شعره طويلاً ولا يمكن الحزم فيما إذا كان قد حلق ذقنه ذلك الصباح. وعلى العكس منه كان الشاب الذي قدمته السيدة ليسبي بعده، ديفيد ديلواين، جاداً وهادئاً باتسامته العذبة، ومدمناً - كما هو واضح - على الماء والصابون. وكان في المجموعة عضو آخر، فتاة جذابة ذات نظرات عميقة قُدّمت على أنها ديانا ميلتون.

بعد التعارف قُدّم لهم الشاي مع وجبة ضخمة من الكعك والحلوى والشعائر، وقد تمتع الصغار بحفلة الشاي تلك. أما الكولونيل ليسبي فقد انضم في النهاية معلقاً بتيرة غير ذات معنى: الشاي... نعم؛ أريد شايًا.

استلم كويه من يد زوجته وتناول قطعتي كعك، ثم ألقى نظرة مقبّية على ديزموند لي ورتلي قبل أن يجلس في أبعاد مقعد عنه.

كان الكولونيل رجلاً ضخماً كت الحاجبين ذا وجه أحمر لوّحت الشمس، وكان يمكن لمن يراه أن يخطئ فيحسبه مزارعاً لا مالكاً لهذا المكان كله.

قال الكولونيل: لقد بدأ الثلج بالهطول؛ سيكون عيد ميلاد أبيض. وانفضّ الجمع بعد جلسة الشاي.

قالت السيدة ليسبي ليوارو: أظن أنهم ذهبوا للعب بمسجلاتهم الآن؛ إنهم مغزومون بالألعاب التفتية، وهم فخورون بامتلاكها.

ثم نظرت بدلال إلى حفيدها وهو يغادر الغرفة. ولكن الغلامين وبربجيت اختاروا الذهاب إلى البحيرة ليروا إن كان الثلج هناك قد نشج بما يسمح بالترليج.

قال كولوين: أعتقد أنه كان بإمكاننا التريج هذا الصباح، ولكن هودغيتز العجوز لم يسمح لنا، فهو شديد الحذر كعادته دائماً.

وقالت ديانا ميلتون برقة: لنتمشّ قليلاً يا ديفيد.

تردد ديفيد ديلواين للحظات وهو ينظر إلى سارة ذات الشعر الأحمر وهي تلف مع ديزموند لي ورتلي ويدعاها على ذراعه وعيناها معلقتان بوجهه، ثم قال أخيراً: حسناً، لنتمشّ.

وسرعان ما وضعت ديانا يدعاها حول ذراعه ودارا نحو باب الحديقة. ثم قالت سارة بدورها: هل نخرج نحن أيضاً يا ديزموند؟ فالجو خافت جداً في المنزل.

أجاب ديزموند: ما لي وللمشي؟ سأحضر سيارتي للذهب إلى مقهى سيكلربور.

ترددت سارة قليلاً قبل أن تقول: لنذهب إلى مقهى وايت هارت في سوق ليدبوري؛ فذلك أفضل.

كان في نفس سارة الشمتزاز غريزي من ارتداد مقهى سيكلربور المحلي مع ديزموند، وإن لم تكن لتفكر ذلك مهما كلف الأمر؛ فلم يكن ارتداداً لتلك الحانة من تقلابد كينغزليسبي، ولم يحدث لئساء العزبة أن ذهبن إليها قط. وقد راود سارة شعورٌ غامض بأن ذهباها إليها سيكون بمثابة عدلان للكولونيل العجوز وزوجته (ولقد كان من شأن ديزموند - لو عرف ذلك - أن يقول: ولِمَ لا؟).

وفي لحظة سخط شعرت سارة أن عليها أن تخبره بأسباب رفضها إزعاج العجوزين؛ فلا يمكن للمرأة أن يزعم عجوزين غاليين كجدتها وجدتها العزيرة «إيم» ما لم يكن ذلك ضرورياً، فقد كانا في غاية اللطف حقاً إذ سمحا لها بممارسة حياتها الخاصة وقبلا لها أن تعيش في تشليسي كما تريد، حتى دون أن يفهما دوافعها. وقد كان هذا الموقف بتأثير من «إيم» بالطبع، إذ كان من شأن الجد أن يقيم الدنيا ويقعدها لو ترك الأمر إليه.

لم تكن عند سارة أية أوهام فيما يخص موقف جدتها. كانت دعوة ديزموند إلى كينغزليسي من عمل إيم لا من عمله، لقد كانت إيم عزيزة غالية دائماً.

وبينما كان ديزموند يحضر سيارته أطلقت سارة ثيابه على غرفة الجلوس وقالت: نحن ذاهبان إلى سوق ليدبوري، إلى مفهى وابت هارت.

كان في صوتها أثر قليل من التحدي، ولكن لم يتد أن السيدة انتهت إليه عندما أجابت: حسناً يا عزيزتي؛ هذا رائع. وما هما ديفيد وديانا قد خرجا معاً بتمشيان. كم يسعدني ذلك! لقد كانت دعوة ديانا إلى هنا فكرة بارعة مني في الواقع، فمن المحزن أن تترقّل وهي شابة لم تتجاوز الثانية والعشرين، وإني لأرجو أن تزوج ثانية وبسرعة!

نظرت سارة إليها بحدة وقالت: ما الذي تخلفطين له يا جدتي؟

أجابت السيدة ليسي بمرح: إنها عظمي الصغيرة، فأنا أعتقد أن ديانا مناسبة تماماً لديفيد. إنني أدرك -بالطبع- أنه كان متعلقاً بك أنت يا عزيزتي، ولكنك لم تعودي بحاجة إليه. لا أريده أن يلقى حزناً، وأعتقد أن ديانا مناسبة تماماً.

قالت سارة: يا لك من عخابة!

فأجابتها: أعلم ذلك، العجائز كلهن هكذا، وأرى أن ديانا قد أصبحت متحمسة له بالفعل. ألا تشعرين أنها ستكون مناسبة له؟

قالت سارة: لا أظن، فأنا أشعر أن ديانا الفعالية تماماً وحادثة الثراء، وأظن أن ديفيد سيجدتها مملّة جداً بعد الزواج.

قالت ليسي: حسناً، سرتي. ولكنك لا تريدته أنت، اليس كذلك يا عزيزتي؟

أجابت سارة بسرعة: «بالتأكيد». ثم أضافت فجأة: أنت تحبين ديزموند يا جدتي... اليس كذلك؟

- أنا متأكدة أنه لطيف جداً.

- لكن جدي لا يحبه.

- لا يمكنك انتظار ذلك منه، ولكن يمكنك القول إنه سيغير. إنه يبرور الزمن. أرجو أن لا تصغطي عليه يا عزيزتي؛ فكيار السن مليون جداً في تغيير قناعاتهم وجدّك رجلٌ عيب.

- لا يهمني ما يقوله جدي أو ما يفكر فيه، وسألتزوج ديزموند يوماً نشاء!

أعرف ذلك يا عزيزتي. ولكن حاولي معالجة الأمر بواقعية؛

- ساع جديك أن يثير كثيراً من المتاعب كما تعلمين، وأنت ما تزالين
- سن الرشد. بعد عام واحد تستطيعين التصرف كما يحلو لك،
- أرفع أن يهزّ هوراس موقفه قبل مرور هذا الوقت.

ألت سارة ذراعها حول عنق جدتها وقيلتها بشغف وهي

تقول: إنك تغفبن معي يا حبيتي، أليس كذلك؟

- أنا أريدك أن تكوني سعيدة، أه، ها هو فاك قد أحضر سيارته.
أتدريين؟ إنني أحب هذه البناتيل الضيقة التي يلبسها الشباب هذه
الأيام فهي تظهرهم أنيقين للغاية، ولو أنها تفسدكم الخلف طبعاً!

فكرت سارة بأن ديزموند أحسن فعلاً وأن سابقه مثوثنان إلى
الداخل. إنها لم تنتبه إلى ذلك من قبل!

ودعتها السيدة ليسي قائلة: اذهبي وتشمي بوقك يا عزيزتي.

واقبنا وهي تتوجه إلى السيارة، ثم تذكرت ضيفها الأجنبي
فذهبت إلى المكتبة بحثاً عنه. وهناك وجدت هيركيول يوارو مستمتعاً
بإغفاءة قصيرة، فاستمت ومفت عبر الصالة إلى المطبخ للتداول
مع السيدة روس.

• • •

عند السيارة ابتدر ديزموند سارة بقوله: بسرعة يا عزيزتي. هل
غضب أمهلك لأنك ستذهبين معي إلى المقهى؟ إنهم يتسبون إلى
عصور قديمة!

قالت سارة بحدّة وهي تدخل السيارة: بل هم لم يقولوا شيئاً.

- وما سبب وجود هذا الغريب هنا؟ أليس من رجال التحري؟
عن أي شيء جاء ينحري هنا؟

- إنه لم يأت لأسباب مهنية، بل إن جدي إدوين موركام هي التي
طلبت منا استضافته، وأظن أنه قد تقاعد من مهنته منذ زمن طويل.

- إنه يبدو مثل حصانٍ عربيٍّ عجوزٍ عليل!

- أظنه أراد أن يشهد حفل عيد ميلاد إنكليزي على الطريقة التقليدية.

ضحك ديزموند بازدهاء قائلاً: يوجد الكثير مما يثير الغيابة في
مثل هذا العيد. لا أدري كيف تتحملين ذلك!

تلبّخت ذكّن سارة العدوانية وهي تقول بتحد: إنني أشجع به.

- غير معقول يا عزيزتي. دعينا نوقف هذا العث غداً ونذهب
إلى سكاربورو أو أي مكانٍ آخر.

- لا يمكنكِ فعل ذلك.

- ولم لا؟

- لأنه يجرح مشاعرهم.

- هذا هراء! إنك لا تلتفتين إلى هذه المشاعر الطفولية السخيفة.

- ربما لم يكن الأمر كذلك، ولكن...

سكنت سارة، فقد أدركت وهي تشعر بالذنب أنها طالما
انتظرت بشوق حفلة عيد الميلاد، ولكن الاعتراف بذلك لديزموند
دان محرراً لها، فهو لم يكن ينتظر منها أن تتنعم بعيد الميلاد وبالحيارة
العائلية. تمتت للحظة لو أن ديزموند لم يأت هنا في عيد الميلاد، بل
نمتت لو أنه لم يأت إلى هنا البتة. لقد كانت رؤيتها لديزموند في لندن
أكثر متعة من رؤيتها له هنا في بيتنا.

• • •

في هذه الأثناء كان الغلامان ومعهما برهجت عاتدين من

البحيرة وهم في نقاش ساخن حول مشكلات التزلج. كانت قطع الثلج تتساقط، وكان يمكن للمرء أن يتنبأ -بمجرد النظر إلى السماء- بقرب حدوث عاصفة ثلجية قوية.

قال كولين: سيستمر هطول الثلج طوال الليل، وأراهن أنه سيكون بارتفاع قدمين مع صباح العيد.

كان هذا التوقع مفرحاً، فقال مايكل: فلنصنع رجل ثلج إذن.

علق كولين بقوله: يا إلهي! إنني لم أصنع رجل ثلج منذ أمد طويل، ربما منذ كنت في الرابعة من عمري.

قالت بريجيت: لا أظن أن من السهل صنعه، أعني أنه ينبغي معرفة الطريقة.

قال كولين: يمكننا أن نصنع تمثالاً للسيد بوارو ونضع له شارباً كبيراً أسود. يوجد شاربٌ في صندوق الزينة.

فكر مايكل قليلاً ثم قال: لا أدري كيف أصبح السيد بوارو محققاً؛ فأنا لا أظنه قادراً أبداً على التخفي!

أضافت بريجيت: صحيح، ولا يمكن للمرء أن يتخيله راكضاً بمنظاره باحثاً عن طُرف خيط أو متفحصاً آثار أقدام.

قال كولين: عندي فكرة. لماذا لا نرتب له تمثيلية؟

بريجيت: ماذا تعني بتمثيلية؟

كولين: نرتب له جريمة قتل.

بريجيت: فكرة رائعة! أتعني وضع جثة في الثلج أو شيئاً

كهذا؟

كولين: نعم؛ إن ذلك سيسليه.

قهقهت بريجيت قائلة: أشك في قدرتي على القيام بهذه المزحة الثقيلة.

كولين: إذا استمر الثلج في السقوط فستكون لدينا خلفية مثالية للمشهد؛ جثة وآثار أقدام. سيكون علينا الإعداد لذلك بعناية، وعلينا سرقة أحد خناجر جدي وصنع بعض الدم.

توقفوا قليلاً، ثم دخلوا في نقاش مثير دون انتباه إلى الثلج الذي تسارع هطوله.

كولين: توجد في غرفة الدراسة القديمة علبة أصباغ، ويمكننا أن نمزج بعضها بلون الدم. أظن أنه الأرجواني مع القرمزي.

بريجيت: أظن أن الأرجواني مع القرمزي زائد الحمرة، ينبغي أن يميل اللون نحو البني قليلاً.

مايكل: ومن سيكون الجثة؟

بريجيت: أنا سأكون الجثة.

كولين: لا؛ اسمعي، إنها فكرتي.

بريجيت: لا، لا، بل أنا؛ فالجثة ينبغي أن تكون جثة فتاة، إنها أكثر إثارة. فتاة جميلة تتمدد ميتة على الثلج.

صاح مايكل ساخراً: فتاة جميلة؟ آهاه!

بريجيت: ولي شعر أسود أيضاً.

مايكل: وما علاقة الشعر بذلك؟

بريجيت: إنه يبدو أكثر وضوحاً وقوفاً فوق الثلج، وسأرتدي ستري الحمراء أيضاً.

مايكل: السترة الحمراء لن تظهر عليها آثار الدماء.

بريجيت: ولكنها ستبدو مثيرة جداً فوق الثلج، كما أن أقدامها بيضاء ويمكن تلطيفها بالدماء. أليست تلك فكرة رائعة؟ ولكن هل نعتقد أنها مستطلي عليه؟

مايكل: نعم، إذا أحسنا إعدادهما. ستضع أثر أقدامك على الثلج وأثر أقدام شخص آخر يذهب إلى الجثة ويعود من عندها، أثر أقدام رجل بالطبع. وسبحرس يوارو على عدم إفساد آثار الأقدام، وبالتالي فلن يعلم أنك لست ميتة حقاً. ولكن ألا نعتقدان...؟

توقف مايكل وقد داهمته فكرة مفاجئة بينما تطلع إليه الأخران، ثم أكمل: ألا نعتقدان أن اللعبة مسترجعه؟

بريجيت: لا أعترض ذلك، بل أنا متأكدة أنه سيفهم أننا ما قمنا بها إلا لتسليته، أي من قبيل تسلييات العيد.

فكر كولين قليلاً وقال: أظن أن علينا أن لا نقوم بذلك يوم العيد، فهذه المزحة لن تعجب جدي كثيراً.

بريجيت: في اليوم التالي إذن، «يوم الإهداء»؟

مايكل: نعم، سيكون «يوم الإهداء» مناسباً.

بريجيت: وهذا سيعطينا مزيداً من الوقت أيضاً، فقلدنا الكثير

١٠٠ بنيتي إعداده. لندخل الآن ونلقي نظرة على مستلزمات التمثيلية.

وأسرعوا بدخول المنزل.

-٣-

كان المساء حافلاً، فقد أحضر نبات الإيلكس بكميات كبيرة. أسبت شجرة الميلاد في زاوية غرفة الطعام وشرع الجميع بتزيينها.

تمتم ديزموند في أذن سارة بسخرية: لم أتخيل أن عادات بالية كهذه ما زالت مستمرة.

أجابته مدافعة عن تاليفها: لقد اعتدنا القيام بذلك.

- يا للسبب الوجه!

- آه، لا تكن مزعجاً، إن هذا متبع.

- عزيزتي سارة، لا أكاد أصدق ذلك!

- حسناً، ربما لا يكون الأمر هكذا بالضبط، ولكنني أحبها أسبباً.

سألت السيدة ليسي وقد بلغت الساعة الثانية عشرة إلا ثلثاً: لقد «ان وقت النوم، أليس كذلك؟ من يريد القيام مبكراً في الغد لفتح الجوارب المحشوة بهدايا العيد؟

أجاب ديزموند: لست أنا، تعالي يا سارة.

أسمك بيدها وقادها إلى المكتبة حيث جهاز التسجيل وهو «دد: لكل شيء حدود! الجوارب المحشوة بهدايا العيد!؟

قلت سارة: نعم، وماذا في ذلك؟

لما أغلب أفراد المجموعة فقد تهبوا للذهاب إلى النوم ترافقهم ضحكاتهم وأصواتهم العالية، ثم ثلاث ضحكاتهم وهم يتعدون.

قالت السيدة ليسي: الصغار يحون هذا التقليد.

رآه زوجها قائلًا: ولكن سارة وصاحبها لا يحانه.

- أعتقد أنك مخطئ في هذه اللحظة يا عزيزي، فسارة تحبه ولكنها لا ترغب في قول ذلك.

- ما أشد حيرتي من اهتمامها برأي هذا الفتى!

قالت السيدة ليسي: إنها ما تزال صغيرة. ثم التفتت إلى يوارو وسألته: سيد يوارو، هل ستنام؟ أمضى لك ليلة سعيدة وتوماً هانئاً.

قال يوارو: وأنت يا سيدتي، ألسنت ذاعبة إلى النوم؟

- ليس الآن، علمي أن أملاً جوارب الصغار بالهدايا. صحيح أنهم لم يعودوا أطفالاً، ولكنهم يحون هذا التقليد. إننا نضع لهم أشياء صغيرة مضحكة تثير لديهم كثيراً من المتعة.

يوارو: أهتلك يا سيدتي، فأنت تجهدين نفسك لتجعلي البيت سعيداً في العيد.

ولمّا انصرف يوارو علّق الكولونيل ليسي بقلوله: ها... يا له من رجل منق الكلام! لكنه يحترمك.

دخل هيركيول يوارو غرفة نومه الفسيحة المزودة بالتدفئة، وبينما كان يتجه إلى سريره الضخم لاحظ طرفاً على الوسادة. فتح الظرف وأخرج منه قصاصة ورق عليها رسالة كتبت بالخطراب

..أعرف كبيرة: «لا تأكل شيئاً من كعكة الخوخ... التوقيع: شخص»
..أولئك الخيرة»

حذف هيركيول يوارو بالورقة وقد ارتفع حاجباه وهو يتنهم: لغز
..سب، ومفاجئ تماماً!

-٤-

في الثانية ظهرًا بدأت وليمة العيد، وكانت احتفالاً حقيقياً.
..ألت طفلقة جذوع الشجر الضخمة في المدفأة الواسعة، وتعالى
..بها لفظ الألسنة التي كانت تتكلم في وقت واحد، وشرب حساء
..الحار كله وجيء بدبكين روميين ضخمين فعادوا إلى المطبخ هيكلين
..من العظم... والأمان حانت اللحظة الحاسمة، ونهات كعكة العيد
..سجدة بجلال تنتظر إلقاء النظرة الأخيرة قبل دفتها! ولم يسمح بغيريل
..المجوز الذي ترتعش يده وركبته تحت وطأة ثمانين عاماً لأحد سواء
..أن يحملها، تاركاً السيدة ليسي تجلس وهي تضغط على قلبها خوفاً
..مخافاً، إذ كانت على يقين من أن بغيريل سيقع ميتاً في أحد أعياد
..البلاد. لم يكن أمامها سوى خيارين اثنين: إما أن تخاطر بتركه يقع
..بأبواباً ما، وإما أن تمنعه من العمل وتؤدي بذلك مشاهره لدرجة
..عمله بفضيل الموت على الحياة. وقد أثرت الخيار الأول حتى الآن.

وقدأت الكعكة بسلام على طبق فضي مثل كرة قدم ضخمة
..عذ غرز فيها عرق من نبتة الإيلاكس كروية النصر، وارتفعت حولها
..الشموع بلهبها المنموج، وتعالمت صيحات الفرح والاستحسان.

استطاعت السيدة ليسي أن تنقع بغيريل بوضع الكعكة أمامها
..بحيث تتولى هي تقديمها بدل دورته بها على الحضور حول الطاولة،

وتنفت الصدءاء عندما استقرت الكعكة سليمة أمامها، وسرعان ما
توزعت الأطباق فيما كان لهب الشموع يلمح أطراف الكعكة.

صاحت بريجيت: تمن أمتية يا سيد بورو قبل أن تُطفئ الشموع.
وأنت يا جدتي الغالية، بسرعة.

استندت السيدة ليسي ظهرها إلى الخلف بارتياح، فقد نجحت
«عملية الكعكة» واستقرت أمام كل واحد حصته التي ما تزال النار
تلوحها، وساد الصمت للحظة حول المائدة فيما كان الجميع يتعمون
أمنياتهم بعمق.

لم يكن أحدٌ لينتبه إلى التعبير القسولي على وجه السيد بورو
وهو يتفحص حصته من الكعكة على طبقه، وتذكر التحذير: «لا تأكل
شيئاً من كعكة الخوخ». ماذا يعني هذا التحذير المشؤوم؟ ليس ثمة
في حصته من الكعكة ما يختلف عن حصص الآخرين! تناول ملعقته
وشوكة وهو يتنهد معترفاً لنفسه بارتياحه وحيوته، وهو الذي لا يحب
أهدأ الاعتراف بالحيرة والارتباك.

- أتريد بعض الصلصة الجامدة يا سيد بورو؟

تناول بورو بامتنان صلصة جامدة.

قال الكولونيل ليسي: إن عيد الميلاد لا يأتي إلا مرة في كل
عام، والسيدة روس امرأة عظيمة وطباخة عظيمة أيضاً.

قال كولبن وهو يضع قطعة كبيرة في فمه: حقاً إنها كذلك، إنها
كعكة غوخ رائعة، هممم!

هاجم هيركيول بورو حصته من الكعكة بلطف ولكن بنشاط.

تناول لقمة أولى فكانت للبلدة، ثم تناول لقمة أخرى، ولكن شيئاً ما
رد على طبقه. تفحصه بالشوكة تساعده في ذلك بريجيت الجالسة
من يساره.

قالت بريجيت: حصلت على شيء يا سيد بورو. ترى ما هو؟

عزل بورو شيئاً ضيقاً صغيراً من الحطوى العالقة به، فهضت
«بجيت ميتهجة: آه، إنه لزر العازب! زر العازب من نصيب السيد
بورو!

غمس هيركيول بورو الزر الفضي الصغير في كأس الماء قرب
ساعده ونظفه مما علق به قاتلاً: إنه رائع جداً!

وتبرع كولبن بالشرح قاتلاً: هذا يعني أنك ستبقى عازباً يا سيد
بورو.

قال بورو: هذا طبيعي؛ فقد بلغت هذه السن المتقدمة وأنا
عازب، وما أقضي سأعمر هذا الوضع الآن.

فرآ مايكل: لا تيأس؛ فقد قرأت في الصحيفة أن رجلاً في
السادسة والتسعين قد تزوج فتاة في الثانية والعشرين من عمرها.

قال بورو: هذا تشجيع جيد.

فجأة هتف السيد ليسي وقد احمر وجهه وامتلدت يده إلى فمه:
«هذا يا إيم؟ كيف تدعين الطاعية تضع زجاجاً في الكعكة؟!

صاحت السيدة ليسي باستغراب: «زجاج؟» فيما كان الكولونيل
يرجح من فمه القطعة التي أزعجته مدمدماً: كادت أن تكسر سني،
ولو أنها لسببت لي التهاباً في الزائدة.

أدخل القطعة في كأس الماء ونظفها ثم نظر إليها وهنفت:
يا إلهي! حجرٌ أحمر من أحجار الحلبي الزائفة.

- هل يمكن أن أراه؟

مد السيد بوارو يده برشاقة فوق الجالسين وأخذ الحجر من الكولونيل ليسي وتحصه بدقة. كان حجراً ضخماً أحمر كما وصفه المضيف، بلون الياقوت.

للآلات الأضواء من جنباته عندما قلبه بوارو، وفجأة ترحح أحد الكرسي حول المائدة.

صاح ماكل: آه، الأقرب أن يكون حجراً حقيقياً.

بريجيت: ربما كان حقيقياً.

ماكل: لا تكوني حمقاء يا بريجيت، فياقوتة بهذا الحجم تساوي آلاف الجنيهات. أليس كذلك يا سيد بوارو؟

بوارو: بلى! بالتأكيد.

السيدة ليسي: ولكنني لا أفهم كيف وصل هذا الحجر إلى الكعكة.

قال كولين وقد أنهاه ما وجده في قمته: آه، الخنزير من نصيبي! هذا ليس عدلاً.

بدأت بريجيت تهنئ على الفور: الخنزير من نصيب كولين، فكولين هو الخنزير الشره إذن.

قالت ديانا بصوت عال: الخاتم من نصيبي.

ماكل: جيد! هذا يعني أنك ستزوجين قبلنا جميعاً.

بريجيت: وأنا حصلت على الكشيان.

أنشد الصبيان: متصيح بريجيت عجوزاً عائساً، متصيح عجوزاً
بائساً.

سأل دينيد: ومن منكم وجد الثور؟ في الكعكة قطعة نقدية
- ثرة ثلاث ذعية كما أخبرتني السيدة روس. من وجدها؟

قال ديزموند: أحسب أنني أنا صاحب الحظ.

همس الكولونيل ليسي بصوت سمعه الشخصان الجالسان إلى
بوارو: نعم، ستكون محظوظاً.

قال دينيد: "وأنا وجدت خانماً أيضاً". ثم أضاف وهو ينظر إلى
ديانا: يا لها من مصادفة، أليس كذلك؟

واستمر الضحك، ولم ينته أحد إلى السيد بوارو الذي دس
الحجر الأحمر في جيبه بلا مبالاة وكأنه ينكر في شيء آخر.

تتابعت الفطائر والحلوى بعد كعكة العيد، ثم نهض الكبار إلى
مرهم للقبولة قبل جلسة الشاي حيث نساء شجرة العيد. أما بوارو

فأم بتوجه إلى القبولة بل توجه إلى المطبخ الضخم ذي الطراز القديم
حيث أجال نظره مشتتاً: هل لي أن أعرض العباخة على هذه الوجبة

الرائحة التي تناولناها؟

مضت دقيقة قبل أن تأتي السيدة روس بوقار لروزيه، وكانت ذات
سم ضخم ومفتول كأنه جسم دوقة في عرض مسرحي. وفي غرفة

الغسيل كانت امرأتان هزيلتان تغسلان الأواني، بينما تنظف امرأة أخرى
تأعامة الشعر بين غرفة الغسيل والمطبخ. وبدا واضحاً أن النسوة الثلاث
كُن مجرد توابع وأن السيدة روس هي الأميرة الفعلية لركن المطبخ.

قالت السيدة روس بتعجب: يسرني أن الطعام قد أعجبك يا سيدي.

صاح يوارو: وأي إعجاب!

ثم رفع يده إلى شفتيه في إشارة أجنبية منقطة وقبّلها ونفخ القبلة
إلى السقف قائلاً: إنك عبقرية يا سيدي روس. لم أتذوق أبداً وجبة
كهذه؛ لقد كان حساء المحار رائعاً وحشوة الكستناء في الدبك
الرومي شيئاً فريداً لم أجريه من قبل.

أجابت السيدة روس بتعجبها المعتاد: من المدهش أن أسمع
ذلك منك يا سيدي، فقد أعددت تلك الحشوة بطريقة خاصة عشتي
إياها طبخ نسواي عملت معه منذ زمن بعيد، أما ما تبقى فكله أجدُّ
بالطريقة الإنكليزية البحتة.

قال يوارو: وهل يوجد أفضل من الطريقة الإنكليزية؟

- هذا من لطفك يا سيدي. ربما كنت تفضل الأسلوب الأوروبي
لأنك أجنبي، وأنا أستطيع أن أعد الأكلات الأوروبية أيضاً.

- أنا واثق من قدرتك على إعداد أي شيء يا سيدي روس،
ولكنني أقول لك: إن الطبخ الإنكليزي (وأتصد الإنكليزي الحقيقي،
لا ذلك الذي يقدم في فنادق ومطاعم الدرجة الثانية) محترم تماماً
من قبل خبراء الطبخ في أوروبا، وأعتقد أن بعض خاصة قد أوفدت
إلى لندن في بداية القرن الثامن عشر فكتبت تقريراً أرسلته إلى فرنسا
يتحدث عن روائع الكعكات الإنكليزية. وجاء في التقرير ما نصه:

*أس لدينا في فرنسا مثل هذه الكعكات، وإن تَذَوَّقِ النوع والجودة
من الكعكات الإنكليزية يستحق وحده القيام برحلة إلى لندن.

والتدفع يوارو يلقي بنشوة وحمامة قصيدة: وفوق كل الكعكات
أس كعكة الخوخ التي يقدمها الإنكليز في عيد الميلاد كذلك التي
أناها اليوم. لقد صُنعت في البيت ولم يتم شراؤها من السوق،
أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي. إنها من صنعِي، وبالطريقة نفسها التي أصنعها
ها منذ سنوات عديدة. عندما جئت إلى هنا قالت السيدة ليسي إنها
أثبتت كعكة جاهزة من أحد محلات لندن لتوفر عليّ التعب، فقلت
لها: لا يا سيدي، هذا لطف منك، ولكن كعكة السوق لا يمكن أن
تبادل كعكة العيد التي تصنعها في البيت.

ومضت السيدة روس تلتزم من موضوعها المفضل بحماسة
- زيادة لقنان قدير: لعلمك يا سيدي، لقد أعددت هذه الكعكة بأسرع
ما ينبغي عادة، فكعكة عيد الميلاد ينبغي أن تحضّر قبل بضعة أسابيع
وتترك، وكلما تَرَكْت أكثر (ضمن المعقول) كان ذلك أفضل. وكان
من المفترض أن يكون الأمر كذلك هذا العام، ولكن هذه الكعكة لم
تحضّر إلا قبل ثلاثة أيام، قبل يوم من حضورك يا سيدي. ومع ذلك
محد حافظت على التقليد القديم، حيث كان على كل فرد في البيت
أن يأتي إلى المطبخ ليمزج خليط الكعك ليلاً وينسئ أميناً. إنه تقليد
قديم - يا سيدي - وقد حافظت عليه دوماً.

قال يوارو: شيء منمتع ومثير للاهتمام... إذن فقد أتى الجميع
إلى المطبخ؟

- نعم يا سيدي! الشبان الصغيران والأسة بريجيت، والسيد القادم من لندن وأخته، والسيد ديفيد والأسة ديانا، كل منهم مزج خليط الكعكة قليلاً.

- كم كعكة صنعت يا سيدي؟ هذه فقط؟

- لا يا سيدي، لقد صنعت أربعاً: التين كبيرتين، والتين أصغر منهما، الكعكة الكبيرة الأخرى كنت أنوي تقديمها في عيد رأس السنة، أما الكعكتان الصغيرتان فقد أعددتهما للكولونيل والسيدة ليسي عندما يكونان وحدهما معاً بغياب بقية أفراد العائلة.

- نعم، نعم.

- وفي الحقيقة، فإن الكعكة التي أكلتموها على الغداء اليوم كانت الكعكة الخاطئة.

- الكعكة الخاطئة؟ كيف؟

- حسناً، لدينا - يا سيدي - قالب صيني ضخم لكعكة العيد يسمح بفتحها في الكعكة لوضع نبات الإيلكس، وعادة ما نسكب كعكة عيد الميلاد فيه، ولكن حدث في هذا الصباح حادث مؤسف جداً، إذ جاءت آني لتنزّل القالب عن الرف فانزلت قدمها فسقط القالب وانكسر. ولم أتمكن - طبعاً - من تقديم الكعكة التي كانت بداخله، فربما كان فيها بعض شظايا القالب. ولذلك اضطررنا إلى تقديم الكعكة الأخرى، كعكة عيد رأس السنة التي كانت في طبق منسبط. ورغم أن التفاح الكعكة كان جيداً إلا أنها لم تكن كاملة الزخرفة والزينة كما ينبغي لقالب عيد الميلاد. إنني لا أدري فعلاً أين يمكننا العثور على قالب مماثل، فهم لا يصنعون أشياء بهذا الحجم في

... الأيام. كل الأواني صغيرة جداً بحيث لا يمكنك شراء طبق ينسج
أ. من بيضات أو عشر للإفطار. لم تعد الأمور كما كانت من قبل!

قال يوارو: هذا صحيح، ولكن اليوم بخلاف، فقد كان يوم عيد
أ. هذا واحداً من الأيام الخوالي، أليس كذلك؟

نهدت السيدة روس قائلة: يسرني أنك تقول ذلك يا سيدي،
أ. ليس لا أجد اليوم المساعدة التي كنت أحصل عليها من قبل، أفضد
- أعدت فتيات ذوات خبرة؛ فتيات اليوم (وخفضت صوتها قليلاً
- من تقول ذلك) لسن مدربات رغم طيبتهن واستعدادهن للتعلم،
أ. لن نهنم ما أعتيه؟

- نعم، لقد تغير الزمن. أنا أيضاً أحزن لذلك أحياناً.

- إن هذا البيت كبير جداً بالنسبة لسيدي والكولونيل، وسيدي
عرف ذلك. وحياتهما فيه لم تعد كالسابق، إذ يعيشان في زاوية
أ. احدهما منه، والحيطة لا تدب في هذا البيت إلا في أعياد الميلاد حيث
- اجتماع العائلة كلها.

- اعتقد أنها المرة الأولى التي يأتي فيها السيد لي ورثي
- شقيقته إلى هنا؟

نسلت نبرة تحفظ بسيط إلى صوت السيدة روس وهي تجيب:
نعم يا سيدي، إنه شاب لطيف جداً ولكن... لنقل: إنه يبدو غير
- مناسب للأسة سارة حسب أفكارنا. ولكن، هناك في لندن، نخلف
الاعتبارات! حسناً، من المؤسف أن أخته مريضة. لقد أجرت عملية
فيما سمعت، وقد كانت صحتها جيدة في اليوم الأول لوصولها
إلى هنا، ولكنها التكتست في ذلك اليوم الذي كنا نعدّ فيه الكعكات

شُفِئت إلى السرير وبقيت فيه منذ ذلك الحين. أظن أنها خرجت من المستشفى قبل أن تتعافى تماماً، فأطباء اليوم يخرجونك من المستشفى قبل أن تتمكن من الوقوف على قدميك. إن زوجة ابن أخي...

ومضت السيدة روس في حديث طويل مفعم بالحماسة حول العلاج في المستشفيات الذي تمرض له أقرباؤها، مقارنَةً بالعناية التي كانت تُبذل للمرضى في العهود الخالية.

واسأها بورو بما يسر له من كلام ثم قال: بقي عليّ أن أشكرك على هذه الوجبة المنقحة الفاخرة، واسمحي لي بتعبير بسيط عن تقديري لهذا الجهد.

والتدست ورقة مطوية من فئة الخمسة جنيهات في يدها، فقالت بطريقة روتينية: أرجوك يا سيدي، لا تفعل.

- إنني مصرّ، لا بد من ذلك.

قبلت السيدة روس المبلغ كما لو أنه حقها قائلة: حسناً يا سيدي، إنه لطف بالغ منك. أتمنى لك عيد ميلاد سعيداً وعماماً جديداً موفقاً.

- ٥ -

كانت نهاية العيد كتهاية كل أعياد الميلاد، فقد أضيفت شجرة الميلاد وحيه بعدها بعشاء خفيف بارد. وأخيراً توجه بورو ومضيفه ومضيفته إلى النوم باكراً، فيما قالت السيدة ليسي: طابت ليلتك يا سيد بورو، أرجو أن تكون قد تمتعت بها.

- لقد كان يوماً رائعاً يا سيدي.

- ولكنك تبدو مستغرفاً في تفكيرك؟

- إن الكعكة الإنكليزية هي ما أفكر فيه.

سألت السيدة ليسي بملطف: أكانت ثقيلة على معدتك؟

- لا، لا. إنني لا أفكر في قابليتها للهضم، بل أتأمل في أميتها. إنها جزء من التقاليد فيما أرى.

- على كل حال طابت ليلتك، وأرجو أن لا تحلم كثيراً بكعك العيد وفتاوه.

دمدم بورو لنفسه وهو يتخ ملامحه: نعم، إن كعكة الخوخ تلك لمشكلة حقاً؛ ثمة شيء هنا لا ألهمه أبداً.

ثم هز رأسه بغيظ وقال: حسناً، سترى.

ذهب بورو إلى فراشه بعد إجراء بعض التحضيرات، ولكن ليس بهدف النوم.

لم يؤت صبره ثماره، إلا بعد ساعتين تقريباً، حيث فُتح باب غرفته بهدوء، فابتسم لنفسه؛ لقد جرت الأمور كما توقع لها. عاد بذاكرته إلى فنجان القهوة الذي قدمه إليه ديزموند لي ورنلي بكل لطف، وعندما أدار ديزموند ظهره وضع الفنجان على الطاولة ادقائق، ثم بدا أنه أخذه ثانية فيما كان ديزموند يشعر بالارتياح لرؤيته يشرب القهوة حتى آخر قطرة. ولكن ابتسامة صغيرة تراقصت على شارب بورو عندما فكر بأن الشخص الذي يخط في سبات عميق هذه الليلة ليس هو بل شخص آخر. قال بورو لنفسه: ديفيد ذلك الشاب اللطيف، قلق وحزين، وإن يؤذيه أن يخط في نوم عميق ليلية واحدة. لكن لئز ما سيحدث الآن.

جلس يوارو في فراشه قائلاً: نعم، هل هو شاي الصباح؟ هذا
أنا يا كولين، ما الذي حدث؟

وقف كولين صامتاً للحظات وقد بدا أنه تحت وطأة شعور
أثقل، ولكن ما أسكت كولين فعلاً كان منظر قلنسوة النوم التي
ارتداها هيركيول يوارو. وأخيراً استجمع كولين أنفاسه وقال: أظن
أنا سيد يوارو... هل لك أن تساعدنا؟ لقد حدث شيء فظيع!
- حدث شيء؟ ما هو؟

- إنها... إنها بريجيت، ملقاة على الثلج في الخارج. إنها ترفد
من حراك، ومن الأفضل أن تأتي وتلتفت بنفسك. إنني أرعد خوفاً،
ربما تكون قد ماتت!

فذف يوارو بأغطية سريرها هائلاً: ماذا؟ الأسة بريجيت، ماتت!
- أظن... أظن أن أسداً قتلها، فهناك دم... أرجوك أن تأتي!
- بالتأكيد، سأتي قوراً.

أدخل يوارو قدميه في حذائه وألقى معطفه فراه على كتفيه فوق
السيانما وهو يقول: ها أنا ذا قادم، قوراً. هل أخبرتما الآخرين.

- لا، لم أخبر جيرك حتى الآن، فقد ظننت أن ذلك أفضل،
لما أن جدي وجدني لم يستيقظ بعد. إن الخدم يحضرون الإفطار
من الأسفل ولكنني لم أخبر أحداً. إن بريجيت هناك في الجانب الآخر
البيت، قرب العتبة وشباك المكينة.

- حسناً، تقدّم وأرشدني إليها، سأتبعك.
دار كولين ليرشد يوارو مخفياً نكشيرة ابتهاج. نزلوا الدرج

بقي هادئاً يتنفس بانتظام موجياً بين القبة والأخرى بالشخير،
ولكن بأضعف درجات الإبهام. وتقدم الشخص إلى السرير والحنى
فوقه، وعندما افتتح بنوم يوارو ذهب إلى طاولة الزينة وفتش بمساعدة
مصباح صغير يحملته كل أمتعة يوارو المرئية بعناية فوقها. امتدت
الأصابع إلى المحفظة ثم أدرج الطاولة، ثم جيوب ثياب يوارو،
وأخيراً تقدم الزائر من السرير ودس يده بحذر شديد تحت الوسادة.
ثم سحب يده ووقف دقيقة أو دقيقتين كما لو أنه لا يعرف ما الذي
ينبغي عليه فعله الآن. دار في الغرفة باحثاً داخل أواني الزينة، ثم دخل
إلى حمام الغرفة ثم خرج منه، وبعدها خرج من الغرفة معتبراً بهيمة
خافته عن الشمتازة.

حدث يوارو نفسه من تحت أنفاسه: آه، لقد خاب أملك. نعم،
غيبه أمل حقيقي! كيف يخيل إليك أن هيركيول يوارو يمكن أن يخفي
شيئاً ثم تجده أنت؟!

ثم أدار ظهره وأخذ إلى النوم.

• • •

صباح يوارو صباح اليوم التالي على دقائق خفيفة على باب
غرفته.

- من هناك؟ ادخل، ادخل.

فُتح الباب ووقف على عتبة كولين لاهتاً أحمر الوجه وخلفه
مهاكل.

كولين: سيد يوارو، سيد يوارو!

وخرجوا من الباب الجنوبي. كان صباحاً صافياً لم ترتفع شمساً بعد، وقد توقفت الثلج عن التساقط، وإن يكن قد بدا واضحاً أنه تساقط بكثافة طول الليل لينسج سجادة من الثلج الكثيف لم تفسدها بعد أرجل العابرين أو حركة الحياة.

بدأت الطبيعة في غلبة النقاء والجمال، وأشار كولين بطريقة درامية مؤثرة وهو يهتف: هناك، هناك، إنها هناك.

كان المنظر درامياً حقاً، فعلى بعد بضعة أمتار كانت بريجيت ممددة على الثلج بسترها الحرراء وقد التفت شالاً صوفياً أبيض حول كتفها ملطخاً باللون القرمزي. كان رأسها موجهاً إلى الجهة الأخرى وجهها مغطى بشعرها الطويل الأسود، فيما استقرت إحدى يديها تحت جسمها واليد الأخرى ممدودة مطبقة الأصابع، ووسط البقع القرمزية انتصب مقبض خنجر معقوف كان الكولونيل ليسي قد عرضه على ضيقه في الليلة الماضية.

- يا إلهي! كأنه مشهد مسرحي!

صدر من مايكل صوت ضحكة مكتومة، وسرعان ما تدخل كولين ليتدارك الموقف. قال كولين: نعم، يبدو الأمر غير حقيقي نوعاً ما، ولكن هل ترى آثار الأقدام؟ ألا ينبغي أن نحافظ عليها؟

- نعم، آثار الأقدام، ينبغي الحرص على عدم إفسادها.

- هذا رأيي أيضاً، ولذلك لم أسمح بحضور أحد قبلك إلى هنا، فأنت تعرف ما الذي يتوجب فعله.

- لا فرق، ولكن علينا أن نرى إن كانت ما تزال على قيد الحياة، أليس كذلك؟

- بلى، طبعاً، ولكننا اعتدنا... أعني أننا لم نرغب في...

- نعم، لقد انصنمنا بالحصافة، فقد قرأنا القصص البوليسية. نعلمان أنه لا ينبغي لمس شيء في مسرح الجريمة وأن من الواجب ذلك الجثة كما هي. ولكننا غير متأكدين حتى الآن إن كانت بريجيت ممتدة فعلاً، أليس كذلك؟ صحيح أن الاحتراس مطلوب ولكن الاعتبارات الإنسانية تأتي أولاً، ويجب علينا أن نفكر بالطبيب قبل الشرطة، أليس كذلك؟

قال كولين وقد فوجئ قليلاً: بلى، بالطبع.

مايكل: لقد فكرنا أن من الأفضل أن نخبرك أنت أولاً.

يوارو: إن قفا هنا بينما أذهب أنا من الجانب الآخر كيلا أفسد آثار الأقدام هذه. إنها آثار ممتازة وواضحة، ما رأيكما؟ آثار أقدام رجل وقتلة ذهباً إلى حيث ترقد بريجيت، ثم عاد الرجل دون الفتاة.

قال كولين وهو يحس أنفاسه: لا شك أنها آثار أقدام القاتل.

يوارو: إنها كذلك بالطبع. آثار أقدام طويلة رفيعة ذات نوع خاص من الأحذية. إنها آثار واضحة يسهل تمييزها، وستكون في غاية الأهمية.

في هذه اللحظة خرج ديزموند لي ورتلي وسارة من المنزل انضماً إلى المجموعة. تساءل ديزموند بأسلوب مسرحي: ماذا يعملون هنا بريكيم؟ لقد رأيتمكم من نافذة غرفتي. ماذا هناك؟ يا إلهي! ماذا؟ كأنها...

- بالطبع، كأنها جريمة قتل، أليس كذلك؟

شهقت سارة ونظرت بسرعة وارتياب إلى الصبيين.

قال ديزموند: هل تعلمون أن شخصاً ما قتل هذه الفتاة... ما اسمها؟ بريجيت؟ ومنذا يهمه قتلها؟ مستحيل!

قال بوارو: كثير من المستحيلات يحدث، خاصة قبل الإفطار. هكذا يقول ترائكم: «سنة مستحيلات تقع قبل الإفطار»! أرجو أن تنتظروا هنا جميعاً.

دار بوارو بحذر واقترب من بريجيت وانحنى للحظة فوق جسدها فيما كان كولين ومايكل يهتزان بصحكما المكتوم، ودنت سارة منهما وتمتمت قائلة: ماذا فعلتما؟

همس كولين: هذه الشقية بريجيت، أليست رائعة؟ لم تأت بحركة!

همس مايكل: لم أر في حياتي أحداً أشبه بحال الميت من بريجيت.

نهض بوارو قائلاً: أمر فظيع!

بدت في صوته عاطفة لم تكن من قبل. دار مايكل وكولين وقد اهتزاً طرباً، وتساءل مايكل بصوت منخفض: ماذا نفعل الآن؟

قال بوارو: ليس أماننا ما نفعله سوى استدعاء الشرطة. هل يذهب أحدكم ليتصل بالشرطة أم تريدون أن أذهب أنا؟

قال كولين: حسناً، ما رأيك يا مايكل؟

مايكل: نعم، لقد انتهت اللعبة الآن.

ثم تقدم وهو يشعر -للمرة الأولى- بعدم الثقة بنفسه وقال: أنا اسفٌ جداً، أرجو أن لا تغضب، لقد كانت... حسناً، كانت نوعاً من... عات عيد الميلاد. لقد فكّرنا أن نمثل لك جريمة قتل.

- فكرتما أن تمثلا لي جريمة قتل؟ وهذا ال... وهذا...

قاطعته كولين شارحاً: إنه مجرد مشهد أعددناه لتسليتك به.

بوارو: آه، لقد فهمت. لقد أردتما أن تجعلاني مغفل الأول من... سان (أبريل)، أليس كذلك؟ ولكن اليوم ليس الأول من نيسان، إنه السادس والعشرون من كانون الأول (ديسمبر).

كولين: ربما لم يكن ذلك مناسباً، ولكن... لا أظنك تغضب من ذلك يا سيد بوارو. هيا يا بريجيت، انهضي، لا شك أنك قد... جئت.

غير أن الجسم الملقى في الثلج لم يتحرك.

نظر بوارو إليهما بإمعان وقال: الغريب أنها لا تسمعك كما... أأنتما متأكدان من أنها مجرد مزحة؟

أجاب كولين بامتعاض: طبعاً! إننا لم نقصد إيذاء أحد.

بوارو: فلماذا لا تنهض الأنسة بريجيت إذن؟

كولين: لا أرى سبباً لذلك.

صاحت سارة وقد نفذ صبرها: هيا يا بريجيت، قومي وكفك... صافقة.

قال كولين بقلق: إننا آسفان جداً بالفعل ونعتذر بصدق يا سيد... ار.

أجاب بورو بنبرة غامضة: لا حاجة لاعتذار كما.

حدّق كولوين قائلاً: ماذا تعني؟

ثم دار ثانية وصاح: بريجيت، بريجيت! ما الأمر؟ لماذا لا تنهض؟ لماذا تستمر متسدة هناك؟

أولاً بورو لديموند: أنت يا سيد ورتلي، تعال هنا.

اقرب ديزموند منه فقال بورو: افحص نيشها.

انحنى ديزموند وأمسك بمصمصها، ثم حدّق إلى بورو قائلاً: لا نيش لها، نيشها متوقّف. يا إلهي! إنها ميتة حقاً!

بورو: نعم ميتة، لقد قلب أحدهم الملهة إلى مأساة!

ديزموند: أحدهم؟ من؟

بورو: توجد هنا آثار أقدام ذهبت وعادت، وهذه الآثار تشبه إلى حد بعيد الآثار التي تركتها فدمك وأنت قادم إلى هنا يا سيد ورتلي.

صاح ديزموند: ماذا تعني؟ هل تنهمني؟ أنا؟ هل جنت؟! لماذا عساني أقلل هذه الفتاة؟

بورو: آه، لماذا؟ هذا ما يحيرني. دعنا نفكر.

انحنى بورو فوق الفتاة وفتح يدهو أصابع كفيها المتصلة، فشهق ديزموند وهو يحدّق إلى يدها غير مصدق ما يراه، فقد كانت في قبضة يدها ياقوتة كبيرة.

صاح ديزموند: إنها تلك اللطعة اللعينة التي كانت في الكمكة!

بورو: أأنت متأكد؟

قال ديزموند: "طبعاً، إنها هي بالتأكيد". وبحركة سريعة انحنى. أخذ الحجر الأحمر من كف بريجيت.

قال بورو مؤنباً: لا تفعل ذلك! فلا ينبغي العيب بأي شيء.

- أنا لم أعيب بالجنة، ولكن هذا الحجر دليل مهم وقد يضيع. المهم الآن أن نحضر الشرطة في أقرب وقت! سأذهب حالاً وأتصل
44

ثم دار وركض بسرعة نحو البيت فيما تقدمت سارة من بورو قائلة وقد شحب وجهها: إني لا أفهم شيئاً، لا أفهم شيئاً!

ثم أمسكت بلذراع بورو قائلة: ماذا فصدت من... من قصة آثار الأقدام؟

قال بورو: نظري بنفسك يا أسة.

كانت الآثار الموصلة إلى الجنة ذهبياً وإلياً هي نفسها الآثار التي تركها ديزموند وهو يرافق بورو إلى الجنة.

سارة: هل تعني أنه ديزموند؟ هراء!

وفجأة مزق السكون صوت سيارة متدفعة، وانفتحت بورو وسارة دعا ليشاهدتا سيارة تندفع بعنف في الطريق. وتمكنت سارة من ملاحظة أن سيارة كانت فصاحت قائلة: إنه ديزموند... هذه سيارة ديزموند. لا بد أنه قد ذهب لاستدعاء الشرطة بدلاً من أن يتصل بهم بالهاتف.

في تلك اللحظة خرجت ديانا من البيت وجاءت راكضة لتتضمّن

في هذه السن، وما كان ليلاحظ ما لم يُتَلَب منه ملاحظته!

دخل الجميع إلى غرفة الطعام وأخذوا مقاعدهم، وحين استلم كل منهم كوباً من القهوة أو من الشاي وشرع بارتشافه تكلم بورو نادلاً: إنني مضطر إلى إعادة سرد بعض الوقائع. لن أكون قادراً على تقديم كل التفاصيل ولكنني سأشرح الخطوط العريضة للموضوع، وهو يخص مهراجا هندياً صغيراً جاء إلى هذه البلاد ومعه جوهرة شهيرة كان سيقدمها هدية للفتاة التي سوف يتزوجها. ولكنه -لسوء الحظ- ارتبط قبل هذا الزواج بصدقة مع فتاة جميلة شابة، وهذه الفتاة لم تهتم حقيقة بالشاب بل اعتمدت بالجوهرة ذاتها، وبلغ من اهتمامها بها أنها قد اختفت ذات يوم ومعها الجوهرة التاريخية الثمينة التي امتلكتها عائلة المهراجا لأجيال عدة. وهكذا وقع المسكين الشاب في ورطة قضيعة كما ترون. وما كان ليحتمل الفضيحة بذهابه إلى الشرطة، ولذلك جاء إليّ إلى هيركيول بورو، مناشداً: استرجع لي تلك الجوهرة. حسناً، لقد كان لتلك الشابة التعوب صديق محتال قام بالكثير من الأعمال الإجرامية (مثل الابتزاز وبيع الجواهر المسروقة)، وقد حامت الشكوك حوله دوماً ولكن لم يمكن إثبات أي جرم عليه؛ فلقد كان على درجة عالية من الذكاء والدهاء. وقد بلغني أن صاحبنا، الشاب الذكي المحتال، قد جاء إلى هذا البيت لقضاء عطلة عيد الميلاد. وقد كان من الضروري لتلك الفتاة المحتالة أن تبعد عن الأضواء لبعض الوقت بعد استيلائها على الجوهرة حتى لا تتعرض للاستجواب والمسائلة، وهكذا رُتّب أمر قدومها إلى هذا البيت متظاهراً بأنها أخت ذلك المحتال.

شبهت سارة وصاحت: آه، لا، ليس هنا... ليس معي هنا!

قال بورو: بل هكذا تم الأمر. وسنأورة صغيرة أصبحت أنا

إلى المجموعة وهي تسأل بأنفس مقطوعة: ماذا حصل؟ لقد جاء ديزموند لتوه إلى البيت واكفأ، وقد ذكر شيئاً عن بريجيت وأنها قد قُتلت ثم هرع إلى الهاتف، ولكن الهاتف كان معطلاً فيما يبدو؛ فقد قال إنه لم يتلقَ أي رد مما حملة على القول بأن الأسلاك مقطوعة، وقد قال إن الطريقة الوحيدة للوصول إلى الشرطة هي في الذهاب بالسيارة إليهم. ولكن لماذا الشرطة؟

قام بورو بإشارة من يده فهفتت ديانا وهي تحدد إليه: بريجيت؟! ولكن بالتأكيد... أليست هذه مزحة من نوع ما؟ لقد سمعت في الليلة الماضية شيئاً، وقد حسبت أن الأولاد كانوا سيديرون لعبة لك يا سيد بورو.

قال بورو: نعم، لقد كانت تلك هي الفكرة؛ تدبير لعبة أُخدع بها. على أي حال، تعالوا الآن إلى البيت جميعاً قبل أن نموت هنا من البرد، فلا أرى ما يمكننا عمله قبل أن يأتي السيد ورنلي بالشرطة.

قال كولين: ولكن انظروا! لا يمكننا ترك بريجيت هنا بمفردها.

قال بورو بقلق كبير: لن يلبدها بقاء أي منا هنا. هيا معي؛ إنها لأسامة محزنة، محزنة جداً، ولكن لم يعد يوسعنا أن نصنع أي شيء لمساعدة الأيسة بريجيت. ولذلك تعالوا إلى الداخل لتندفأ وتشرب شيئاً من الشاي الحار أو القهوة الساخنة.

تبعه الجميع إلى البيت طائعين. وفي تلك اللحظة كان يفيريل على وشك فرج جرس الإفطار، ولقد بدا غريباً له أن يرى الكلب عائدتين من خارج البيت في هذا الوقت المبكر وأن يرى بورو بمعتق فوق ييجاست، ولكنه لم يعلق بأي شيء. لقد كان يفيريل ما يزال الخادم التودجي وهو

ألبساً ضيفاً هنا في عيد الميلاد. كانت تلك الشابة (التي يُفترض أنها قد غادرت المستشفى لئولها) قد بدت متعاقبة تماماً عندما وصلت هنا، ولكن عندما وصل غير قديمي أنا أيضاً (وأنا رجل نحرٌ معروف) أصابها -مباشرةً- ما أسميتوه انتكاسة. لقد أعقت الياقوتة في أقرب مكان عطر على بالها ثم انتكست فجأةً وخيلت إلى سريرها، فلم تكن تريد لي أن أراها لأن عدي -يلا شك- صورة لها وسأعرفها. صحيح أن ذلك كان ملاً لها، ولكنها اضطرت لملزمة الغرفة فيما كان أعوها المزعوم يأخذ لها الطعام.

سأل مايلك: وماذا عن الياقوتة؟

بورلو: أظن أنه في لحظة الإعلان عن قديمي كانت تلك السيدة الشابة معكم في المطبخ بينما أنتم لتضحكون وتحدثون وتشاركون في مزج خليط كعكات العيد. كانت خلطة الكعكات مسكوبة في عدة طاسات فقامت السيدة بإخفاء الياقوتة بفرزها في إحدى طاسات الكعك، ولكن ليس في الكعكة التي ستناولها في يوم العيد. لقد كانت تعرف أن كعكة عيد الميلاد مسكوبة في قالب خاص، وهكذا فقد وضعتها في القالب الآخر، القالب الذي يفترض أن تؤكل كعكته في عيد رأس السنة، أبله أنها ستغادر البيت قبل حلول عيد رأس السنة أبله تلك الكعكة بالتأكيد. ولكن لتفكر كيف يلعب القدر لعبه: فقد وقع صباح عيد الميلاد حادث، حيث سقطت كعكة العيد بقالبها الفاجر على الأرض وتناثر القالب إلى شظايا. فما العمل إذن؟ لقد أخذت السيدة العلية روس الكعكة الأخرى وقدمتها لنا.

كولين: يا إلهي! هل تعني أن القطعة التي وجدتها جدي في فمه في عيد الميلاد هي الياقوتة الحقيقية؟

بورلو: بالضبط؛ ولكنكم أن تخليلوا شعور السيد ديزموند وهو -أما حسناً، ما الذي حدث بعد ذلك؟ تداولنا الياقوتة، فحفظتها أنا... فحفظت دون التباه أحد أن أدهسها في جيبي بلا اهتمام، ولكن شخصاً -أولاً كان يراقب ما قمت به، وعندما أويت إلى فراشي جاء ذلك الشخص وقتل غرضي وملابسي فلم يجد الياقوتة، لماذا؟

هاتف مايلك: لأنك أعطيتها لبريجهت. هذه هي القضية، ولذلك حدث... ولكنني لا أفهم، ما الذي حدث بالضبط؟

ابنسم بورلو في وجهه وقال: تعالوا الآن إلى المكتبة، سأريك شيئاً من نافذتها من شأنه أن يوضح اللغز.

تبعه الجميع إلى المكتبة حيث أشار إلى النافذة قائلاً: تأملوا نايبة مشهد الجريمة.

وانطلقت شهقةً موحدة من شفاههم جميعاً؛ فلم تكن على التلح أية جثة! لقد احتضت كل آثار المأساة إلا لتجماً أفسدت الأقدام استواء.

علقَ كولين بصوت خافت: أكان ذلك حلاً ما لم أن أحداً أخذ الجثة؟

أجاب بورلو هازئاً رأسه وعيناه لتلمعان: لأينم؟ ها نحن أمام لغز الجثة المفقودة.

صاح مايلك: يا إلهي! ما هذا يا سيد بورلو؟ أه! انظروا؛ لقد كان يخبئنا طول الوقت.

تلاوات عينا بورلو أكثر من ذي قبل وهو يشرح: صحيح يا ابنتي. لقد أعددت أنا أيضاً لكفة صغيرة؛ لقد علمت بخططكم

فرتبت لها خطة مضادة. حسناً يا آنسة بريجيت، أرجو أن لا تكوني قد عانيت كثيراً في الثلج. لن أخبر نفسي إذا أصابك التهاب رئوي.

كانت بريجيت قد دخلت الغرفة لتوها مرتدية ثوبه وسترة صوفيتين وهي تضحك، وقال بورو بصرامة: لقد أرسلت لك شيئاً ساخناً، فهل شربته؟

قالت بريجيت: أجل، وشغلة واحدة كانت كافية. أنا بخير الآن ولكن ذراعي تؤلمني من ذلك الرباط الذي أرتدتي بوضعه لوقف نبض المعصم. هل قمتَ بدوري بشكل جيد؟

بورو: لقد كنتِ رائعة يا مقلتي، رائعة. ولكن دعيني أشرح لهم ما لم يفهموه. فالبارحة ذهبتُ إلى الأنسة بريجيت وأخبرتها أنني على علم بالخطة وطلبت منها أن تؤدي لي دوراً، فقامت بذلك بكل فطنة، ووضعت آثار الأقدام مستعينة بحذاء السيد لي ورتلي.

قالت سارة بصوت أجش: ولكن ما الهدف من ذلك كله يا سيد بورو؟ ما الهدف من إرسال ديزموند لإحضار الشرطة؟ سيغضب رجال الشرطة كثيراً عندما يعرفون أنها مجرد خدعة.

جز بورو رأسه بلطف قائلاً: ولكنني لا أعتقد أبداً أن السيد ديزموند قد ذهب لإحضار الشرطة، فجرمة القتل هي آخر ما يمكن للسيد ورتلي أن يرغب بالتورط فيه. لقد فقد أعصابه ولم يعد قادراً على أن يرى شيئاً إلا الفرصة التي منحت له لأخذ الباقوت، فأخذها وأدعى أن الهاتف معطل ليسرع إلى سيارته بحجة إحضار الشرطة. وأنا شخصياً أعتقد أن هذه هي المرة الأخيرة التي سترينه فيها ولأمد طويل؛ فله -كما أعلم- طرفه الخاصة في الخروج من إنكلترا. إن لديه طائرة خاصة، أليس كذلك يا آنسة؟

سارة: بلى، وقد كنا نضكر به...

توقفت فجأة، فقال بورو: لقد أراد منك أن تهربي معه بتلك الطريقة، أليس كذلك؟ حسناً، إنها طريقة ذكية لتهريب الجوهرة -أرج إنكلترا، فعندما يهرب المرء مع فتاة ويشتت الخبر فلن يشك أحد بأنه قد قام أيضاً بتهريب جوهرة تاريخية خارج البلاد. نعم، كان ذلك سيشكل تمويهاً رائعاً.

سارة: لا أصدق، لا أصدق كلمة واحدة مما تقول!

أوما بورو برأسه إلى الباب خلفها قائلاً: فاسألني شقيقته إذن.

التفتت سارة بحدة لتري في الباب فتاة حسنة ذات شعر أشقر -التي نلتف عابسة وهي ترتدي معطفاً من الفراء، وكان واضحاً أنها -مير غيفلاً.

- شقيقته؟! إن ذلك الخنزير ليس أحاً لي! إذن فقد أخذ الجوهرة وتركتني لأتعمل النتائج. لقد كانت العملية من تخطيطه هو، هو الذي حُرّضني وهيأني لها. قال إنها ستكون ثروة دون عناء وإنيهم أن يحاكموني خشية القضيحة، فسوف يكون بمقدوري أن أعدد دوماً الإعلان عن أن الجوهرة قد وصلتني هدية. كان المفترض أن نلتصم العنبة في باريس، وما هو الخنزير يتركني ويهرب. كم أورد لو أقتله!

ثم غيرت الموضوع بسرعة قائلة: ينبغي أن أخرج بسرعة من هنا. هلأ طلب لي أحدكم سيارة أجرة؟

قال بورو: بالباب سيارة ستأخذك إلى المحطة يا آنسة.

قالت الأنسة: لقد أعددت لكل شيء عدته كما يبدو؟

قال بورو: نعم، لأغلب الأشياء.

لم يكن بورو ليترك الأمور تجري بسهولة، فعندما عاد إلى غرفة الطعام بعد إيصال الأتسة ورتلي المزيطة إلى السيارة كان كولين بانتظاره. وقد تلعّب وجهه العفولي وهو يقول: اسمع يا سيد بورو، ماذا عن الياقوتة؟ أتعتي أنك تركته يهرب بها؟

ظهر الامتعاض على وجه بورو وهو يقفل شابه مرتبكاً وقال: سأعيدها؛ لدينا وسائل أخرى، وما زال...

مايكل: ولكن... كيف يهرب ذلك المجرم بالياقوتة؟!

صاحت بريجيت بحدة: إنه يخذعنا ثانية! إنك تخذعنا يا سيد بورو، أليس كذلك؟

بورو: ما رأيك بخدعة مسرحية أخرى يا أتسة؟ ضمي يدك في جيبي الأيسر.

دست بريجيت يدها في الجيب وأخرجتها مع صرخة انتصار رافعةً باليافوتة ضخمةً تتلألأ بروعة لونها القرمزي.

قال بورو: هل فهمت الآن؟ لقد كانت الياقوتة التي أمسكتها بيدك نسخة زجاجية لهذه الياقوتة، وقد أحضرتها معي من لندن لعلي أستطيع تبديلها بالياقوتة الحقيقية وذلك تقادياً للفضيحة. سيحاول السيد ديزموند أن يعرض الياقوتة في باريس أو بلجيكا أو حيثما كان المتعاملون معه، وهناك سيدركون بأن الحجر زائف! هل رأيت أروع من ذلك؟ لقد انتهى كل شيء على ما يرام، فقد تم تجنب الفضيحة،

سيستعيد أميرنا ياقوته ويعود إلى بلاده ليدخل زواجاً وزيناً وسعيداً
وما تأمل. إنها النهايات السعيدة للجميع.

تمتت سارة فائلة: إلا لي أنا!

كان صوتها منخفضاً جداً بحيث لم يسمعه أحدٌ إلا بورو الذي جز رأسه قائلاً: أنت مخطفة فيما قلتي يا أنسي! فقد كسبت التجربة، التجارب كلها ثمينة. وأنا أشعر أن السعادة تنتظرني في المستقبل.

سارة: هذا ما تشعر به أنت.

كولين: ولكن قل لي يا سيد بورو، كيف علمت بالمشهد الذي لنا نعدده لك؟

قال بورو وهو يقفل شابه: إن العلم بالأشياء هو مهنتي.

كولين: نعم، ولكني لا أفهم كيف. هل خان أحدٌ منا ووشى إليك بالأمر؟

بورو: لا، لا، اطمنن.

كولين: إذن كيف؟ أخبرنا كيف.

وهض الجميع بصوت واحد: نعم، أخبرنا، كيف؟

احتج بورو قائلاً: لا، لن أفعل، فلو أخبرتكم كيف استنتجت ذلك فسوف تتخفون بالأمر؛ كالساحر الذي يُطلع الناس على طريقة أعماله السحرية!

الجميع: أخبرنا يا سيد بورو، هيا، أخبرنا.

بورو: هل تريدون فعلاً أن أحل لكم هذا اللغز الأخير؟

الجميع: نعم، هيا، أخيراً.

يهدأ مسحة الغبار، ورآها تحديق بعينين واسعتين إلى الورقة التي أمسكها بيده. وما لبثت الفتاة أن راحت تردد: آه يا سيدي، أرجوك يا سيدي...

بورارو: لا أعتقد أن ذلك ممكن؛ مستصوبون بخيبة أمل.

الجميع: ما هذا يا سيد بورارو؟ هيا أخيراً. كيف علمت بالأمر؟

سألها بورارو: ومن أنت أيتها الفتاة؟
- اسمي آني ينس يا سيدي، وأنا هنا لمساعدة السيدة روس.
أنا لم أقصد... لم يكن في نيتي أن أصعل شيئاً لا يليق بي أن أصعله.
لقد كان قصدي طيباً... أعني لمصلحتك.

بورارو: حسناً، لقد كنت في ذلك اليوم جالساً باسترخاء تحت النافذة في المكتبة بعد أن تناولنا الشاي فأعزني النوم، وعندما استيقظت كنتم أنتم تناقشون خطبكم خلف نافذتي تماماً، وكانت النافذة مفتوحة من أعلاها!

خطر ببال بورارو خاطر مفاجئ فسألها وهو يمسك الورقة بيده:
أثبت من كتب هذه الورقة؟
- لم أقصد أي سوء يا سيدي، صدقني.

هتف كولين بلزدراف: أهذا كل شيء؟! يا للبساطة!
فرد بورارو وهو يتسهم: أليس الأمر كذلك؟ ألا ترى؟ لقد أحبطتك.

قال بورارو مبتسماً: طبعاً أنت لم تقصدي أي سوء يا آني، ولكن خبريني عن الأمر. لماذا كتبت هذه الورقة؟

مايكل: على أية حال نحن نعرف كل شيء الآن.

دمدم بورارو لنفسه: هل تعرف حقاً؟ أما أنا فلا أعرف كل شيء... أنا الذي عمله أن يعرف الأشياء!

- حسناً يا سيدي. لقد كان السبب هو السيد ورتلي وأخته. ولكنها لم تكن أخته في الحقيقة... أنا متأكد من هذا، بل الجميع هنا كذلك. لم تكن أخته وكل الخدم احتسوا بهذا... لقد أحسنا كلها أن شيئاً غريباً يجري هنا. سأحدث معك بصراحة يا سيدي؛ لقد كنت في حمام غرفتها أقوم باستبدال المناشف عندما سمعت الحديث من وراء الباب. كان هو في غرفتها وسمعتهما يتحدثان؛ قال لها: "هذا الرجل، رجل التحري الذي سيأتي إلى هنا... علينا أن نتصرف بشأنه... يجب أن نبعده عن الطريق بأسرع وقت ممكن." ثم قال بصوت خافت: "أين وضعته؟"، فأجابته قائلة: "في الكعكة". آه يا سيدي! لقد أحسست بأن قلبي يكاد يتوقف عن الخفقان وأبقيت

فام بعشي في الصالة وهو يهز رأسه قليلاً، ثم سحب من جيبه، ربما للمرة العشرين، ورقة مهترقة وقرأ فيها: "لا تأكل شيئاً من كعكة الخوخ... شخص يريد لك الخير".

هز رأسه مرة أخرى. لقد نجح في تفسير كل شيء إلا هذه، فن الذي كتب هذه الورقة؟ ولماذا كتبت أصلاً؟ سوف لن ينعم بالراحة أبداً حتى يجد أجوبة لهذه الأسئلة.

كان مستغرقاً في هذه الأفكار عندما قطعها فجأة صوت شقة مكتومة. والتفت بورارو ليجد أمامه خادمة ترتدي ثوباً مزخرفاً وتمسك

أنهما بصدد تسميتك بواسطة كعكة العيد. ولم أدري ماذا أفعل؛
فالسيدة روس ما كانت لتسعى إلى ما يقوله أمثالي. ثم جادمتي الفكرة
بأن أكتب لك تحذيراً، فكتبت هذه الورقة ووضعتها على وسادتك
حيث يمكن أن تراها عندما تذهب إلى النوم.

توقفت آني وقد تقطعت أنفاسها، ونفحها بورو لبعض
الوقت قبل أن يقول: لملك نشاهدين كثيراً من أفلام الإثارة يا آني.
ولكن المهم -على أية حال- أن لديك قلباً طيباً وشيئاً من الإبداع.
سأذكر أن أرسل لك هدية عندما أعود إلى لندن.

- لك الشكر يا سيدي، لك الشكر الجزيل.

- ماذا تفضلين على سبيل الهدية يا آني؟

- أي شيء. أحيه؟ هل يمكنني أن أحصل على أي شيء؟

- في حدود المعقول بالطبع، نعم.

- آه، شكراً يا سيدي. هل يمكنني الحصول على صندوق زينة
كذلك الذي كانت تملكه أخت السيد ورتلي... أعني التي كانت تدعي
أنها أختي؟

قال يوارو: "نعم؛ أحسب أن هذا أمر يمكن تديره"، ثم نعمت
بصوت خافت: يا للفرابة! لقد كنت منذ أيام في متحف أنفحص
بعض الآثار التي تعود إلى المجتمع البابلي (أو أحد المجتمعات
القريبة منه منذ بضعة آلاف من السنين) ورأيت بينها صندوقاً لزينة
النساء. يبدو أن قلب المرأة لا يتغير أبداً!

- أرجو المعذرة يا سيدي، هل قلت شيئاً؟

لا، لا تهتمي. سوف تتالين صندوق الزينة الذي تريدن

يا سيدي.

شكراً، شكراً جزيلاً يا سيدي.

عادرت آني المكان ونظر إليها يوارو وهو يهز رأسه باستحسان،

ثم قال لنفسه: والأمن، لأذهب؛ فلم يبقَ ما يمكن أن أفعله في هذا
المكان.



دخل هيركيول بوارو الغرفة الصغيرة في وقته المعتاد ليجد
مكرتيرته القديرة الأنسة ليمون تنتظر تعليمات اليوم. كانت الأنسة
ليمون آلة بشرية، آلة للدقة والضبط ذات كفاءة عالية، وكانت في
اللامنة والأربعين من عمرها، ولا تتمتع -لحسن حظها- بأي خيال.

قال بوارو: صباح الخير يا آنسة ليمون.

- صباح الخير يا سيد بوارو.

جلس بوارو، فيما وضعت الأنسة ليمون أمامه بريد الصباح
مرتباً ومصنفأً، ثم عادت فجلست مكانها وهي تحمل دفترأً وقلمأً
استعدادأً للتعليمات. ولكن حصل تغير في الروتين هذا الصباح،
لقد أحضر بوارو معه صحيفة الصباح وكانت عيناه تتصفحانها
باهتمام. كانت العناوين كبيرة واضحة: «لغز الصندوق الإسباني،
أحر التطورات».

سألها بوارو: هل قرأت صحف الصباح يا آنسة ليمون؟

- نعم يا سيد بوارو، إن أبناء جنيف غير مشجعة.

لغز الصندوق الإسباني

استبعد بورو أبناء جنتيف بحركة من ذراعه وقال بتأمل: صندوق إسباني، هل تستطيعين أن تخبريني ما هو بالضبط الصندوق الإسباني يا آنسة ليون؟

- أظن أنه صندوق جيء به من إسبانيا يا سيد بورو.

- هذا معقول، ولكن أليس لديك معرفة تفصيلية به؟

- أظن أن هذه الصناديق تعود إلى العصر الإليزابيثي، وهي ضخمة ومزينة بالنقوش النحاسية، لكنها صناديق جميلة إذا ما تمت العناية بها وتلميعها. لقد اشترت אחتي واحداً من تلك الصناديق في مناسبة تنزيلات وهي توضع فيه أغلبية المنزل، إنه جميل الشكل.

الحقني بورو بلباقة قائلاً: أنا واثق من أن منزل أختي من العراش سيكون أثاثه محفوظاً بعناية تامة.

أجابته الأنسة ليون حزينة بأن الخدم لا يعرفون شحم العرق في هذه الأيام. وبدا بورو متحيراً، ولكنه قرر أن لا يسألها عن المعنى الضمني لهذا التعبير الغامض: «شحم العرق». لقد كان ذلك تعبيراً إنكليزياً عاماً يُفصّد به «العامل الشاق»، لكن بورو البلجيكي ما كان ليفطن إلى هذا المعنى بالتأكيد.

عاد بورو إلى الصحيفة متأملاً الأسماء: الرائد ريتش، السيد والسيدة كلايتون، القائد مكلارين، السيد والسيدة سيس... كانت بالنسبة إليه مجرد أسماء، ومع ذلك فقد كان لهؤلاء شخصياتهم الإنسانية، كرههم وحبهم ومخاوفهم. كانت تلك دراما لا يشارك فيها هيركيول بورو، لكنه كان تزامناً إلى لعب دور فيها في حفل ساهر، في غرفة بجثم قرب أحد جدرانها صندوق إسباني ضخم،

صلة أشخاص؛ خمسة منهم يتحدثون ويتناولون عشاءهم ويستمعون إلى الأسطوانات، والسادس ميت في الصندوق الإسباني!

فكر بورو: كم كان صديقي العزيز هينستز سيستمتع بمثل هذه القصة! كم كان سيحلّق بخياله الرومنسي فيها وكم من سخافة كان سرودها! آه، هينستز العزيز! في هذه اللحظة، اليوم، أنا أقتده، فهدلاً منه...

تهد ونظر إلى الأنسة ليون التي أدركت بذكائها أن بورو ليس في مزاج يسمح له بإملاء الرسائل، فرفعت الغطاء عن الآلة الطابعة بالنظر اليه بإنجاز ما لم يُنتج من الأعمال. لقد كانت الصناديق الإسبانية المشؤومة التي تحوي جثث الموتى آخر ما يمكن أن يجذب اهتمامها.

تهد بورو ونظر إلى الوجه المصوّر في الصحيفة. لم تكن عملية إعادة طبع الصورة على ورق الصحيفة موفقة، فقد بدت الصورة هبابية. ولكن يا له من وجه! السيدة كلايتون، زوجة القاتل.

ألقى بالجريدة فجأة إلى الأنسة ليون متسائلاً: انظري إلى هذا الوجه.

نظرت الأنسة ليون إلى الوجه دون إيذاء أية مشاعر.

ما رأيك فيها يا آنسة ليون؟ إنها السيدة كلايتون.

أعدت الأنسة ليون الصحيفة ونظرت إلى الصورة دون اهتمام لم قالت: إنها تشبه قليلاً زوجة مدير المصرف في منطقة كرويدون حيث حيث كنا نساكن.

- هذا أمر مثير. هل لك أن تتلظي وتسردي لي قصة زوجة مدير مصرفكم.

- حسناً، إنها ليست قصة سارة يا سيد بوارو.

- لقد عطر لي أنها غير سارة فعلاً. استمري.

- كان يدور كثير من اللغط حول السيدة آدمز وقنان شاب، مما دفع السيد آدمز إلى إطلاق النار على نفسه. ومع ذلك فإن السيدة آدمز لم تقبل الزواج بالشباب مما جعله يتناول سماً ما، ولكن تم إنقاذه من الموت، وأخيراً تزوجت السيدة آدمز محالماً شاباً. وأظن أن مزيداً من المشكلات قد وقع بعد ذلك، ولكننا كنا قد تركنا كروييدون حيث وقتها فلم أهد أسبح الكثير عن المراد.

هز بوارو رأسه باهتمام قائلاً: هل كانت جميلة؟

- حسناً، لم تكن من النوع الذي يمكن وصفه بالجمال، ولكن يبدو أنها كانت ذات تأثير خاص.

- ما هو بالضبط ذلك الشيء الذي تمتلكه ساحرات هذا العالم، مثل هيلين طروادة وكليوباترا؟

أدخلت الأنسة ليون ورقة في آلة الطباعة بشيء من الحدة قائلة: الحبيبة أنني لم أفكر في هذا الأمر يا سيد بوارو، فالمسألة تبدو سخيفة في نظري. ولو أن الناس انصرفوا إلى أعمالهم وتركوا التفكير بعنق هذه الأمور لكان غيراً لهم.

وهكذا رمت الأنسة ليون عن كاهلها الصحف والمعاطفة الإنسانيين، وتركت أصابعها تحوم حول مفاتيح آلة الطباعة منشوقة إلى اللحظة التي تبدأ فيها عملها.

قال بوارو: هذا رأيك إذن؟ وأنت الآن ترغيبين أن أتركك تقومين بعملك. لكن عملك - يا أنسة ليون - لا يقتصر على تسجيل ما أمله عليك وترتيب أوراقي والرتة على مكالماتي الهاتفية وطباعة رسائلتي... إنك تؤذين ذلك كله بشكل رائع، لكن لنا لا التعامل مع الوثائق فحسب، بل مع البشر. وأنا أحتاج إلى مساعدتك في هذا الحقل أيضاً.

قالت الأنسة ليون بصير: حاضر يا سيد بوارو، ما الذي تريدني أن أفعله؟

هذه القضية تثير اهتمامي، وسأكون سعيداً لو أعددت لي دراسة عن تقارير صحف الصباح بشأن الموضوع، وأية تقارير إضافية في صحف المساء... أعزّي لي ملخصاً عن الحقائق.

حسناً يا سيد بوارو.

اتسحب بوارو إلى غرفة جلوسه وعلى وجهه ابتسامة كئيبة، لم أهد يحدث نفسه: إنه لمن السخريه فعلاً أن تعمل عتدي الأنسة ليون بعد صديقي العزيز هينستز. أي تناقض بين الاثنين! كم كان هزوي هينستز سيجد من المتعة في مثل هذه القضية. لقد كان حريماً أن يذرع المكان جينة وذعاباً وهو يتحدث عنها واهماً حول كل حدث من أحداثها أكثر الإقتراضات رونسية، مصدقاً كل ما تكتبه الصحف عنها كحقائق منزلة! أما هذه المسكينة ليون، فحسني القليل الذي طلبته منها لم تجده مستعماً أبداً.

جاءته الأنسة ليون بعد بعض الوقت بورقة مطبوعة قائلة: هذه هي المعلومات التي طلبتها يا سيد بوارو، ولو أنني أخشى أن لا تكون موثوقة لأن الصحف تختلف كثيراً في تغطيتها للحدث، ولعلني لا أضمن أن تكون المعلومات الواردة دقيقة بأكثر من ستين بالمئة.

تمت بوارو قاتلاً؛ ربما كانت تقديراتك محافظة، ولكن شكراً
على ما تجشمت من عناء.

كانت الحقائق مثيرة ولكنها واضحة بما فيه الكفاية، فقد دعا
الرائد تشارلز ريتش (الأعزب مسور الحال) بعض أصدقائه إلى حفلة
ساهرة في شقته، وكان هؤلاء الأصدقاء هم: السيد والسيدة كلايتون،
والسيد والسيدة سيبينس، والقائد مكلارين، وكان القائد مكلارين
سديفاً قديماً لريتش ولعائلة كلايتون أيضاً، بينما كان السيد والسيدة
سيبينس الشبان مجرد صديقين حديثين. أما أعمالهم: فقد كان أرنولد
كلايتون يعمل في وزارة المالية، بينما يعمل جيريمي سيبينس موظفاً
عادياً، وكان الرائد ريتش في الثامنة والأربعين، وأرنولد كلايتون
في الخامسة والخمسين، والقائد مكلارين في السادسة والأربعين،
وجيريمي سيبينس في السابعة والثلاثين. وقد قيل عن السيدة كلايتون
إنها أصغر من زوجها بسبع سنوات. شخص واحد من هؤلاء لم
يستطيع حضور الحفلة، فهي اللحظة الأخيرة ثم استدعاء السيد
كلايتون إلى إسكتلندا في عمل طارئ، وكان يفترض أن يغادر محطة
كينغز كروس في قطار الساعة الثامنة والربع.

تمت الحفلة كما تمضي مثيلاتها، حيث بدأ الجميع سعداء
بتمتعون بوقتهم، ولم يكن ثمة صخب ولا شراب. انتهت الحفلة في
الساعة الثانية عشرة إلا رباعاً تقريباً، حيث غادر الضيوف الأربعة معاً
واشتركوا في سيارة أجرة في طريق عودتهم. نزل القائد مكلارين أولاً
عند النادي، ثم نزلت السيدة مارغريتا كلايتون عند شارع كارديفان
غاردنز المتفرع من شارع سلون، وواصل السيد والسيدة سيبينس
طريقهما إلى بيتهما في تشيلسي.

الاكتشاف الرهيب ثم في صبيحة اليوم التالي على يد خادم
الرائد ريتش، المدعو وليام بيرجس، الذي لم يكن عادياً مقبلاً. فقد
وصل بيرجس مبكراً لتنظيف غرف الجلوس قبل أن يُحضر للرائد
ريتش شاي الصباح، وفي أثناء التنظيف فوجئ ببقعة كبيرة لؤثت
السجادة فالحة اللون حيث يقع الصندوق الإسباني. وبدأ أن هذه
البقعة قد تسربت من الصندوق، فرفع الخادم غطاءه ونظر فيه ليرُوع
بالمشور على جثة السيد كلايتون مطعونة في العنق. واستجاب بيرجس
لأول فكرة خطرت له فهرع إلى الشارع وأحضر أول شرطية رآه.

كان تلك هي الحقائق البسيطة للفضية، غير أنه كانت هناك
تفصيلات أخرى. فقد أبلغ الشرطة التياً فوراً للسيدة كلايتون التي
الهارت تماماً. كانت قد رأت زوجها للمرة الأخيرة بعد الساعة السادسة
بالحليل في مساء اليوم السابق، حيث جاء متزعجاً لاستدعائه إلى
إسكتلندا في عمل طارئ يخص بعض مستلكاته هناك. وقد حث زوجته
على حضور الحفلة بدونه، ثم ذهب إلى النادي الذي يضمه والقائد
مكلارين حيث شرب الشاي مع صديقه وشرح له الأمر، ثم قال وهو
ينظر إلى ساعته إنه لا يملك من الوقت قبل التوجه إلى محطة كينغز
كروس إلا ما يسبح له بالمرور على الرائد ريتش لشرح موقفه، وقال
إنه حاول أن يتصل به ولكن الهاتف كان متوقفاً عن العمل كما يبدو.

وطبقاً لما قاله وليام بيرجس فإن السيد كلايتون وصل إلى شقة
مخدومه في نحو الثامنة إلا خمس دقائق، ولم يكن الرائد ريتش
موجوداً وقتها لكنه كان على وشك العودة، مما جعل بيرجس يقترح
على السيد كلايتون الدخول لانتظاره. وقد قال كلايتون إن وقته ضيق
ولكنه سيدخل لكتابة ملاحظة، موضحاً أنه في طريقه لركوب قطار من
محطة كينغز كروس. أدخله الخادم إلى غرفة الجلوس وعاد هو إلى

المطبخ حيث كان مشغولاً بتحضير رقائق الخبز المحمص للحلقة.

ولم يسمع الخادم صوت عودة سيده الرائد ريتش، ولكن ريتش أطلّ على المطبخ بعد نحو عشر دقائق وطلب من بيرجس أن يسرع في الخروج لشراء بعض السجائر التركية التي يفضل السيد سييس تدخينها. ونفذ الخادم ذلك، وقد اعتقد طبعاً أن كلايتون غادر ليلاحق بقطاره.

أما رواية الرائد ريتش للأحداث فقد كانت قصيرة وبسيطة. فالسيد كلايتون لم يكن في الشقة عندما عاد هو إليها، بل هو لم يعرف أن كلايتون حضر إلى الشقة. كما قال إنه لم يترك له أية ملاحظة، وأنه لم يسمع بمرحلة كلايتون إلى إسكتلندا إلا عندما وصلت السيدة كلايتون والأخرون.

كان في صحف المساء معلوماتان إضافيتان، فالسيدة كلايتون التي انهارت من هول الصدمة تركت شقتها في كارديغان غاردنز، ويُظن أنها ذهبت لتقيم مع أصدقائها لها. أما المعلومة الثانية فقد وردت في زاوية آخر الأخبار، ومفادها أن الرائد تشارلز ريتش قد أُلهم بقتل أرنولد كلايتون وتم اعتقاله.

قال بورو وقد رفع عينيه إلى الألسة ليوم: هكذا إذن؟ لقد كان اعتقال الرائد ريتش متوقعاً. ولكن يا لها من قضية رائعة، رائعة جداً! ماذا ترين يا آنسة ليوم؟

قالت الألسة ليوم بغير اهتمام: تحدثت أمور كثيرة كهذه يا سيد بورو.

- بالتأكيد، تحدثت يوماً أو تكاد، ولكنها تكون مفهومة تماماً في العادة... رغم ما تثيره من أسي.

إنها مسألة بغیضة بالتأكيد؟

إنها بغیضة، بل بغیضة جداً بالنسبة للضحية؛ أن يُطعن حتى الموت ويُحسّر في صندوق إسباني. ولكنني عندما قلت إنها قضية رائعة أردت أن أشير إلى التصرف المثير للرائد ريتش.

قالت الألسة ليوم بشيء من التفوق: لقد ورد تلميح إلى أن الرائد ريتش والسيدة كلايتون كانا صديقين حميمين... ولكنه كان للميحا فقط لا حقيقة ثابتة، ولذلك فإنني لم أضفته في التقرير.

قال بورو: كان هذا تصرفاً صحيحاً منك، ولو أنه استناج صرهان ما يتفر إلى الذهن. أعذا كل ما لديك؟

وقفت الألسة ليوم خالية الذهن، فتهد بورو وقد أخذت الخيال الخصب الزاهي الذي كان صديقه هيستغز يتنم به. لقد كان بحث القضية مع الألسة ليوم عملاً عسيراً.

قال بورو: لتسمن قليلاً في الرائد ريتش هذا، إنه يحب السيدة كلايتون... حسناً، لتفترض ذلك. وهو يريد أن يتخلص من زوجها... ستفترض ذلك أيضاً. ولكن إذا كانت السيدة كلايتون تبادلته العواطف وهما متحابان كلاهما فليم العجلة؟ ربما كان السيد كلايتون يرفض طلاق زوجته؟ ليس هذا ما أثار اهتمامي بل الرائد ريتش نفسه؛ إنه جندي متقاعد، ويُقال أحياناً إن الجنود ليسوا أذكاء، ولكن حتى إن لم يكن بالغ الذكاء فهل يمكن للرائد ريتش هذا أن يكون معتوهاً تماماً؟

لم تجب الألسة ليوم عن هذا السؤال، وكأنها اعتبرته مجرد سؤال بلاغي للمتعب، فسألها بورو: حسناً، ما رأيك أنت في القضية كلها؟

جملت الألسة ليوم من السؤال وقالت: رأيي أنا؟!

- نعم؛ أنت.

كثرت الآسنة ليمون عقلها لمواجهة العيب الذي ألقي عليه، فهي لم تكن متائلة إلى أي نوع من أنواع التأمل العقلي إلا إذا طلب منها ذلك. كان عقلها مزدهراً في أوقات فراغها بتفصيلات ابتداء نظام كامل وممتاز لحفظ الملفات؛ فقد كان هذا هو المجال الوحيد لإبداعها وتفوقها العقلي.

بعد ذلك بدأت تحليلها للأمر، قالت: حسناً...

ثم توقفت، فقال بورارو: أخبريني فقط بما تصورين أنه قد حصل في تلك الأمسية. السيد كلايتون في غرفة الجلوس يكتب ملاحظة، ويعود الرائد ريتش... ماذا حدث بعد ذلك؟

- وجد السيد كلايتون هناك، ثم... لعلهما قد تشاجرا فطعته الرائد ريتش، ثم أدرك حقيقة ما فعله فوضع الجثة في الصندوق، إذ كان الضيوف على وشك الوصول على ما أظن.

- نعم، نعم؛ وصل الضيوف، الجثة في الصندوق، انتهت الحفلة وغادر الضيوف... وبعدها؟

- حسناً، بعدها: أظن أن الرائد ريتش أوى إلى فراشه... آه.

- آه، هل فهمت الآن؟ تفتلين رجلاً وتدفنين جثته في صندوق، ثم تدعين بعد ذلك إلى فرائك باطمئنان دون أي قلق من أن خادمك سوف يكتشف الجريمة في الصباح؟

- ربما كان من غير المحتمل أن ينظر الخادم في الصندوق.

- ورغم تلك البركة الكبيرة من الدماء على السجادة تحت الصندوق؟

ربما لم يدرك الرائد ريتش وجود بقعة الدم هناك.

الم يكن إجمالاً منه أن لا ينظر ويرى؟

ربما كان مضطرباً.

وقع بورارو يديه بأساً من هذا الحوار، فاعتصمت الآسنة ليمون الفرصة وأسرعت خارجة من الغرفة.

- ٢ -

لم يكن لغز الصندوق الإسباني هو قضية بورارو؛ فقد كان **مضطرباً** حينذاك بمهمة حساسة لإحدى شركات النفط الكبرى **احتمل** أن يكون أحد مسؤوليها الكبار متورطاً في بعض الصفقات المشبوهة. كانت قضية سرية وعظيمة ومربحة تماماً، قضية متشابكة **جداً** بما يتطلب كل ما لدى بورارو من انتباه، وكانت ميزتها العظيمة **أنها لا تتطلب جهداً عقلياً أو جسدياً.**

أما لغز الصندوق الإسباني فقد كان مثيراً وعاطفياً، وهما ميزتان طالما قال بورارو إنهما قابلتان للمبالغة، وكان غالباً ما يبالغ **لهمما** بالفعل. وقد كان بورارو قاسياً على صديقه العزيز هينتر في هذه النقطة، ولكن ها هو الآن يتصرف كما كان صديقه سيتصرف، ما عروفاً بالنساء القاتلات وجرائم الحب والغيرة والكراهية، وكل الأسباب الرومنسية الأخرى التي تدفع إلى القتل!

وجد نفسه رهاقياً في معرفة كل شيء عن هذا اللغز؛ يريد أن يعرف شكل الرائد ريتش، وشكل خادمه بيرجس، وشكل مارغريتا كلايتون... مع أنه اعتقد أن شخصية الضحية كانت ذات الأهمية الكبرى في قضايا

القتل. كما تمنى أن يعرف أشكال القائد مكلارين الصديق المخلص، والسيد والسيدة سيسنس اللذين تعرفت المجموعة بهما مؤخراً.

ولم يعرف بوارو كيف سيرضي فضوله! فكّر في القضية في وقت متأخر من ذلك اليوم: لماذا أسرته القضية إلى هذا الحد؟ قرر بعد تفكير أن السبب هو أنها - كما رُويت وقائعها - كانت عَصِيّة على الفهم! نعم، كان فيها نكهة لبناء هندسي محكم.

ولو ابتداء المرء بالحقائق التي يمكن قبولها لافتراض حدوث مشاجرة بين رجلين ربما كان سببها امرأة، وربما قتل أحد هذين الرجلين الآخر في ثورة غضب. نعم، يمكن لهذا أن يحدث... لنقل إن العاشق قتل الزوج بطعنه بالخنجر (مع أن العكس هو الذي يحدث عادة)! لكن الخنجر لا يبدو سلاحاً معقولاً في مثل هذه القضية، فهل كان للرائد ريتش أم إيطالية؟ لا بد من وجود سبب يفسر اختيار الخنجر كسلاح... لعله كان في متناول اليد مثلاً؟ وقد استخدمت بعض الصحف كلمة «مدية إيطالية صغيرة» بدلاً من «خنجر».

أما الجثة فقد أخفيت في الصندوق، وهذا معقول، بل إنه محتم. فإذا افترضنا أن الجريمة كانت دون سابق تصور وتصميم، وأن الخادم كان على وشك العودة، وأن أربعة ضيوف كانوا أيضاً على وشك الوصول... إذا افترضنا هذا كله وكان وضع الجثة في الصندوق هو الخيار الوحيد الذي فرضته الظروف.

حسناً، انتهت الحفلة وانفض المدعوون، وغادر الخادم أيضاً... كيف يأوي الرائد ريتش إلى سريره؟ لا بد من رؤية الرائد ريتش واكتشاف حقيقة الرجل الذي يتصرف بهذه الطريقة إذا ما أراد المرء أن يفهم كيفية حدوث ذلك.

هل يمكن مثلاً أن يكون الرائد ريتش (وقد غلبه الرعب مما فعله وسيطر عليه التوتر طوال الأمسية وهو يحاول أن يُظهر نفسه على طبيعته) قد تناول نوعاً من الحبوب المنومة أو المهدئة مما أدخله في صبات عميق جعله ينام أطول من عادته بكثير؟ هذا ممكن. أم كانت **للك** مسألة نفسية، حيث يكون الشعور اللاواعي بالذنب لدى الرائد **ريتش** قد جعله يريد للجريمة أن تُكتشف؟ حتى يقرر المرء ذلك لا بد **له** من رؤية الرائد ريتش. كلما أمعن المرء في التحليل عاد ثانية إلى...

رنّ جرس الهاتف، وتركه بوارو يرنّ بضع دقائق حتى أدرك أن **الآنسة** ليمون قد غادرت منذ مدة بعد أن أعطته الرسائل ليوقعها وأن **هروج** ربما كان في الخارج.

رفع السماعة فسمع الطرف الآخر يسأل: السيد بوارو؟

بتكلم.

يا للروعة! أنا أبي تشاترتون.

لمعت عينا بوارو لحماسة الصوت الأنثوي الساحر وقال: آه، **لهدي** تشاترتون. كيف لي أن أخدمك يا سيدتي؟

بحضورك فوراً وبسرعة إلى الحفلة الفظيعة التي أقيمها هنا في **بيني**. ليس من أجل الحفلة تحديداً، بل لأمر مختلف تماماً في الواقع. **إنني** في أمس الحاجة إليك لأمر فائق الأهمية. وأرجوك، أرجوك، أرجوك أن لا تحيب أمني وأن لا تعتذر عن القدوم.

لم يكن في نية بوارو أن يقدم أي اعتذار. كان اللورد تشاترتون واحداً من أمراء المملكة المتحدة، وكان يلقي أحياناً خطباً مملدة جداً في مجلس اللوردات، ولكنه لم يكن - باستثناء ذلك - سوى نكرة.

أما الليدي تشارتوتون فقد كانت أفعالها وكلماتها تحلل صفحات الصحف، وكانت ذات عقل وجمال وأصاله، وكان فيها من الحيوية ما يكفي لإطلاق صاروخ إلى القمر.

كررت القول: أنا بحاجة إليك، فاقبل شاربك الرابع وتعال!

عندما وصل بوارو إلى بيت الليدي تشارتوتون الرابع في شارع تشيريتون كان بابه مفتوحاً جزئياً، وكانت الضجة المطلقة منه تشبه ضجة حيوانات تقوم باعتصام في حديقة الحيوان.

كانت الليدي تشارتوتون تستضيف سفيرين ورياضياً دولياً ودبلوماسياً أمريكياً، وما إن رأت بوارو حتى تملصت منهم بخفة الساحر وبراعته وأسرعت إليه قائلة: السيد بوارو، كم أنا سعيدة بزيارتك!

قادته على الدرج وهو يتبعها، ثم توقفت لتلقت إليه قائلة: لم أتخلص من أولئك الناس بهذه الطريقة إلا لأن من الضروري جيداً أن لا يعرف أحد منهم أن أمراً معيناً يجري هنا، وقد وعدت الخدم بمكافآت ضخمة إذا لم يسزوا البثاء، فما من أحد يرغب في رؤية بيته محاصراً بالصحفيين، وهذه المسكينة الغالية يكتفيها ما مز بها حتى الآن.

لم تتوقف الليدي تشارتوتون في الطابق الأول، بل واصلت صعودها إلى الطابق الثاني، وتبعها بوارو بشيء من الذهول وهو يلهث، وأخيراً توقفت وألقت نظرة سريعة على الطابق السفلي، ثم فتحت باباً وهي تهتف: لقد حصلنا عليه يا مارغريتا! لقد أحضرته... ها هو!

ثم وقفت جانباً وعلى وجهها علامات الانتصار لتدع بوارو

يدخل قبل أن تقوم بتعريف سريع: أقدم لك مارغريتا كلايتون. إنها صديقتي العزيزة جداً جداً، وأنت مساعدتها، أليس كذلك؟ ... مارغريتا، أقدم لك هيركيول بوارو الرابع. إنه سلووم بكل ما تريدته منه، أليس كذلك يا عزيزي بوارو؟

ثم تابعت بسرعة: ينبغي أن أعود إلى ضيوفي، وخرجت دون أن تنتظر جواباً من بوارو على سؤالها معتبراً موافقته أمراً مفروغاً منه.

نهضت المرأة التي كانت تجلس على كرسي قرب النافذة وتقدمت منه. وقد كان بوسعها أن يميزها حتى لو لم تذكر الليدي تشارتوتون اسمها؛ فها هو ذلك الحجاب العريض، العريض جداً، والشعر الأسود ينفر منه كالأجنحة، وها هما العينان الرماديتان المتباعدتان. كانت ترتدي ثوباً عالي الياقة أسود اللون، وكان وجهها هرباً أكثر منه جمياً، كان في سبيلها نوع من بساطة العصور الوسطى، من البراعة الغربية التي يمكن أن تكون (كما عطر ليوارو) أكثر فطنة على التدمير من أي شكل متكلف مصنوع. وكان في صوتها عندما تكلمت إخلاصاً طولي: لقد قالت آبي إنك مساعدتي...

ثم نظرت إليه باهتمام واستفهام. أما هو فقد وقف صامتاً لفترة يمعن النظر إلى المرأة، ولكن دون أن يكون في طريقته أي معنى لسوء التهذيب، فقد كانت نظره نظرة أخصائي شهير إلى مريض جديد. ثم قال أخيراً: هل أنت والقة من أنني أستطيع مساعدتك يا سيدتي؟

توزد عندها قليلاً وقالت: لا أعرف ما الذي تعنيه.

- ما الذي تريدني مني أن أفعله يا سيدتي؟

بدت مدهوشة وهي تجيب: آه، فقلت أنك تعرفني.

- نعم، أعرفك؛ لقد قُبِلَ زوجك طعماً وأُعطِي الرائد ريتش
شهماً يقتله.

اشد ثورود الخدين، وقالت: الرائد ريتش لم يقتل زوجي.

قال بوارو بسرعة اليرق: ولمَ لا؟

حدثت إليه مذعولة وقالت: عفواً... لم أتهمك.

- لقد أُرِيكَتْ لَأَنِّي لم أسأل السؤال التقليدي الذي يطرحه
الجمع، وهو: لماذا يقتل الرائد ريتش آرنولد كلايتون؟ ولكني
طرحت السؤال المعاكس. وأنا أسألك يا سيدتي: لماذا أنت والثلة من
أن الرائد ريتش لم يقتله؟

- لأنني..

وتوقفت للحظة، فقال: لأنك تعرفين الرائد ريتش حق المعرفة.

سكت قليلاً ثم قال بحدة: إلى أي مدى؟

لم يستطع أن يبين فيما إذا كانت قد فهمت معنى سؤاله، فقال
في نفسه: إما أن تكون هذه المرأة على جانب كبير من السذاجة أو
على جانب كبير من الدهاء، ويبدو أن كثيراً من الناس قد وقعوا في
هذه الحيرة تجاه مارغريتا كلايتون.

قالت وهي تنظر إليه برؤية: إلى أي مدى؟ خمس سنوات، بل
ست سنوات تقريباً.

- ليس هذا ما قصدته بالضبط. ينبغي عليك أن تفهمي يا سيدتي
أنتي سأضطر إلى توجيه أسئلة خارج الموضوع. وربما قَلَبِ الحقيقة

وربما كذبت، فأحياناً يكون من الضروري للمرأة أن تكذب؛ على
النساء أن يحمين أنفسهن، ويمكن للكذبة عندها أن تكون سلاحاً
جيداً. ولكن ينبغي أن تخبريني بالحقيقة إذا كنت تثقين بي، فهل تثقين
بي يا سيدتي؟

سحبت مارغريتا كلايتون نفساً عميقاً وقالت: نعم، أثن بك،
لم أهافت: ليس لي خيار آخر.

جيد، إذن ما الذي تريدتي أن أفعله؟ أن أعرف قاتل زوجك؟
نعم.

ولكن هذا ليس بالأمر الجوهري! أنت تريدان أن أثبت براءة
الرائد ريتش، أليس كذلك؟

أومأت فوراً بالإيجاب قائلة: بلى، هذا... وهذا فقط.

لقد كان واضحاً أنه لا حاجة إلى ذلك السؤال، فقد كانت
مارغريتا كلايتون امرأة لا ترى أمامها إلا الأمر الذي تريده في وقت
معين.

والآن نبدأ بالأسئلة المرحجة الخارجة عن الموضوع: هل
كنتما أنت والرائد ريتش متحابين؟

أعني أنه كان بيننا علاقة غرامية؟ لا.

ولكنه كان يحبك؟

نعم.

- وكنت أنت تحبيه؟

- أظن ذلك.

- يبدو أنك غير متأكدة؟

- بل إنني متأكدة... الآن.

- آه! إذن فأنت لم تحبي زوجك؟

- نعم، لم أحبه.

- إنك تحبين ببساطة تستحق الإعجاب، فمعظم النساء يملن إلى التطويل في شرح حقيقة مشاعرهن بتفصيل دقيق. كم مضى على زواجكما؟

- إحدى عشرة سنة.

- هل يمكنك أن تحدّثيني قليلاً عن زوجك، من أي نوع من الرجال كان؟

فطبت جيبتها ثم قالت: في هذا الأمر بعض الصعوبة؛ فأنا لا أدري بالفعل إلى أي نوع من الرجال كان أرنولد ينتمي. لقد كان هادئاً جداً ومتحفظاً جداً، فلم يكن يوسع أحد أن يعرف في أي شيء يفكر. كان ذكياً طبعاً وكان... لا أعرف كيف أعتبر عن ذلك؛ فهو لم يظهر كواحدٍ نفسه على الإطلاق.

- هل كان بحبك؟

- آه، نعم، لا بد أنه كان بحبني، وإلا لما اعتمد كثيراً...

توقفت فجأة، فسألها بوراو: بالرجال الآخرين؟ أهذا ما كنت تريدني قوله؟ هل كان غيوراً؟

قالت: "لا بد أنه كان كذلك". ثم مضت قائلة وكأنها أحسّت بأن مهارتها تحتاج إلى شرح: أحياناً كان يمكنك عدة أيام دون أن يتكلم...

أوما بوراو يرأسه متأسلاً وقال: هذا العنف... الذي دخل حياتك. هل هو أول حادث عنف تشهدينه؟

"عنف؟"... عبت، ثم احمررت وجنتاها وقالت: هل هو... هل تعني... ذلك القتي المسكين الذي أطلق النار على نفسه؟

نعم، هذا ما قصدته.

لم أعرف أن لديه ذلك الشعور. لقد حزنت من أجله... كان يبدو عجزولاً جداً ووحيداً. لا بد أنه كان مضطرباً عصبياً. كما عرفت ذات مرة رجلين إيطاليين وكانت هنالك مبارزة... كان ذلك سخيفاً، ولكن لم يُقتل أحدٌ والحمد لله... وبصراحة لم أكن أهتم بأي منهما، بل إنني لم أنتظرهما بالاهتمام بأي منهما أبداً.

نعم، لكك كنت -ببساطة- موجودة؛ وحيث توجدين تحدثت الأشياء! لقد رأيت ذلك من قبل، فالرجال يصيهم الجنون لأنك لا تهتمين. ولكك تهتمين الآن بالرائد ريتش، وبالتالي فعلياً أن تعمل ما بوسعتا.

صمت لدقيقة أو دقيقتين، وجلست هناك تراقبه باهتمام.

حسناً، لتنتقل من الشخصيات (التي غالباً ما تكون أهم ما في الأمر) إلى الحقائق المجردة. أنا لا أعرف من تلك الحقائق إلا ما نشرته الصحف، فإذا اعتمدنا على ما نُشر نقول إن شخصين اثنين فقط سمحت لهما فرصة قتل زوجك. أحد شخصين يمكن أن يكون له قتله: الرائد ريتش أو خادمه.

قالت بعناد: أنا أعرف أن تشارلز لم يقتله.

- إذن فينبغي أن يكون الخادم هو القاتل، هل توافقين؟

قالت في شك: أدرك ما تعنيه.

- ولكنك مرتابة تجاهه؟

- إنه يبدو مجرد احتمال خيالي!

- ومع ذلك فإن الإمكانية قائمة، فمما لا يتطرق الشك إليه أن زوجك قد جاء إلى الشقة لأن جثته وُجِدَت هناك. فإذا كانت قصة الخادم صحيحة فإن الرائد ريتش هو الذي قتل زوجك، ولكن ماذا لو كانت قصة الخادم مزيفة؟ إذن يكون الخادم هو الذي قتله وأخفى الجثة في الصندوق قبل عودة سيده، وتكون تلك - من وجهة نظره - طريقة ممتازة للتخلص من الجثة، حيث لا يتبقى عليه إلا أن يلاحظ بقعة الدم صباح اليوم التالي ويكتشف الجثة، وسوف تحوم الشبهات فوراً حول ريتش.

- ولكن لماذا يقتل هذا الخادم زوجي؟

- آه، لماذا؟ لا يمكن أن يكون الدافع واضحاً، وإلا لكان الشرطة قد حققوا فيه. ربما علم زوجك شيئاً يضرّ بالخادم وأمانته وكان على وشك إخبار الرائد ريتش بالحقيقة. هل سبق لزوجك أن أخبرك بأي شيء عن هذا الرجل بيرجس؟

هزت رأسها بالنفي.

- هل تعتقدين أن زوجك كان سيخبرك لو أنه عرف شيئاً عن الخادم؟

قطبت حاجبيها وقالت: من الصعب أن أعرف. ربما لم يكن له خبرني؛ فهو لا يتكلم كثيراً عن الناس، وقد أخبرتك أنه كان **مستحفظاً**. إنه لم يكن ثرثاراً أبداً.

- كان رجلاً كئوباً... نعم، والآن ما رأيك أنت في بيرجس؟

- إنه ليس من الرجال الذين يتنبه إليهم المرء كثيراً. كان خادماً **جهداً**، كان ملائماً ولكنه غير مصقول.

- وما هو عمره؟

- إنه في نحو السابعة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين، وأظن أنه **كان** مراسلاً في الجيش خلال الحرب، غير أنه لم يكن جندياً نظامياً.

- متى بدأ عمله عند الرائد ريتش؟

- منذ مدة قصيرة، نحو سنة كما أظن.

- ألم تلاحظي أي أمر غريب في تعامله مع زوجك؟

لم أذهب كثيراً هناك. أظن أنني لم ألاحظ شيئاً غريباً أبداً.

أخبريني الآن عما حدث في تلك الأمسية: ما هو الوقت الذي **كان** مقرراً فيه وصولكم؟

من الثامنة والرابع حتى الثامنة والنصف.

وأي نوع من الحفلات كان مقرراً لها أن تكون؟

- حسناً، كان عشاء فاخراً يضمّ -على الأغلب- أطباقاً شهية **مثل** الكبدة بالدهن وسمك السلمون المدخن، وأحياناً يقدم فيه طبق

من الرز الحار، يقدمه تشارلز بطريقة تعلمها في الشرق الأدنى، ولكن هذا كان غالباً في الشتاء. ثم نستمع عادة إلى الموسيقى، فلدى تشارلز جهاز أسطوانات ممتاز، وزوجي والسيد جوك مكلارين مغرمان بالموسيقى الكلاسيكية. هذا ما كان يحدث عادة... سهرة بلا رسميات، وقد كان تشارلز مُضيفاً ممتازاً دائماً.

- وفي تلك السهرة ذاتها: هل جرت الأمور كباقي الأمسيات؟ ألم تلاحظي أي شيء غير طبيعي أو في غير مكانه؟

قطبت جبينها للحظة ثم قالت: في غير مكانه؟ عندما قلت ذلك... حسناً، لا أدري. لم يكن هناك شيء.

ثم هزت رأسها ثانية وقالت: "لا؛ الجواب على سؤالك أنه لم يكن أي شيء مخالفاً لطبيعته في تلك الحفلة. لقد تمتعنا بالحفلة وكان الجميع سعداء ومرتاحين". ثم ارتعشت وقالت: ومن غير الممكن أن يفكر المرء بأن الحفلة بطولها...

رفع بوارو يده بسرعة مقاطعاً: لا تفكري، بل أخبريني: ما هي معلوماتك عن ذلك العمل الذي استدعي زوجك بسببه إلى إسكتلندا؟

- لا أملك معلومات وافية. أظن أن نزاعاً قد وقع بشأن قيود بيع قطعة أرض كان زوجي يملكها، وقد تيسرت عملية البيع كما يبدو، ثم ظهرت عقبة ما في العملية.

- ما الذي أخبرك به زوجك بالضبط؟

- جاء وفي يده برقية كما أذكر، وقال: "يا له من أمر مزعج! أنا مضطر إلى السفر بقطار المساء إلى إدنبره لرؤية جونستون صباح غد. لقد اعتقدنا أن المعاملة تيسرت أخيراً. هذا أمر مزعج". ثم قال: "هل

أخبار جوك وأطلب منه المرور لاصطحابك إلى الحفلة؟" فقلت: "لا حاجة لذلك، سأستقل سيارة أجرة"، فقال إن جوك سيوصلني أو إن الزوجين سيبنس سوف يوصلاني إلى البيت بعد الحفلة. ثم سأله إن كان بحاجة إلى أن أحزم له متاعه، فقال إنه وضع بعض الحاجيات لي حقيبة وتناول طعاماً خفيفاً في النادي قبل التوجه إلى القطار. ثم ذهب، وكانت تلك آخر مرة أراه فيها.

تحشرج صوتها قليلاً وهي تقول كلماتها الأخيرة. نظر بوارو إليها بإمعان وسألها: هل أراك زوجك البرقية؟

- لا.

- مع الأسف!

- لماذا تقول ذلك؟

لم يُجِب عن سؤالها، بل قال بسرعة: والآن، إلى العمل. من هم محامو الرائد ريتش؟

أخبرته بأسمائهم وعناوينهم فدوّن ذلك في مفكرته، ثم قال: هل لك أن تكتبي لهم بضع كلمات حول تكليفي بالتحري عن القضية؟ ينبغي أن أقوم ببعض الترتيبات لأقابل الرائد ريتش.

- لقد جُدد احتجازه احتياطياً لمدة أسبوع.

- هذا طبيعي، وهو الإجراء المتبع. هل لك أن تكتبي أيضاً إلى القائد مكلارين وأصدقائك الآخرين من عائلة سيبنس؟ عليّ أن أراهم جميعاً، ومن الضروري أن لا يضطربوا بمجرد رؤيتي.

وعندما كتبت ما طلبه منها ونهضت عن المكتب قال: بقي

انسعت عينها وهي تقول: ولماذا أندم؟

قال بوارو بخفة ودلال: من يدري؟

ثم حدتْ نفسه قائلاً وهو ينزل الدرج: وأنا، أنا أيضاً لا أدري.

كانت الحفلة في الطابق السفلي مستمرة، ولكنه تجنّب أنظار الحضور وخرج إلى الشارع. كزّر مع نفسه: لا أدري.

كانت مارغريتا كلايتون هي التي تشغل تفكيره. هل كان ذلك الصدق الطفولي وتلك البراءة الصريحة اللذان ظهرا عليها، هل كانا بهذه البراءة حقاً أم أنهما يخفيان شيئاً آخر؟ لقد عاشت في العصور الماضية نساء مشابهاً، نساء لم تتمكن روايات التاريخ من الاتفاق بشأنهن. وخطرت بباله الملكة الإسكتلندية ماري ستيورات. هل كانت تلك الملكة على علم في تلك الليلة في قصر كيرك أوفيلندا بالفعل التي كانت على وشك الحدوث أم كانت بريئة تماماً؟ ألم يخبرها المتآمرون بل؟ هل كانت من أولئك النسوة ذوات البساطة الطفولية اللاتي يستعلن أن يقنعن أنفسهن بأنهن لا يدرين شيئاً؟ شعر بتأثير مارغريتا كلايتون السحري، ولكنه لم يكن متأكداً تماماً من حقيقة هذه المرأة!

إن أمثال هؤلاء النساء (رغم براءتهن شخصياً) يمكن أن يكنّ سبباً في الجريمة. إن نساء من هذا النوع يمكن أن يكنّ أنفسهن محرّكات بالنوايا والأهداف، إن لم يكن بالتنفيذ المباشر. إن أيديهن ليست أبداً بالأيدي التي تمسك بالسكين.

أما بالنسبة لمارغريتا كلايتون... لا، لم يكن يدري!

أمر آخر. سأسجل أنا انطباعاتي الخاصة عن القائد مكلارين والسيد والسيدة سيبنس، ولكنني أريد انطباعاتك أنت أيضاً عنهم.

- جوك مكلارين واحدٌ من أصدقائنا القدامى، وقد عرفته منذ كنت طفلة. وهو يبدو عنيداً وقاسياً للوهلة الأولى، ولكنه -في الحقيقة- صديق عزيز لم يتغير، ويمكن الاعتماد عليه دائماً. ورغم أنه غير مرح ولا مُسلٍ إلا أنه طود شامخ، وقد كنا أنا وآرنولد نعتمد على تقديراته كثيراً.

سأل بوارو وهو يطرف بعينيه: وهو أيضاً كان يحبك بلا ريب؟ أجابت بسعادة: آه، نعم؛ لقد أحبني دوماً، ولكن ذلك أصبح الآن بحكم العادة.

- وماذا عن الزوجين سيبنس؟

- إن رفقتها ممتعة ومسلية. ليندا سيبنس فتاة ذكية حقاً، وقد كان زوجي يستمتع بالحديث معهما، فهي جذابة أيضاً.

- أنتما صديقتان؟

- أنا وليندا؟ بطريقة ما، فأنا لا أدري إن كنت حقاً أحبها. إنها حقودة جداً.

- وزوجها؟

- آه، جيريمي إنسان مرح مغرم بالموسيقى وله معرفة واسعة بالأفلام السينمائية، وقد كنا نذهب معاً إلى السينما كثيراً.

نهض بوارو قائلاً: حسناً، سأرى بنفسي، وأرجو أن لا تندمي على استعانتك بجهودي يا سيدتي.

ولاربخه نظيف تماماً، ويبدو متوازناً عقلياً. ولا أدري ماذا تريد بعد
كل ذلك.

- أريد أن أثبت أن ريتش لم يرتكب الجريمة.

كشّر المفتش ميلر تكشيرة كريهة وقال: حتى تُرضي السيدة،
أليس كذلك؟ «فتش عن المرأة»! ولا سيما إذا تملكها حب الانتقام.
لو سنحت لها الفرصة لاقتربت ذلك بنفسها.

- لا، ليس إلى هذا الحد!

- ستفاجأ إذا أخبرتك أنني عرفت امرأة مثلها ذات مرة، وقد
أزاحت زوجين من طريقها دون أن تطرف عينها الزرقاوان البريتان،
وكان يتكسر قلبها في كل مرة أيضاً. كانت هيئة المحلفين سبّرتها لو
كانت هناك نصف فرصة لذلك، الأمر الذي لم يكن وارداً إذ كانت
الأدلة قاطعة.

- حسناً يا صديقي، لتترك الجدل جانباً. إن ما سأنتجراً وأطلبه
منك هو بعض التفاصيل الموثوقة حول حقيقة ما حدث؛ إذ أن ما
تطبعه الصحف هو أخبار وليس حقائق!

- لا بد للصحفيين من أن يسألوا أنفسهم. ما هي التفاصيل
التي تريدها؟

- وقت الوفاة، بأدق ما يمكن.

- وهو ما لا يمكن أن يكون دقيقاً تماماً لأن الجثة لم تُفحص إلا
صباح اليوم التالي. يُقدَّر أن الوفاة قد وقعت قبل موعد الفحص بثلاث
عشرة ساعة إلى عشر ساعات؛ أي بين الساعة والعاشر من الليلة

لم يجد هيركيول بوارو محامي الرائد ريتش متعاونين كثيراً،
لكنه لم يكن يتوقع تعاونهم أصلاً. أشاروا، دون أن يقولوا بصراحة،
إلى أن من مصلحة موكلهم أن لا تُظهر السيدة كلايتون أي مؤشر
للاهتمام أو التحرك لصالحه.

كانت زيارته لهم من قبيل «دخول البيوت من أبوابها»؛ إذ أن
له من النفوذ في وزارة الداخلية وقسم المباحث الجنائية ما يمكنه من
ترتيب مقابلة مع الرائد السجين.

لم يكن المفتش ميلر (المسؤول عن قضية كلايتون) من
المفتشين الذين يفضلهم بوارو، ولكنه لم يكن -مع ذلك- عدائياً
إزاء اشتراك بوارو في التحقيق، بل اتّسم موقفه بالازدراء فقط. وقد
قال لمساعدته الرقيب قبل دخول بوارو: لا يسعني إضاعة الوقت مع
هذا العجوز المتطفل، ومع ذلك عليّ أن أكون مهذباً معه.

وعندما دخل بوارو قال ميلر بمرح: عليك -يا سيد بوارو- أن
تُخرج الأرانب من القبة إذا أردت أن تثبت براءة هذا المتهم؛ فلا
أحد غير ريتش كان بإمكانه قتل الرجل.

- باستثناء الخادم؟

- آه، سأقرّ لك بهذا الاحتمال، ولكنك لن تجد شيئاً في هذا
الاتجاه. ليست هناك أية دوافع.

- لا يمكنك الجزم بذلك، فالدوافع تكون غريبة جداً أحياناً.

- صحيح، ولكنه لم يكن على صلة بكلايتون بأي شكل،

السابقة... لقد طُعن القاتل في الوريد الوداجي في الرقبة، ولا بد أن الوفاة حدثت خلال لحظات.

- وسلاح الجريمة؟

- نوع من المدى الإيطالية، صغير تماماً وحاد كالמוש. لم يره أحد من قبل ولم يعلم أحد مصدره، ولكننا سنعرف ذلك في النهاية... إنها مسألة وقت وصبر.

- أليس ممكناً أن تكون هذه المدية قد التُقطت عرضاً خلال مشاجرة؟

- لا أظن، فقد قال الخادم أنه لا يوجد شيء كهذا في الشقة.

- إن ما يشير اهتمامي هو البرقية، تلك البرقية التي استدعت آرولد كلايتون إلى إسكتلندا... هل كان ذلك الاستدعاء حقيقياً؟

- لا، لم تقع هناك أية مشكلات أو تعقيدات، وكانت معاملة نقل ملكية الأرض تسير بشكل طبيعي.

- إذن فمن أرسل تلك البرقية؟ إنني أفترض أنه كانت هناك برقية بالفعل.

- نعم، لا بد من وجودها؛ ليس تصديقاً لكلام السيدة كلايتون بالضرورة، ولكن لأن السيد كلايتون أخبر الخادم أنه استدعي برقية إلى هناك، كما أنه أخبر القائد مكلارين أيضاً.

- متى رأى كلايتون القائد مكلارين؟

- تناولوا معاً عشاء خفيفاً في ناديهما، نادي الخدمات المشتركة،

وكان ذلك في نحو الساعة والربع. ثم استقل كلايتون سيارة أجرة إلى
هتل ريتش، ووصل هناك قبل الساعة الثامنة بقليل. وبعد ذلك...

وبسط ميلر يديه مشيراً إلى أن الأمور جرت بعد ذلك كما هو
المعروف. سأله: بوارو: هل لاحظ أحد أي شيء غريب في سلوك
الريتش في تلك الليلة؟

آه، حسناً، إنك تعلم كيف يتصرف الناس. ما إن يحدث
شيء حتى يظن الناس أنهم لاحظوا كثيراً من الأمور التي أراهن أنهم
لم يروها أبداً. مثلاً قالت السيدة سينس إن ريتش كان شاردأ طوال
السهرة وإنه لم يُجِب عن الأسئلة التي وُجِّهت إليه بدقّة، كما لو كان
لديه شيء في ذهنه. ولا شك أنه كان في ذهنه شيء لو كان في
صندوقه جثة وهو حائر لا يدري كيف يتخلص منها!

- لماذا لم يتخلص منها؟

- هذا ما يحيرني كثيراً. هل فقد أعصابه؟ ربما، ولكن تركها حتى
اليوم التالي كان جنوناً. كانت لديه أفضل فرصة للتخلص من الجثة في
تلك الليلة، فلم يكن للمبنى حارس ليلي؛ كان بإمكانه إحضار سيارته
ووضع الجثة في صندوقها (وهو صندوق كبير) والخروج باتجاه الريف
ليخفي الجثة في مكان ما هناك. كان ثمة احتمال أن يُرى وهو يُخرج
الجثة إلى السيارة، ولكن الشفق حيث مسكنه تقع في شارع جانبي،
وهناك ساحة يمكن تقريب السيارة من خلالها. في الساعة الثالثة صباحاً
على سبيل المثال - كانت له فرصة جيدة لإخراج الجثة. فما الذي
فعله؟ ذهب إلى فراشه لينام حتى ضحى اليوم التالي، وليصحو على
أصوات الشرطة في شقته!

- لقد أوى إلى فراشه ونام يعمق كما كان لرجل بريء أن يفعل.

- انظر إلى الأمر هكذا إن شئت، ولكن هل تعتقد حقاً أنه بريء؟

- ينبغي أن أؤخر الإجابة على هذا السؤال حتى أرى الرجل بنفسه.

- وهل تعتقد أنك تميز البريء عندما تراه؟ إن الأمر ليس بهذه السهولة.

- أعلم أن الأمر ليس سهلاً، ولن آذعني أنني أستطيع تمييز البريء لدى رؤيته. ولكن ما أريد معرفته هو: هل الرجل على هذا القدر من الغباء الذي يبدو عليه؟

- ٤ -

لم يكن في نية بورلو أن يرى تشارلز ريتش حتى يلتقي بالآخرين جميعاً، وقد بدأ بالفائدة مكلارين.

كان مكلارين رجلاً طويلاً ذاكن اللون لا يحب الكلام، وكان وجهه لطيفاً رغم التجاعيد التي تملؤه. تاجر بورلو رغم عجب الرجل وصعوبة الحديث معه. قال مكلارين وهو يمسك بملاحظة مارغريتا والتردد يظلم عليه: حسناً، إذا كانت مارغريتا تريدني أن أخبرك بكل ما أستطيعه فسأفعل ذلك بالطبع، مع أنني لا أعلم بأي شيء أخبرك. لقد سمعت القصة كلها بالتأكيد، ولكنني سأفعل ما تريد مارغريتا. لقد فعلت دوماً ما كانت تريد منذ أن كانت فتاة في السادسة عشرة من عمرها، إذ أن لها تأثيرها كما تعلم.

- أعرف ذلك. ولكنني أريد منك أولاً أن تجيبني بصراحة تامّة عن هذا السؤال: هل تعتقد بأن الرائد ريتش مذنب؟

- نعم، أعتقد ذلك. لم أكن لأقول ذلك لمارغريتا إن اختارت أن تؤمن ببراءته، ولكنني -بسببساطة- لا أستطيع رؤية الأمر بطريقة أخرى. ففكر بالأمر، لا بد أنه مذنب.

- هل كانت بينه وبين السيد كلايتون مشاعر عذائية؟

- أبداً، بل كان أفضل الأصدقاء، وهذا ما يجعل الأمر كله مستغرباً جداً.

- ربما كانت صداقة الرائد ريتش مع السيدة كلايتون...

قاطعه مكلارين: نياً لكل تلك الشائعات التي تشير الصحافة إليها بخبث، يا لهذا المنمّر اللعين! لقد كانت السيدة كلايتون وريتش مجرد صديقين وحسب! ومارغريتا العديد من الأصدقاء. أنا صديق لها ولستوات طويلة، وليس في صداقتنا ما نودّ إخفاؤه عن أعين الناس. والشيء نفسه ينطبق على تشارلز ومارغريتا.

- إذن فأنت لا تظن أنهما كانا على علاقة عاطفية؟

- بالتأكيد لم يكونا كذلك.

قالها بغضب وتشديد، وأضاف: لا نصح إلى تلك المشعوذة السيدة سيسنس، فهي لا تخرج عن قول أي شيء.

- ولكن ربما شكّ السيد كلايتون في وجود شيء ما بين زوجته والرائد ريتش؟

أما أنا فقد اكتفيت بالشراب، فقد كنت داعياً إلى عشاء كما تذكر.

- هل ذكر شيئاً عن برقية؟

- نعم.

- ولكم لم يطلعكم عليها فعلياً؟

- نعم.

- هل قال إنه سيعمر على ريش؟

- ليس بهذا الشكل المحدد. في الواقع لقد قال إنه يشك فيما

أما كان يملك الوقت للذهاب إليه، وقال: "يمكن لمارغريتا أن تعتذر
عني، لو أنت". ثم قال: "أرجو أن تتأكد من مرافقتها إلى المنزل بعد
الحفلة". ثم مضى. كان ذلك كله طبعاً وبسيطاً.

- هل كانت لديه أية شكوك حول حقيقة البرقية؟

قال القائد مكلارين وكأنه قد جنن: ألم تكن حقيفة؟

- يبدو أنها لم تكن صحيحة.

- هذا غريب جداً!

سرح القائد مكلارين فيما يشبه الغيبوبة، ثم صمغاً فجأة ليقول:

ولكن هذا غريب فعلاً. أعني: ما هو المقصود من ذلك؟ تنكاً يريد

منه أن يذهب إلى إسكتلندا، ولماذا؟

- هذا سؤال يحتاج إلى إجابة بالتأكيد.

غادر هيركيول بوارو تاركاً مكلارين وهو يفكر في هذه اللطيفة.

- إنه لم يشك في أي شيء من هذا القليل. عذعها متي، فقد كنت
سأعلم لو كان الأمر كذلك لأننا كنا (أزولك وأنا) قريين جداً بعضنا
من بعض.

- من أي نوع من الرجال كان أزولك؟ أنت تعرفه أكثر من
غيرك.

- كان رجلاً هادئاً، ولكنه ذكي ولاع جداً كما اعتقد. كان
بالفعل ذا عقل مالي من الدرجة الأولى كما يقولون، وكان مسؤولاً
كبيراً في وزارة المالية كما تعلم.

- هكذا سمعت.

- كان يقرأ كثيراً، ويجمع الطوابع، وكان مغرمًا جداً بالموسيقى،
ولكنه لم يكن يهتم بالخروج من البيت.

- هل كان زواجه سعيداً برأيك؟

لم يأت جواب القائد مكلارين سريعاً. بدا أنه يفكر لحل هذا
اللغز، وأخيراً قال: تصعب الإجابة عن هذا السؤال تماماً. نعم، أعتقد
أنهما كانا سعيدين. كان مغرمًا بها بطريقته الهادئة، وأنا متأكد من أنها
كانت تحبه. لم يكن انفصالهما وارداً إذا كان هذا ما تفكر فيه، ولكن
ربما لم يكونا متشابهين كثيراً.

مر بولوم رأسه، فقد حصل على ما اعتقد أنه يمكنه الحصول
عليه. قال: أخبرني الآن عن تلك الشهرة الأخيرة. لقد تناول السيد
كلايتون العشاء معك في النادي، فماذا قال؟

- قال إن عليه الذهاب إلى إسكتلندا، وبدا متزعجاً من ذلك.
ولم يتعش، بل قال إنه لا وقت لديه فاكثي بأن تناول شعطائر وشراباً.

كانت عائلة سييس تعيش في بيت صغير في تشيلسي. استقبلت
ليندا سييس بوارو بحفاوة بالغة قائلة: أخبرني كل شيء عن
مارغريتا... أين هي؟

- هذا ما لا أستطيع أن ألوح به يا سيدتي.

- لقد احتجأت جيداً! إنها ذكية جداً في مثل هذه الأمور،
ولكنها سوف تُستدعى لتقديم شهادتها في المحكمة كما أظن؟ لن
تستطيع التمسك من ذلك.

نظر إليها بوارو نظرة تفحص وتخبين، واعترف لنفسه بردد:
إنها جميلة حسب مقاييس الأسلوب الحديث، فهي تشبه طفلاً
بنياً مصاباً بسوء التغذية. لم تكن من النوع الذي يحبه، بشعرها
المنفوش حول رأسها بطريقة فوضوية مقصودة وبعينها اللاذعتين
التي تراقبانه. كانت ترتدي بنطالاً أسود وسترة صفراء ضخمة تتدلى
إلى ركبتها تقريباً.

بادرت بالسؤال: ما هو دورك في كل هذه الفصحة؟ أن تقذف
العشيق من المشكلة بطريقة ما؟ هذا هو دورك؟ ما أبعده من أملي!

- تعتقدن أنه مذنب إذن؟

- طبعاً، ومن غيره؟

قال بوارو لنفسه: "هذا هو السؤال"، ولكنه تفادى بسؤال آخر:
كيف بدا لك الرائد ريتش في تلك الأمسية؟ كعادته أم على غير عادته؟

عشقت ليندا سييس عينيها وهي تتلقت حكمها: لا، إنه لم يكن
كعادته، كان مختلفاً.

إلى أي مدى؟

- حسناً، إذا طعنت رجلاً بيرودة أعصاب...

لكنك لم تكوني تدركين في ذلك الوقت أنه طعن رجلاً
بيرودة أعصاب، أليس كذلك؟

طبعاً لم أكن أعرف.

- إذن فكيف فشرت عندها كونه «مختلفاً»؟ بأية طريقة؟

- حسناً، كان شامداً. آه، لا أدري، ولكنني عندما فُكرت
بالأمر في وقت لاحق ففرت أنه كان هناك شيء ما.

تهدد بوارو وسأل: من وصل أولاً؟

- نحن وصلنا أولاً، أنا وجيريمي، ثم جوك، وأخيراً
مارغريتا.

- ومنذ ذلك رحيل السيد كلايتون إلى إسكتلندا لأول مرة؟

- عندما وصلت مارغريتا، إذ قالت لشارلز: "إن آرثولد يعتبر
جداً، فقد اضطر إلى الذهاب بسرعة إلى إدنبرة في قطار المساء". فقال
لشارلز: "آه، هذا سيء". ثم قال جوك: "آسف، عشتك تعلم ذلك".

- ألم يشر ريتش إلى رويته للسيد كلايتون في ذلك المساء؟ ألم
يقل شيئاً عن مروره بشفته وهو في طريقه إلى المحطة؟

- أنا لم أسمعها يشير إلى ذلك.

- كانت غريبة تلك البرقية، أليس كذلك؟

- ما الغريب فيها؟

- كانت مزيفة، لا يعلم أحدٌ في إدنبرة أي شيء عنها.

- هكذا إذن؟ لقد استغربت الأمر في حبه.

- هل كان عندك معلومات عن البرقية؟

- لنقل إن الأمر يجذب الانتباه.

- ماذا تعنين بالضبط؟

- يا عزيزي، لا تمثل دور البريء؛ لقد قام مخلوع مجهول بإبعاد الزوج عن الطريق!

- هل تعنين أن الرائد ريش والسيدة كلايتون خططاً لنفساء الوقت معاً؟

- لقد سمعتُ أنتِ بمثل هذه الأمور، أليس كذلك؟

- قالت جملتها وهي تبدو فرحة بالأمر.

- وتعتقدين أن البرقية أرسلها أحدهما؟

- هذا ما لن يدعشني وقوعه.

- إذن أنتِ تعتقدين أن الرائد ريش والسيدة كلايتون كانا على علاقة غرامية؟

- دعني أقل إن هذا ما كان ليدعشني لو كان صحيحاً، ولكنني لا أعرف عنه شيئاً.

- هل شك السيد كلايتون؟

- كان آرنولد شخصاً استثنائياً؛ كان محصور المشاعر إن كنت لدرك ما أعنيه. أظنه كان يعلم، ولكنه كان من النوع الذي لا يشي بأحاسيسه أبداً. وقد يعتقد الجميع أنه كان خشية باسرة لا مشاعر فيها، ولكنني واثقة تماماً من أنه لم يكن كذلك في أعماقه. الغريب في الأمر هو أن دعشني كانت أقل بكثير لو أن آرنولد هو الذي طعن تشارلز، لا العكس، فإنا أعتقد أن آرنولد كان غيوراً إلى حد الجنون.

- هذا أمر مثير.

- مع أنه كان سيفتل مارغريتا على الأرجح؛ كما حصل في قصة «عُطيل». إن لمارغريتا تأثيراً رهيباً في الرجال كما تعلم.

- قال يوارو مقللاً من حبيبة سحر تلك المرأة: إنها امرأة حسنة الشكل.

- إنها أكثر من ذلك؛ إن لديها شيئاً يولع بها الرجال، تلتفت هي لتنظر إليهم فائحةً عينها بدعشة تثير جنونهم.

- المرأة الفاتلة!

- نعم، ربما كان هذا هو الوصف الأفضل لها.

- هل عرفتها عن كتب؟

- إنها واحدة من أفضل صديقاتي يا عزيزي، ومع ذلك فأنا لا ألق بها لحظة.

- آه!

تهد بورارو قائلاً: ما قد عدنا إلى مسرحية عطيل. نعم، تُعطيل،
لقد أوحيت لي بفكرة صغيرة.

- صحيح؟ ما هي؟

قطع حديثها صوتُ المفتاح والباب وهو يُفتح. فقالت: آه، ها
هو جيريمي. هل تريد التحدث معه أيضاً؟

كان جيريمي رجلاً حسن المظهر في الثلاثينات من عمره، وقد
بدا مستعداً للقائه وحذراً إلى حد بلغت الانتباه. قالت السيدة سيس
إن عليها أن تراقب الطعام في المطبخ وذهبت تاركة الرجلين معاً.

لم يُبدِ جيريمي سيس شيئاً من الصراحة والاهتمام الذي أبدته
زوجته، فقد كان واضحاً كرهه الشديد للتورط في هذه القضية أساساً،
وكانت ملاحظاته حذرة ولا تحتوي أية معلومات. قال إنه وزوجته قد
هرغا عائلة كلايتون منذ فترة، ولم يعرفا رينش بشكل جيد. وصفه بأنه
شخص محب وأنه كان تماماً كعادته في تلك السهرة ولم يلاحظ عليه
أي تغيير، وأن كلايتون ورينش كانا دائماً متفقين متحابين فيما يبدو،
وإن القصة كلها يصعب تفسيرها.

وكان واضحاً طوال المقابلة أن جيريمي سيس يريد من بورارو
أن يعاود، مع أنه كان مؤدباً، مؤدباً فحسب.

قال بورارو: أخشى أنك لا تحب هذه الأسئلة؟

- حسناً، لقد خضعتنا لجلسات مع الشرطة بشأن هذا الموضوع،
وأشعر أن ذلك كان كافياً. لقد قلنا كل ما نعرفه وما رأيناه، والآن أريد
أن أنسى الموضوع.

قالها بورارو ثم حوّل الموضوع بسؤاله عن القائد مكلارين،
فقالت: جوك؟ الصديق المخلص القديم؟ إنه صديقهم المدلل الذي
وُلد ليكون صديقاً للعائلة. كانت علاقته حميمة مع آرثولد الذي كان
يرتاح له أكثر من أي شخص آخر، كما كان قطة مارغريتا الأليفة
بالطبع، وهو معزم بها منذ سنوات طويلة.

- وهل كان السيد كلايتون يعاود منه أيضاً؟

- يعاود من جوك؟ يا لهذه الفكرة! إن مارغريتا مقرمة بجوك
على نحو فريد، ولكنها لم تظهر له أبداً شيئاً من ذلك. لا اعتقد حقاً
أن يوسع المرء... لا لأدري لماذا، ولكن الأمر يبدو مخجلاً، فهو
لطيف جداً.

حوّل بورارو الموضوع إلى الخادم. ولكن ليندا بدت خالية من
أية أفكار بشأن الخادم، حتى إنها لم تلاحظ وجوده لولا ملاحظة
باعتة مفادها أنه يقدم الطعام بشكل جيد. ولكنها كانت سريعة جداً
في فهم الموضوع.

- اعتقد أنك تفكر بأن الخادم كان يستطيع قتل آرثولد بنفس
السهولة؟ أظنها فكرة مجترنة!

- إن ملاحظتك تحزنني يا سيدتي. ولكن يبدو لي أيضاً (مع
أنك قد لا توافقيني) أن من الجنون أيضاً ليس قتل الرائد رينش
لأرثولد كلايتون ولكن قتله بالطريقة التي قتله بها.

- لقد قصدت تلك المدينة الصغيرة؟ نعم، فهي لا تتماشى مع
شخصيته مطلقاً. ربما كانت الطرق غير الجارحة أكثر انسجاماً؛ ربما
كان بإمكانه أن يخطفه مثلاً.

- إن مشاعري الفلية معك؛ فمن التزعج تماماً أن يقع المرء في مثل هذا الأمر وأن يُطلب منه ليس فقط ما يعرف وما يرى، بل ربما ما يقن!

- الأفضل أن لا أظن!

- لا يمكن للمرء أن يتجنب ذلك، هل تظن -مثلاً- أن السيدة كلايتون كانت ضالعة في الجريمة أيضاً؟ هل خطفت ل مقتل زوجها مع ريتش؟

- يا إلهي! لا.

بدا سينس مصعوفاً، وأضاف قائلاً: لم تخاطر لي فكرة طرح سؤال من هذا النوع.

- ألم تشر زوجتك إلى مثل هذا الاحتمال؟

- أه! ليتذا؟ إنك تعرف طبائع النساء، فهن دائماً يضمرن العداوة بعضهن لبعض. ومارغريتا لم تثل إعجاب بنات جنسها أبداً؛ فهي ذات سحر يحظى بلعائتهن. ولكن نظرية تخفيف مارغريتا وريتش للجريمة معاً نظرية خيالية بالتأكيد!

- لقد حدثت مثل هذه الأشياء، كما أن سلاح الجريمة -على سبيل المثال- من نوع تلك الأسلحة التي يمكن للنساء اقتناؤها أكثر من الرجال.

- هل تعني أن الشرطة قد عرفوا أن المدنية لها؟ لا يمكن! أقصد...

- لا أدري.

قالها يوارو بصدق، ثم اتصرف بسرعة.

وقد استنتج يوارو -من الرعب الذي ملا وجه سينس- أنه قد ترك للرجل شيئاً ليفكر فيه!

-6-

- احذوني إذا قلت لك إنني لا أرى طريقة تستطيع أن تساعدني بها يا سيد يوارو.

لم يحب يوارو، فقد كان يتأمل وجه الرجل الذي ألهم بقتل صديقه آرثولد كلايتون. كان رجلاً نحيلاً أسمر ذا جسم رياضي قوي ورأس صغير، ولم يكن وجهه ليصحح عن أي شيء، وقد استقبل زواره بأسلوب ينقصه الكثير من الود.

قال: أعرف أن السيدة كلايتون قد أرسلتك لرؤيتي وهي تحمل أفضل النوايا، ولكن أعتقد -بصراحة- أنها لم تكن عاقلة بهذا الشأن، غير عاقلة وغير مقدرة لمصلحتها الخاصة والمصلحتي أيضاً.

- ماذا تعني؟

ألقى ريتش نظرة غامضة ملتفتاً إلى الحارس الحاضر الذي كان يقف جانباً كما تقتضي التعليمات، ثم خفض صوته قائلاً: إنهم مطالبون بالمتور على دافع لهذا الاتهام السخيف، وسوف يحاولون إثبات أي رابط بيني وبين السيدة كلايتون. وهذا باطل تماماً كما أعتبرك السيدة كلايتون ولا بد، فنحن مجرد صديقين لا أكثر. ولذلك فالأفضل أن لا نقوم بأية خطوة لصالحني.

تجاهل هيركيول يوارو هذه النقطة وأثر أن يلتقط كلمة واحدة:

لقد قلت إنه إتهام سخيف، مع أنه ليس سخيفاً كما تعلم.

بيرجس؟

نعم، فإن لم تكن أنت الذي قتل كلايتون فلا بد أنه بيرجس. لا
ظهر من هذه القرصية كما يبدو. ولكن لماذا؟ لا بد من وجود سبب،
وأنت الوحيد الذي يعرف بيرجس بشكل جيد يسمح له بالتخمين.
لماذا يا راند رينش، لماذا يمكن لبيرجس أن يقتل كلايتون؟

لا أستطيع تصور ذلك. لقد اتبعت -بالمناسبة- الطريقة
للسها في التحليل. صحیح أن بيرجس كانت لديه القرصية، بل إنه
الوحيد سواي الذي كانت له القرصية للقتل، ولكن المشكلة هي أنني لا
أصدق ذلك، فبيرجس ليس من النوع الذي يمكن تخيله بقتل أحداً.

ما الذي يعتقدك مستشاروك القانونيون؟

مط رينش شفبه مكفهراً وقال: إتهام يعضون وقتهم في سؤال
(وربما إقناعي) إن كان صحيحاً أنني عانيت في حياتي من حالات
لقدان الوعي حيث لا أعود متذكراً لما أفعله!

هل وصل بهم العجز إلى هذا الحد؟ حسناً، ربما نحاول أن
نثبت أن بيرجس هو الذي كان عرضة لهذه الحالات. إنها مجرد فكرة.
والآن سأسألك عن سلاح الجريمة، لقد عرضوه عليك وسألوك إن
كان لك؟

- إنه ليس لي، ولم أره أبداً من قبل.

- أنا أعرف أنه لم يكن لك، ولكن هل أنت متأكد تماماً من
أنك لم تراه من قبل؟

- نعم.

- هو كذلك لأنني لم أقتل أرنولد كلايتون.

- سته اتهاماً باطلاً إذن، قل إنه غير صحيح، ولكنك ليس
سخيفاً. بل إنه اتهام مقبول ظاهرياً، ينبغي عليك أن تدرك ذلك
تماماً.

- كل ما أستطيع قوله لك هو أنني أرى هذا الاتهام عيالياً
أحمق!

- إن قولك هذا لن يكون ذا فائدة تذكر. ينبغي علينا أن نفكر
بشيء أكثر جدوى.

- لي محامون يمثلونني، وقد هتؤوا هيئة دفاع بارزة للدفاع
عني، ولذلك فلن أقبل استعمالك لكلمة «علينا».

انتمس بوارو فجأة، ثم قال بأسلوبه الأجنبي: أه، هذا هو
تحذيرك لي! حسناً، سأذهب. لقد أردت رؤيتك وقد رأيتك، وكنت
قد اطلعت على سجلك المهني؛ لقد نجحت في الانخراط في كلية
ساندهيرست العسكرية ونجحت في الالتحاق بكلية الأركان، وهكذا
استمرت نجاحاتك. لقد أصدرت حكمي عليك اليوم: أنت لست
رجلاً عيباً.

وما علاقة كل ذلك بالقضية؟

له كل العلاقة؛ إذ يستحيل على رجل بدوعلاتك أن يرتكب
... بالطريقة التي تمت بها هذه الجريمة. حسناً، أنت بريء.
... من الآن عن خادمك بيرجس.

أمسك بيرجس بالباب مفتوحاً باحترام بينما دخل بوارو إلى
فضحة المدخل الصغيرة المربعة، وعلى الجهة اليسرى للفضحة كان
هناك باب مقفول يؤدي إلى غرفة الجلوس، حيث دخل بوارو وتبعه
بيرجس بعد أن أخذ منه معطفه وقبعته.

قال بوارو وهو ينظر حوله: أه، هنا حدث الأمر إذن؟

- نعم يا سيدي.

كان بيرجس رجلاً هادئاً شاحب الوجه نحيل الجسم تماماً،
فأكتفين ومرفقين غير متناسين وصوت منخفض يحمل لهجة ريفية
لم يميزها بوارو، وربما كانت لهجة الساحل الشرقي. بدأ شخصاً
أعصب المزاج، وفيما عدا ذلك لم تكن له خصائص محددة. كان من
العصب ربطه بأي فعل إيجابي من أي نوع، فهل يمكن أن يفترضه
فقط سلباً؟

كانت له تلك العينان الزرقاوان الشاحبتان اللتان ما تفتكجان
للمركان من مكان إلى آخر، تلك الصفة التي غالباً ما يرى فيها الناس
غير المتعصبين في الملاحظة دليلاً على عدم الأمانة... مع أن الكاذب
يمكن أن ينظر في وجه المرء بعين وثيقة قوية.

سأل بوارو: ما الذي يحدث للشقة؟

- ما أزال أعني بها يا سيدي، فقد قام الرائد ريتش بترتيب
مسألة أجري والاستمرار في العناية بالشقة حتى... حتى...

وتحركات العينان بانزعاج، فسأله بوارو: "نعم، حتى..."
لم أضاف وكأنه يقرر حقيقة واقعة: لا بد أن الرائد ريتش سيُقدَّم

بدا في موقفه تردد بسيط قبل أن يكمل: إنه نوع من ألعاب
الزينة. أشياء كهذه ربما وأها المرء مقلدة في بيوت الناس.

- في غرفة استقبال امرأة مثلاً؟ ربما في غرفة استقبال السيدة
كلايتون؟

صاح ريتش: بالتأكيد لا!

نظر الحارس عندما سمع صوت ريتش العالي. قال بوارو:
حسناً، لا حاجة للصراخ. ولكن ربما رأيت في مكان ما في وقت ما
شيئاً يشبه تلك المدية. صحيح؟

- لا أظن ذلك، ربما فقط في بعض محلات التحف البادرة.

- هذا محتمل جداً.

ثم نهض بوارو وقال: عن إذنك.

-V-

قال بوارو لنفسه: والأنا إلى بيرجس، نعم! أخيراً إلى بيرجس.
كان قد عرف شيئاً عن شخصيات هذه القضية، منهم أنفسهم
أول مما قاله بعضهم عن بعض. ولكن أحداً لم يعطه أية معلومة عن
بيرجس، لا طرف خيط ولا إشارة من أي نوع إلى طبيعة هذا الرجل.

عندما رأى بيرجس أدورك السبب. كان الخادم بانتظاره في شقة
الرائد ريتش، إذ كان القائد مكلايرين قد أعلمه هاتفياً بزيارة بوارو.

- أنا هيركيول بوارو.

- نعم يا سيدي، كنت بانتظارك.

للمحاكمة، ويُحتفل أن تُعرض القضية خلال ثلاثة أشهر.

مز بيرجس رأسه بحيرة وقال: إنه أمر غير ممكن.

- هل تعني أن يكون الرائد ريتش قاتلاً؟

- كل ما جرى غير ممكن، ذلك الصندوق...

وذهب نظره عبر الغرفة، فقال بوارو: أه! هذا هو الصندوق الشهير إن؟

كان الصندوق قطعة من أثاث ضخمة، من الخشب الأسود اللامع المرصع بالبحاس، وبه مشبك نحاسي ضخيم عليه قفل أثري. مشى بوارو إليه قاتلاً؛ قطعة أثاث ضخمة.

كان الصندوق مستنداً إلى الجدار قرب النافذة، محاذياً لخزانة حديثة لحفظ أشرطة التسجيل، وعلى جانيه الآخر كان هناك باب مفتوح قليلاً، وقد اختفى جزء من الباب خلف قاطع خشبي ضخيم متحرك على شكل لوحة زُيّنت بالرسوم.

قال بيرجس: هذا يؤدي إلى غرفة نوم الرائد ريتش.

مز بوارو رأسه فيما سافرت نظراته إلى الجانب الآخر من الغرفة. كان هناك جهاز تسجيل وُضع كل منهما على طاولة منخفضة وقد تدلت منهما كالأقماع نهايات أشرطة التسجيل. كما كان هناك كرسي مريحة وطاولة كبيرة، وعلى الجدران مجموعة من اللوحات اليابانية. كانت غرفة أنيقة ومريحة ولكنها لم تكن مترفة.

نظر ثانية إلى وليام بيرجس، ثم قال بلفظ: لا شك أن اكتشاف الجثة كان صدمة قاسية لك.

- نعم يا سيدي، إنني لن أنساها أبداً.

ثم اندفع الخادم بالكلام والكلمات تتدفق من فمه، وكأنه قد أحس أن إعادة سرد القصة مراراً سيحورها من عقله: كنت أنظف الغرفة يا سيدي وأخذ الكؤوس وسائر مخلفات الحفلة. ثم توقفت لأشطف حثي زيتون عن الأرض فرأيت ذلك على السجادة، بقعة داكنة بلون الصدأ. لا، السجادة ليست هنا الآن، فقد أخذت إلى محل التنظيف... تولى الشرطة أمرها. فكرت ثم قلت لنفسي على صيل الضحك: "إنها تبدو كأنها الدماء! ولكن من أين أتت؟ ما الذي انكسر؟"، ثم أدركت أنها جاءت من الصندوق، من جانبه هنا حيث يوجد شرخ. وقلت لنفسي ثانية وأنا ما أزال غالي الذهن: "حسناً، لكن ما يكون"، ثم رفعت الغطاء هكذا (وطائئ فعله كلماته) ورأيتها هناك، جثة رجل مضطجع على جانبه وقد توقف جسمه كما لو كان نائماً، وتلك السكين أو الخنجر الغريب الكريه مغروز في رقبته. إنني لن أنسى ذلك، أبداً، سأذكره طوال حياتي! كانت صدمة غير متوقعة، هل تفهميني؟

أخذ نفساً عميقاً ثم تابع: تركت غطاء الصندوق يقع وركضت خارج الشقة إلى الشارع لأبحث عن شرطي، ولحسن الحظ وجدت شرطياً عند المنعطف.

تأمله بوارو بإمعان. كان تمثيله رائعاً إن كان حقاً تمثيلاً، ثم بدأ يخشى أن لا تكون الرواية تمثيلاً بل عرضاً للأمور كما جرت بالفعل. سأله بوارو: ألم تفكر في إيقاف الرائد ريتش أولاً؟

- لم يخطر ذلك ببالي يا سيدي، فبعد الصدمة لم... لم أرغب [لا بمصادرة المكان.

ثم ابتلع ريقه مكتئباً: "... وطلب التجدة.

هز بوزور رأسه ثم سأله: هل أدركت أن الجنة كانت جنة السيد كلايتون؟

- ضروري أنني أدركت ذلك يا سيدي، ولكن لم أصدق نفسي. وعندما عدت برفقة ضابط الشرطة قلت: "يا إلهي، إنه السيد كلايتون!" فسألني: "من السيد كلايتون؟" فقلت له: "كان هنا ليلة أمس."

- آه، ليلة أمس... هل تتذكر متى وصل السيد كلايتون إلى هنا بالضبط؟

- ليس بال دقائق، ولكن قبل الثامنة بأقل من ربع ساعة كما أحسب.

- هل كنت تعرفه جيداً؟

- لقد أتى هو والسيدة كلايتون مراراً إلى هذا البيت خلال السنة التي عملت فيها هنا.

- هل كان يبدو طبيعياً كعادته؟

- أعتقد ذلك. كان يلهث قليلاً، ولكنني عزوت ذلك إلى استعجاله، إذ كان يريد اللحاق بالقطار... أو هكذا قال.

- أظن أنه كان يحمل حقيبة باعتبارها مسافراً؟

- لا يا سيدي، أظنه ترك سيارة أجرة تنتظره في الشارع.

- هل بدت عليه غيبة الأمل وهو يرى أن الرائد ريتش كان خارج البيت؟

- لم ألاحظ غيبة أمل. اكتفى بالقول إنه يريد كتابة ملاحظة، **لدخل** وتوجه إلى المكتب وعدت أنا إلى المطبخ. كنت متأخراً قليلاً **في إعداد الكافيار**، ولأن المطبخ يقع في نهاية الممر فإن المرء لا **يسمع** جيداً من هناك، فلم أسمعه يخرج كما لم أسمع سيدي يدخل، **ولكني** لم أكن لأتوقع...

- وما الذي حدث بعدها؟

- ناداني الرائد ريتش. كان يقف بالباب هنا وقال إنه نسي شراء **صغار** السيد سيبينس التركية المقفلة وطلب مني الإسراع بجلبها، **وهذا** ما فعلته. أحضرتها ووضعتها على الطاولة هنا، واعتقدت طبعاً **أن** السيد كلايتون قد غادر للحاق بالقطار.

- ولم يأت أحدٌ إلى الشقة في أثناء وجود الرائد ريتش خارج المنزل وتشغالك أنت في المطبخ؟

- نعم يا سيدي، لم يأت أحد.

- هل أنت متأكد من ذلك؟

- كيف لأي امرئ أن يتأكد يا سيدي؟ كان على القادم أن يفرع **الحرس**.

هز بوزور رأسه متسائلاً: "كيف لأي امرئ أن يتأكد؟" ... كان يدرك أن باستطاعة الزوجين سيبينس ومكلارين وأيضاً السيدة كلايتون أن يقدموا برهاناً على اشتغالهم في ذلك الوقت بأمرٍ أخرى، فقد كان مكلارين مع بعض معارفه في النادي، وكان الزوجان سيبينس يستقبلان صديقين لهما قبل حضورهما إلى الحفلة، وقد كانت

ماء، أعني حضساء أو ما شابهها من الحشرات التي تقضم الخشب؟

- حشرة؟ هل هذا ممكن؟

عاد يوارو إلى الجانب الآخر من الغرفة وسأل الخادم: عندما عدت إلى هنا بالسجائر هل كان في هذه الغرفة أي تغيير، أي تغيير مهما كان بسيطاً... تغيير في الكرسي أو الطاولة أو أي شيء؟

- غريب منك أن تسأل هذا السؤال يا سيدي. أما وقد ذكرت ذلك فقد كان هناك تغيير، فقد كان ذلك القاطع الخشبي الذي يحجز الهواء عن غرفة النوم قد تحرك قليلاً إلى الجهة اليسرى.

- هكذا؟

قالها يوارو وقد حرك القاطع.

- بل أكثر قليلاً، نعم، نعم هكذا.

كان القاطع قد أعرض أكثر من نصف الصندوق، بل إنه قد غطى بوضعه الجديد - كامل الصندوق تقريباً.

- لماذا تم تحريك القاطع برأيك؟

- لا رأي لي يا سيدي.

(ها هي أنسة ليمون أخرى!)

أضاف بيرجس متشككاً: أعتقد أن هذا من شأنه أن يُبقي الطريق مفتوحاً إلى غرفة النوم، إذا ما رغب النسوة في ترك معاطقهن هناك مثلاً.

- ربما، وربما كان هناك سبب آخر.

مارغريتا كلايتون تتحدث هاتياً مع إحدى صديقاتها في ذلك الوقت بالذات. لم يكن مبعث هذا التفكير شك في أي منهم كمرشح محتمل لتنفيذ الجريمة، فقد كانت هناك طرق أفضل لقتل آرولد كلايتون، أفضل من ملاحظته إلى شقة يعمل فيها خادم ويحتفل عودة صاحبها في أية دقيقة. لا، كان ليوارو أمل أخير في ظهور «غريب غامض»، شخص يخرج من ماضي كلايتون الذي يبدو تقيفاً، فراء في الشارع ويتعرف إلى هويته فينبهه إلى هنا ثم يهاجمه بتلك المدة ويرمي الجثة في الصندوق ويهرب... إنها ميلودراما خالصة لا علاقة لها بالعقل ولا بأية احتمالات، تتناغم مع الروايات الرومنسية التاريخية وتلائم هذا الصندوق الإسباني!

عاد إلى الصندوق ورفع غطاءه فارتفع يسر ودون ضجة. قال بيرجس بصوت خافت: لقد تم تنظيفه يا سيدي، وقد تأكدت من ذلك.

التحن يوارو فوق الصندوق، ثم اتحن أكثر إلى داخله وهو يطلق صوتاً متعجباً. وتخصص الصندوق بأصابعه وهو يقول: هذه الثقوب في الخلف وفي جانب الصندوق تبدو وكأنها قد حُفرت منذ وقت قريب.

- ثقب يا سيدي؟

قال ذلك ثم اتحن ليرى، ثم قال: لا يمكنني حقاً أن أجزم؛ ثم أتبه إلى هذه الثقوب من قبل.

- إنها ليست واضحة تماماً، ولكنها موجودة. ما هو سبب وجودها برأيك؟

- لا أعرف يا سيدي، لا أعرف حقاً. ربما كانت من نخر حشرة

نظر بيرجس متسائلاً، قمضى بوارو قائلاً: إن القاطع يخفي الصندوق الآن ويخفي السجادة تحت الصندوق. ولو افترضنا أن الرائد ريتش قد طعن كلايتون لكان الدم سيبدأ بالانسياب من الشروح الموجودة في أسفل الصندوق، وربما لاحظ أحدكم ذلك كما لاحظته أنت صباح اليوم التالي. وهكذا فقد تم سحب القاطع.

- لم أفكر بذلك مطلقاً يا سيدي.

- ما هو نوع الإضاءة هنا، قوية أم باهتة؟

- سأريك إياها يا سيدي.

سحب الخادم الستائر بسرعة وأشعل مصباحين كان صوتهما خافتاً لا يكاد يسمع حتى بالقرامة. نظر بوارو إلى مصباح معلق بالسقف فقال الخادم: لم يكن هذا المصباح مضاء يا سيدي، إنه لا يُستعمل إلا نادراً.

نظر بوارو حوله، فقال الخادم: لا أعتقد أنك يمكن أن ترى بقعة الدم يا سيدي، فالضوء خافت جداً.

- أنت محق في ذلك، ولكن لماذا تم سحب القاطع إذن؟

ارتعش بيرجس ثم قال: إن التفكير في أن سيداً لطيفاً كالرائد ريتش يفعل شيئاً كهذا أمر مرعب فعلاً.

- أليس لديك شكوك في أنه فعلها؟ لماذا فعلها يا بيرجس؟

- حسناً، لقد غاضى قنطار الحرب طبعاً، وربما كان قد أصيب بجرح ما في رأسه. يملكون إن أمراً كهذاً قد لا نظهر نتائجه إلا بعد سنوات أحياناً، حيث يبدو المصابون يمثل هذه الحالات فجأة أشخاصاً

فهمين لا يدركون حقيقة أفعالهم. ويقال إنهم غالباً ما يلحنون الضرر بالرب وأمر الناس إليهم. هل نعلم أن الأمر كان كذلك؟

حدق بوارو إليه ثم نهذه والفت قائلاً: لا، لم يكن الأمر كذلك.

وبخلفه ساحر اندشت ورقة نقدية في يد بيرجس، فقال: آه، شكراً يا سيدي، ولكنني حقاً لا...

قاطعه بوارو قائلاً: لقد ساعدتني كثيراً إذ أريتني هذه الغرفة ومحتوياتها، وإذ رويت لي ما حدث في تلك الليلة. إن المستحيل ليس مستحيلًا تذكر ذلك. لقد قلت إنه كان هناك احتمالان فقط، وقد كنت محضاً، فهناك احتمال ثالث.

ثم نظر حوله إلى الغرفة فارتعش جسمه قليلاً، وقمضى يقول: الفتح الستائر ودع الضوء والهواء يدخلان، فهذه الغرفة بحاجة إليهما. إنها بحاجة إلى نظهير، وسوف قمضى وقت طويل قبل أن تظهر مما أصابها... من ذكرى الكراهية المشقية.

سلم بيرجس بوارو معطفه وفتحته وهو قائم فته حيرةً وارتباكاً، بينما نزل بوارو (الذي يحب إلقاء العبارات العارضة) إلى الشارع بخطوات رشيقة.

-A-

عندما وصل بوارو إلى بيته أجرى مكالمة هاتفية مع الينتش ميلر وسأله: ما الذي حدث للحقبة كلايتون؟ لقد قالت زوجته إنه حزم حقيبة.

- كانت في النادي. تركها لدى اليواب، ويبدو أنه نسيها وغادر دون أن يأخذها.

- ما الذي كان بداخلها؟

- الأمتعة المتوقعة: بيجاما وقمصان إضافية ولوازم الاغتسال.

- كل شيء.

- ما الذي توقعت أن يكون فيها؟

تجاهل بورو هذا السؤال وقال: فيما يخص المدينة، أترخ عليك الإمساك بأية امرأة كانت تنظف بيت عائلة سييس والتأكد مما إذا كانت قد رأيت مثل هذه المدينة في المنزل.

- السيدة سييس؟ هل يعمل عطفك بهذه الطريقة؟ لقد عرضنا المدينة على الزوجين ولم يعرفها.

- اسألها ثانية.

- هل تعني أن...

- ثم أخبرني بما يقولان.

- لا أكاد أتخيل حقيقة ما نظن أنك قد كشفته!

- اقرأ مسرحية عُطيل يا ميلر وفكر في شخصياتها، فقد أخفنا واحداً منهم!

ثم أظفل بورو الخط وطلب السيدة تشارتوتون، فوجد الخط مشغولاً. حاول ثانية بعد قليل وكان الخط مشغولاً مرة أخرى، فاستدعى خادمه جورج وأمره أن يستمر بطلب الرقم حتى يحقق

الاتصال، فقد كان يعلم أن الليدي تشارتوتون مولعة بالتحدث بالهاتف إلى حد لا يمكن الشفاء منه.

جلس على كرسيه وخلع حذاءه ومدّه قدميه مسترخياً، ثم أخذ يحدث نفسه: لقد كبرت وأصبحت أنتعب بسرعة.

ثم نهال وجهه ومضى قاتلاً؛ ولكن الخلايا ما زالت تعمل. صحیح أنها بطيئة ولكنها تعمل. عُطيل... نعم. من الذي لفت انتباهي إلى ذلك؟ آه، نعم، السيدة سييس. الحفلة، القاطع، الحقة المضطجعة هناك كرجل نائم... إنها جريمة قتل ذكية جرى تصويرها مسبقاً والتخطيط لها... وربما الاستمتاع بها!

أخبره جورج أن الليدي تشارتوتون على الخط.

- هيركيول بورو يتكلم يا سيدتي. هل لي أن أتكلّم مع هيفك؟

- نعم بالطبع. آه يا سيد بورو، هل قمت بعمل رائع؟

- ليس بعد، ولكن ربما قريباً.

ثم سمع صوت مارغريتا الهادي العذب، فقال: سيدتي، عندما سألتك إن كنت قد لاحظت أي شيء غير طبيعي أو في غير مكانه في الحفلة في تلك الأسمية قطعت جيبك كما لو كنت قد تذكرت شيئاً ثم فاتك ذكره، فهل كان ذلك الشيء هو موقع القاطع الخشبي في تلك الليلة؟

- القاطع؟ آه، نعم بالطبع؛ فهو لم يكن في مكانه المعتاد تماماً.

- هل لعبتم الورق في تلك الليلة؟

- نعم، لعبنا الريج بعض الوقت.

- من شارك في اللعب؟

- لعبت أنا مع جيريمي سينس ضد ليندا وتشارلز، وكنا تبادل أحياناً. أما جوك مكلارين فإنه لم يلبس، بل اكتفى بإخراج الأشرطة وترتيبها وتحضير الموسيقى التي تريد سماعها.

- هل استمتعتم إلى موسيقى عالمية فيما بعد؟

- نعم.

- سادت فترة من الصمت، ثم سألت مارغريتا: سيد بورو، ما كل هذه الأسئلة؟ هل ثمة أمل؟

- هل علمت يوماً يا سيدتي حقيقة مشاعر الناس حولك؟

- أجاب صوتها وفيه أثر للدهشة: إيتي... أظن ذلك.

- أما أنا فلا أعتقد أنك علمت قط. أظنك خالية الذهن، وأعتقد أن هذه هي مأساة حياتك، ولكنها مأساة للآخرين وليست لك أنت. اليوم ذكر لي أحدهم شخصية غطيل. وكنت قد سألتك إن كان زوجك خبيراً وقلت إنه لا بد غيور، ولكنك قلت ذلك كما لو كان أمراً مهنياً؛ قلبه كما كان يمكن لذيذدمونة أن تقوله وهي لا تدرك الخطر. لقد أدركت -هي أيضاً- غيرة زوجها ولكنها لم تفهمها لأنها لم تحس بالغيرة، ولم تكن لتحس بها. أظن أنها كانت غافلة تماماً عن قوة العواطف الإنسانية الحادة، فقد أحببت زوجها بنوع من الحماسة الرومنسية التي ترافق طاهرة عبادة العطل، كما أحببت صديقه كاسيو بيرامه نامة كصديق حميم، وأعتقد أنها كانت تلوذ الرجال إلى

الجنون بسبب مناعتها هي نفسها ضد العواطف... هل تفهمين شيئاً من كلامي يا سيدتي؟

- ساد الصمت برهة، ثم أجاب صوت مارغريتا بارداً ومنهراً قليلاً: أنا... في الحقيقة أنا لا أفهم ما تقوله.

- تنهد بورو وقال بنبرة واقعية: سأزورك هذا المساء.

-٩-

لم يكن المفش ميلر بالرجل الذي يسهل إقناعه، ولكن هيركيول بورو لم يكن أيضاً بالرجل الذي يمكن التخلص منه قبل أن يحقق أغراضه. وقد تشر المفش ميلر ولكنه أذهن أخيراً. لكنه قال: ومع ذلك، ما علاقة الليدي تشاترتون بالأمر؟

- لا علاقة لها في الواقع، ولكنها منحت حق اللجوء لإحدى صديقاتها، هذا كل ما في الأمر.

- وفيما يخص عائلة سينس هذه. كيف عرفت...؟

- أن المدينة أنت منهم؟ كان ذلك مجرد تخمين. وقد خطرت لي الفكرة من عبارة قالها جيريمي سينس، فقد أوحيت له بأن المدينة تعود إلى مارغريتا كلابتون فأظن أنه يعلم فعلاً أنها ليست لها.

- توقف بورو قليلاً ثم سأل بلهف: ما الذي قاله لك؟

- لقد اعرفنا بأن المدينة تشبه كثيراً أحجر زينة كان عندهما، المقتطاه قبل بضعة أسابيع ثم نسيها بالفعل. أظن أن ريتش سرقة من بينهما.

- تمدم بورو قائلاً لنفسه: قبل بضعة أسابيع... آه، نعم! لقد بدأ التخطيط منذ فترة طويلة.

- ماذا، ماذا قلت؟

- لقد وصلت.

قالتا بورو فيما وصلت سيارة الأجرة إلى بيت اللمي تشارتون في شارع تشيريتون، ودفع بورو الأجرة.

كانت مارغريتا كلايتون بانتظارهما في غرفتها في الطابق العلوي، وقد نهجم وجهها عندما رأته ميلر فقالت: لم أكن أعرف...

- لم تعرفي من هو الصديق الذي اقترحت إحصاره معي؟

- المفترض ميلر ليس من أصدقائي.

- هذا يعتمد على رغبتك (أو عدم رغبتك) في رؤية العدالة تتحقق يا سيده كلايتون. لقد قُتل زوجك، وعلينا الآن أن نتحدث عن الشخص الذي قتله. هل يمكن أن نجلس يا سيدتي؟

جلست مارغريتا بيده على كرسي ذي مستد حال في مواجهة الرجلين.

قال بورو موجهاً حديثه إليهما معاً: أطلب منكما أن تصغيا إلي بشيء من الصبر، فأنا أعتقد أنني أعلم الآن ما حصل في تلك السهرة المشؤومة في شقة الرائد ريتش. لقد بدأنا جميعاً بافتراض خاطئ، هو أنه كان هناك شخصان فقط سمحت لهما فرصة وضع الحجة في المصداق: الرائد ريتش وخدامه ويليام بيرجس. ولكننا كنا مخطئين؛ كان في الشقة في تلك الأمسية شخص ثالث سمحت له فرصة... إن شاء الله بذلك.

١٤١. ميلر مشككاً: من كان ذلك الشخص؟ صبي المصعد؟

١٤٢. بل أنولد كلايتون.

١٤٣. بلوم بإعفاء جته؟ لقد نُجست.

طبعاً هو لم يكن جته، بل كان حياً يبرق. ببساطة: لقد خبأ نفسه في الصندوق، وهو أمر حدث مراراً عبر التاريخ؛ كما حصل للعروس الميتة في كتاب «فحص الهدالة» مثلاً. لقد خطر هذا بيالي بمجرد رؤية ثوب خُفرت في الصندوق حديثاً. لماذا خُفرت؟ خُفرت حتى تسمح بدخول كمية كافية من الهواء إلى الصندوق. لماذا سُحب القاطع من مكانه المعتاد في تلك الليلة؟ سحب لكي يخفي الصندوق عن أعين الحاضرين في الغرفة، بحيث يمكن للرجل المخبئ أن يرفع غطاء الصندوق من وقت لآخر ليخطف من ضيقه ويستمع إلى الحديث الدائر بشكل أفضل.

تساءلت مارغريتا وقد سمعت عيناها استغراباً: ولكن لماذا؟ لماذا يريد أنولد الاعتناء في الصندوق؟

- أنت التي تسألين يا سيدتي؟ لقد كان زوجك رجلاً غيوراً، وكان أيضاً لا يفتح عما في داخله؛ كان «محمصور المشاعر» كما وصفت صدقتك السيدة سينس. وقد تقاضمت غيرته وباتت تعذبه؛ فهو لم يكن متأكداً إن كنت عشيقه لريتش أم لا... وكان عليه أن يتأكد! وهكذا جاءت «برقية من إسكتلندا»... برقية لم يرسلها أحد ولم يرها أحد! ثم تم حزم الحقيبة والتخلص منها بنسائها في النادي، ثم ذهب إلى الشقة عندما كان متأكداً من أن ريتش غير موجود فيها وأخبر الخادم أنه سيكتب ملاحظة، وحالما أصبح بمفرده حفر الثوب في الصندوق وسحب القاطع ثم نزل في الصندوق، ففي تلك الليلة كان سيعلم بالحقيقة. ربما بقيت زوجته في الشقة بعد التصرف الآخرين،

ارتفع صوت مارغريتا عالياً باستغراب طفولي: جوك؟ لا، لا يمكن أن يكون العزيز جوك. لماذا؟ لقد عرفته طوال حياتي! لماذا **يفعل** ذلك بأنه عليك؟

انفتحت يوارو إليها قائلاً: ولماذا تبارز الإيطاليان؟ ولماذا أطلق **هاب** النار على نفسه؟ إن جوك مكلارين رجل لا يضح عن مشاعره. **لقد** حفظ على مشاعره وأقنع نفسه بأن يكفي بأن يكون صديقاً **مخلصاً** لك ولزوجك، ثم ما لبث أن دخل الرائد ريتش في حياتك، **وكان** ذلك فوق طاقته! وهكذا فقد عطف في ظلمات الكراهية ما يكاد **يكون** جريمة كاملة... جريمة مزدوجة؛ لأنه كان من المؤكد اعتبار **ريتش** مذنباً في هذه القضية. لقد فكر بإبعاد ريتش وزوجك كليهما **عن** الطريق، إذ يمكن لك أخيراً أن تلغضي إليه. وربما كنت ستفعلين **ذلك** يا سيدي... أليس كذلك؟

راحت تتحدث إليه وقد اتسعت عينها وعقد الرعب لسانها، **وتعنتت** بلا وعي: ربما... لا أدري...

ثم تكلم الممثلن ميلر بثقة مرجعية مفاجئة قائلاً: هذا كلام **جميل** يا يوارو، ولكنه نظرية لا أكثر. ليس لديك أي دليل، وربما لم **تكن** في هذه النظرية كلمة واحدة صحيحة.

- بل إنها صحيحة كلها.

- ولكن لا يوجد أي دليل، ليس لدينا ما نعتمد عليه.

- أنت مخطئ؛ فأتا اعتقد أن مكلارين سوف يعترف بجريته

وربما ذهبت معهم ثم عادت إلى الشقة... في تلك الليلة كان الرجل **اليأس** الذي أرهقته الغيرة عازماً على أن يعرف الحقيقة!

قال ميلر بصوت تملؤه الريبة: هذا هراء! هل تعني أنه علم **نفسه**؟

- لا، بالطبع لم يفعل؛ فقد طعنه شخص آخر، شخص كان **يعلم** أنه هناك. لقد كانت جريمة قتل بحق، جريمة شُغط لها بعناية **وتم** التفكير فيها لفترة طويلة. فلتفكروا في الشخصيات الأخرى في **مسرحية** عُطيل... وأتصد بذلك شخصية أياغو. التسميم الخبيث لعقل **آرنولد** كلايتون بالتهبجات والشكوك... أياغو المخلص، الصديق **الوفى**، الرجل الذي يصدقه المرء دائماً! لقد صدقه آرنولد كلايتون **وتركه** يتلاعب بغيره ويؤججهما إلى مستوى الحمى. هل كانت فكرة **الاحتماء** في الصندوق فكرة آرنولد؟ ربما كان يعتقد أنها فكرته، وربما **كانت** كذلك فعلاً! وهكذا فقد تم إعداد الشاهد، كما تم إعداد **العديبة** التي سُرقَت قبل ذلك بأسابيع. أقبل الليل، والأضواء غامضة **والمسجل** يعمل، وأربعة ضيوف يلعبون الورق، والرجل العجوز **يقف** هناك كأنه مشغول بخزائن التسجيلات قرب الصندوق الإسباني **والقاطع** الذي يخفيه، ثم ينسل خلف القاطع فيرفع الغطاء ويضرب **ضربته**... حركة جريمة ولكنها سهلة تماماً!

- كان كلايتون سيصرخ!

- إلا إذا كان مخدراً. فحسب شهادة الخادم كانت الجثة **مضطجعة** كرجل نائم. كان كلايتون نائماً؛ فقد خدّره الرجل الوحيد **الذي** كان بإمكانه تخديره، الرجل الذي تناول معه كأساً في النادي.

لو وُضِعت أمامه هذه الحقائق، أي إذا أُنهِمناه بوضوح أن مازفريتنا
كلايتون تعرف.

سكت بوارو لحظة ثم أضاف: لأنه ما إن يدرك أنه قد خسر
حتى تكون الجريمة الكاملة - بنظره - قد ذهبت قُبَيْلاً.

• • •

المضطهد

متدّت ليلي مارغريف قفازيها على ركبتيها بحركة عصبية ووجهت نظرها إلى الشخص الجالس على الكرسي الضخم أمامها. كانت قد سمعت عن المفتش الشهير هيركيول بولوار، ولكن تلك كانت المرة الأولى التي تراه فيها شخصياً.

لقد أربكت هيئته المضحكة، بل حتى السخيفة، الصورة التي كانت في مخيلتها عنه. فهل يمكن لهذا الرجل الضئيل المضحك برأسه البيضوي وشاربه الضخم أن يقوم فعلاً بتلك الأعمال الرائعة التي تُنسب إليه؟ كما أن التسلية التي شغل نفسه بها الآن بدت لها طفولية تماماً، إذ كان يكوّم مكعبات خشبية صغيرة ملوّنة بعضها فوق بعض، وبدأ أنه يهتم بنتيجة هذا البناء أكثر من اهتمامه بالقصة التي كانت ترويها.

ومع ذلك فقد يادر صمتها المفاجئ بنظرة حادة فائلاً: أرجوك أن تستعزي يا أنسة، ولا تحسبي أنني لا أصغي إليك. تأكدي أنني أصغي إلى ما تقولين بكل انتباه.

ثم عاد ليكزّم مكعباته الخشبية الصغيرة بعضها فوق بعض بينما تابع صوت الفتاة في رواية القصة. كانت قصة مرّوعة من قصص العنف والمأساوي، ومع ذلك كان صوت الفتاة هادئاً غير متفعل، وكان سردها للقصة موجزاً إلى الحد الذي بدا معه متفنداً للمسحة الإنسانية.

ترقفت أخيراً وقالت بلهفة: أرجو أن أكون قد وضّحت لك كل شيء؟

هز بواور رأسه عدة مرات بالإيجاب، ثم طوّخ بيده المكعبات الخشبية التي تناثرت على الطاولة، وانكأً بظهوره على الكرسي وهو يفرّك أصابعه ونظرة معلق بالسقف، وبدأ يعدّ تلخيص القصة: لقد قُتل السير روبن أستويل منذ عشرة أيام، ثم اعتقل الشرطة يوم أمس الأول، الأربعاء، ابن أخته تشارلز ليفيرسن. أما الأدلة التي اجتمعت ضده فهي حسب معلوماتك (وأرجو أن تصحّحي لي يا أنستي إذا أخطأت) أن السير روبن كان ساعراً يكتب في معتزله الخاص المسمى غرفة البرج، ثم أتى السيد ليفيرسن متأخراً ودخل مستعملاً مفتاح مزلاج. وقد سمعه التادل وهو يتشاجر مع خاله إذ كانت غرفته تحت غرفة البرج تماماً، وانتهى الشجار بصوت ارتطام كاه صوت رمي كرسي ألقته صرخة مكتومة. دُعز التادل وفكر بالتهووس ليشين حقيقة الأمر، ولكنه سمع بعد ثوان صوت السيد ليفيرسن يغادر الغرفة يهرج وهو يصفر بعض الألمان، فألقع عن التفكير بالمسألة. وفي صباح اليوم التالي وجدت إحدى الخادومات السير روبن ميتاً قرب مكتبه، وكان قد فُرب على رأسه بأداة ثقيلة. وكما فهمت فإن التادل لم يخبر الشرطة فوراً بما سمعه... هذا طبيعي كما أعتقد. ماذا ترين أنت يا أنسة؟

جقلت ليلي مارغريف من السؤال المفاجئ فقالت: عفواً، ماذا قلت؟

- إن المرء يبحث عن الاعتبارات الإنسانية في مثل هذه القضايا، أليس كذلك؟ إن سردها للقصة كان رائعاً ومختصراً إلى الحد الذي جعلت فيه من أبطال هذه الدراما آلات أو دمي، أما أنا فأبحث دوماً عن الطيبة البشرية. أقول لنفسي مثلاً: إن هذا التادل... ماذا قلب اسمه؟

- اسمه باروسوتز.

- لا بد أن باروسوتز هذا يتمتع بالصفات التي تميز طبقة، لا بد أن يعارض الشرطة بشدة ولا يخبرهم إلا بأقل ما يستطيعه. وقبل هذا كله فإنه لن يوح بشيء يمكن أن يؤدي إلى تجريم أحد أفراد الأسرة التي يخدمها. سوف يتسك بكل ما أوتي من قوة وعناد بفكرة أن دخيلاً أو لصاً هو الجاني. نعم، إن ولاء طبقة الخدم يشكّل موضوعاً مستعماً للدراسة.

انكأ إلى الخلف مبسماً، ثم تابع: وفي أثناء ذلك أدلى كل من في المنزل بشهادته، ومنهم السيد ليفيرسن الذي قال إنه عاد متأخراً وذهب إلى سريره دون رؤية خاله.

- هذا ما قاله.

- وما من أحد رأى سبباً للشك في كلامه، سوى باروسوتز طبعاً. ثم أتى محقق من شرطة اسكتلندبارد... قلبت إن اسم المحقق هو ميلر، أليس كذلك؟ أظن أنني أعرفه، لقد قابلته مرة أو مرتين في الماضي. إنه رجل صارم كما يُقال، دؤوب ومرابغ. نعم، أعرفه.

- لم تجيبي عن سؤالتي.

بدأت ليلى مارغريف بتسديد قفازيها ثانية، ثم قالت: إنه لأمر صعب يا سيد بورو. عليّ أن أراعي ولايتي لليدي أستويل؛ فأننا لا أعددو أن نكون مرافقة مدفوعاً أجزاءها في الواقع، وإن كانت قد عاملتني دائماً- كما لو كنت ابنتها أو ابنة أخيها. كانت كريمة معي بشكل لا مثيل له، ومهما كانت أعطالها فلنأتي لا أريد الظهور بمظهر من يتنقد أفعالها أو... أو من يريد التأثير فيك لصرفك عن تولي القضية.

- من المستحيل التأثير في هيركيول بورو؛ هذا ما لا يمكن أن يحدث.

قالها بورو بنشوة وأضاف: أراك تعتقدن أن لدى الليدي أستويل أمراً يدفعها إلى هذا التصرف. هيا... أليس هذا هو الأمر؟

- كيف لي أن أقول؟

- تكلمي يا أنستي.

- أعتقد أن الأمر سخيف بمرتته.

- أهدأ ما تشعرين به؟

- لا أريد أن أقول شيئاً بحق الليدي أستويل.

تمتم بورو بملطف: إنني أتهم وضعك تماماً.

ولكن عينيه شجعتها على الاستمرار، فمضت قائلة: إنها من النوع العليب جداً بالفعل، وهي لطيفة بدرجة كبيرة ولكنها ليست... كيف أعتبر عن ذلك؟ ليست امرأة متعلمة. لعلك تعرف أنها كانت

وبالطبع فقد رأى المحقق ميلر ما لم تراه الشرطة المحلية، وهو أن بارسونز قلقٌ ومضطربٌ ويعرف شيئاً لم يتبع به، فقام بالتركيز عليه. كان من الواضح تماماً أن أحداً لم يقتحم المنزل في تلك الليلة، وأن البحث عن القاتل ينبغي أن يتم داخل البيت لا خارجه. وكان بارسونز حزيباً وخائفاً، وأحسن بأنه سيحضر بالارتياح إذا خرج ذلك السر من صدره، فها هو قد بذل كل ما بوسعه لتجنب الفضيحة، ولكن لكل شيء حداً. وهكذا استمع المحقق ميلر لقصة بارسونز وسأل سؤالاً أو اثنين، ثم أجرى بعض التحريات الخاصة بحيث ظهرت له القضية التي بناها قوية جداً... نعم، قوية جداً. كانت هناك آثار أصابع ملطخة بالدماء على زاوية الخزنة في غرفة البرج، وكانت مطابقة لخصمات تشارلز ليفيرسن. كما أخبرت الخادمة المحقق ميلر أنها وجدت في غرفة السيد ليفيرسن في صباح اليوم التالي للجريمة وعاء فيه ماء اصطبغ بالدم، وأن ليفيرسن فتر ذلك بأنه قد جرح إصبعه. وكان في إصبعه جرح صغير بالفعل، ولكنه صغير جداً وكان سوار كتم قميصه قد غُيبل، ولكنهم وجدوا بضع دم على كتم معطفه. كما أن ليفيرسن كان بحاجة ماسة إلى المال، وكان سيرث مالاً بسبب موت السير روين. آه، نعم، إنها قضية قوية وواضحة يا آنسة.

صمت قليلاً ثم قال: ومع ذلك فقد أنتيتي اليوم؟

هزّت ليلى مارغريف كتفيها التحيلين قائلة: لقد أخبرتكم - يا سيد بورو- أن الليدي أستويل هي التي أرسلتني.

- أي أنك ما كنت لتأتي طواعية، أليس كذلك؟

نظر إليها نظرة قاسية، ولكنها لم تجب عن سؤاله.

مثلة عندما تزوجها السير روبن، وكانت تحمل كل أنواع الخرافات والتعصب والأفكار المسبقة، فإذا قالت شيئاً فيجب أن يكون كما قالت، وهي لا تصلي إلى صوت العقل. لم يكن المحقق ليقاً معها، وذلك ما استفزها وأعادها إلى طبيعتها القديمة، فهي تقول إن من السخافة التشكيك بالسيد ليفرسن وإن هذا التشكيك من الأخطاء البلهاء الغبية التي يقع الشرطة فيها، وقالت إن عزيزها تشارلز لم يفعلها بالطبع.

- أليست لها أسباب لذلك؟

- أبداً، ولا سبب.

- أكيد! هكذا هو الأمر؟ أخبريني حقاً.

- لقد قلت لها إنه ليس من المناسب أن آتي إليك وليس عندي سوى تصريحها ذلك، ودون أي دليل يمكن الانطلاق منه.

- قلبت لها ذلك؟ هل قلبت لها حقاً؟ هذا جيد.

وارتفعت عيناه إلى ليلى مارغريف في نظرة شمولية متفحصية سريعة، رأى فيها بدلتها السوداء الأنيقة وقبعاتها الجميلة، رأى أنانيتها ووجهها الجميل ذا الذقن المدبب وحبوبها عبقثي الزرقة يرموشهما الطويلة. وبلا وهي منه تغير موقفه، فطغى اهتمامه الآن بالفنائه الجلالة أمامه على اهتمامه بالقضية.

قال أخيراً: يبدو الليدي أستويل-كما أتخيلها يا آنسة- مجرد امرأة ناعمة يغلب عليها عدم الاتزان.

- هذا هو وصفها بالضبط. إنها لطيفة جداً كما قلت لك، ولكن

الحوار معها مستحيل، كما أنه يستحيل على المرء أن يحملها على النظر إلى الأشياء بمنطقية.

- ربما كانت تشك في شخص ما، شخص نافع.

صاحت ليلى: هذا هو ما تفعله تماماً؟ فهي تحسن بكرامية فظيعة تجاه ذلك الرجل المسكين، سكرتير السير روبن، وتقول إنها على يقين من أنه هو الذي ارتكب الجريمة. ومع ذلك فقد ثبت بشكل قاطع أن المسكين أروين تريفوسيس لم يكن بإمكانه أن يرتكب الجريمة.

- وهل لديها أسباب تدفعها إلى هذا اليقين؟

- طبعاً لا، إنه حدسها ليس غير.

كان صوت ليلى مارغريف مليئاً بالاحترار. يتسم بوراو وقال: أنهم من ذلك أنك لا تؤمنين بالحدس يا آنسة؟

- أرى أنه ليس سوى قراء.

أسند بوراو ظهره إلى مسند كرسيه من جديد متمتماً: يا للنساء! يحلو لهن الاعتقاد بأن الحدس سلاح خاص وهبه لهن العناية الإلهية، ولكنه يضللهن تسع مرات على الأقل مقابل كل مرة يهدين فيها إلى الصواب.

- هذا صحيح، ولكنني قلت لك ما هي طبيعة الليدي أستويل. ببساطة: لا يمكنك الحوار معها.

- ولذلك فقد أتيت أنت، العاقلة الحكيمة، أتيت إلي كما طلبت منك واستطعت أن تضعيني في مجرى القضية.

شيء ما في تيرة حواره جعلها تنظر إليه بحدة، ثم قالت معتذرة:
بالضغ أنا أهمل كم هو تيبين وقتك.

- هذا لطف كبير منك يا أسة، في الحقيقة أنت مصيبة في ذلك،
ففي هذا الوقت بالذات توجد بين بدني قضايا كثيرة ذات أهمية.

قالت وهي تنهض: عشت ذلك، سأخبر الليدي أستويل...

ولكن بوارو لم ينهض، بل استرخى في مقعده إلى الخلف
ونظر بثبات إلى الفتاة، ثم قال: هل تتعجبين الذهاب يا آستوي؟
اجلسي دقيقة بعد، أرجوك.

رأى الدعاء تندفع إلى وجهها ثم تقشع، وجلست ثانية ببطء
ودون رغبة.

قال بوارو: إن الأسة سريعة وحاسمة، ولكن كان عليها أن
تسامح عجوزاً مثلي بأخذ قراره ببطء. لقد أسأت فهمي يا أسة، فأنا
لم أقل إنني لن أذهب لرؤية الليدي أستويل.

- هل ستأتي إذن؟

كانت تيرتها باعثة، ولم تكن تنظر إليه بل إلى الأرض، ولذلك
لم تنبه إلى التديق الحاذق الذي بدأ عليه وهو ينظر إليها.

- أخبرني الليدي أستويل - يا أسة - أنني أضغ نفسي كلباً في
خدمتها، وسأكون بعد ظهر اليوم في مون ريبوز، أليس هذا هو اسم
المنزل؟

نهضت فتاة قائلة: إنني... حسناً، سأخبرها. كم هو

لطف منك أن تأتي يا سيد بوارو، مع أنني أخشى أن تكتشف أنك
إنما دُعيت إلى مهمة تشبه مطاردة الوزّ البري.

- هذا ممكن، ولكن... من يدري؟

رافتها إلى الباب من قبيل المجاملة، ثم عاد إلى غرفته مقطعاً
حاجبيه غارقاً في التفكير. هز رأسه مرة أو مرتين ثم فتح باب الغرفة
ونادى خادمه: عزيزي جورج، أرجوك أن تحضر لي حقيبة سفر
صغيرة، فسوف أذهب إلى الريف اليوم.

- حسناً يا سيدي.

كان جورج شخصاً ذا شكل إنكليزي حقيقي؛ طويلاً وشاحياً
وعذياً من العواطف.

قال بوارو وهو يرسم في كرسيه ثانية: إن الفتيات يشكّلن ظاهرة
مشيرة يا جورج، ولا سيما إذا كانت الواحدة منهن ذات عقل وذكاء.
فإن تغلب من شخص أن يفعل أمراً ما في الوقت الذي تنظره منه...
إنه لأمر حساس يتطلب الكثير من الذكاء والدعاء. لقد كانت بارعة
جداً، نعم، بارعة جداً... ولكن هيكول بوارو - يا عزيزي جورج -
فوق ذكاء حارق تماماً.

- لقد سمحك تقول ذلك يا سيدي.

- إن ما كانت تفكر فيه لم يكن سكرتير روين، لقد تعاملت
باحتراف مع اتهام الليدي أستويل له، وكانت حريصة - في الوقت
نفسه - على أن لا يُقدم أحدٌ على إزعاج الكلاب النائمة. ولكنني
سأذهب لإزعاج تلك الكلاب يا عزيزي جورج، بل لأحملها على
الافتتال! إن في مون ريبوز قصة مشيرة، هناك دراما إنسانية تثيرني. لقد

كانت هذه الطفلة بارعة، ولكنها لم تكن بارعة بما فيه الكفاية. إن
لأسئال: ما الذي سأكتشفه هناك؟

ساد صمت مثير بعد هذه الكلمات لم يقطعها إلا صوت
جورج الذي قال وكأنه يحتذر: هل أضع في حقيبتي ملابس رسمية
يا سيدي؟

نظر بوراو إليه بحزن قائلاً: ما أحسن تركيزك وانتباهك لعملك!
إنك تناسيتي تماماً يا جورج.

-٢-

عندما توقف قطار الخامسة إلا خمس دقائق في محطة أيرتر
كروس نزل منه هيركيول بوراو بكامل أناقته، وقد شئخ شاربيه حتى
التبئس. سلم تذكرته وعبر الحاجز ليرى سائقاً يبادره بالقول: السيد
بوراو؟

ابسم له بوراو وقال: هذا هو اسمي.

فتح السائق باب سيارة الرولتر رويس وقال: تفضل من هنا
يا سيدي.

كان البيت على بعد ثلاث دقائق فقط من المحطة، وهناك نزل
السائق ثانية وفتح باب السيارة ليتزل بوراو ويجد النادل وقد وقف
قائماً له البوابة الأمامية.

تأمل بوراو بسرعة واستحسان الواجهة الخارجية للمنزلة قبل أن
يعبر الباب المفتوح. كان بيتاً ضخماً مبنياً من الحجر الأحمر لا يميل
إلى الجمال بقدر ما يُشبع شعوراً بالراحة الحقيقية.

دخل بوراو إلى الصالة حيث تناول النادل قبعته ومعطفه برشاقة
وهو يتمتع بتلك الثيرة المنخفضة المؤقتة التي لا يكتسبها إلا أفضل
الخدم قائلاً: سعادتها بانتظارك يا سيدي.

تبع بوراو النادل على الدرج المفروش بالسجاد الناعم. كان هذا
هو بارمونتز بلا شك. إنه خادم مُتمرس تماماً، ذو أسلوب مناسب خالٍ
من العاطفة. انعطف في أعلى الدرج مبتأ ومش في ممر حيث دخل
من أحد الأبواب إلى غرفة انتظار صغيرة فيها باهان يُفَضيان إلى غرف
أخرى، ثم فتح الباب الواقع إلى يساره معلناً: السيد بوراو يا سيدي.

لم تكن الغرفة بالغة الضخامة ولكنها كانت مزدهمة بالأثاث
والشرف، ونهضت امرأة تليس السوداء فقدمت من بوراو بسرعة قائمة
وقد مدت يدها: سيد بوراو.

وبسرعة سيرت عينها تلك الهيئة المتأنقة، وتوقفت قليلاً
متجاهلة انحناء الرجل الضئيل أمامها وتمتمته قائلاً: "سيدي"، ثم
تركت يده بعد أن ضغطت عليها بقوة وهي تقول: إنني أؤمن بالرجال
ذوي الأجسام الضئيلة، فهم الرجال الأذكى عادة.

- ولكن المحقق ميلر رجل طويل فيما أظن؟

- إنه دعوى أبه. اجلس هنا بجانبني لو سمحت.

أشارت إلى الأريكة، ومضت قائلة: لقد بذلت ليلي كل
ما بوسعها لتتبنى عن دعوتك، ولكنني لم أبلغ هذا العمر إلا وأهرف
ما أريد تماماً.

علق بوراو هو يتبعها إلى الأريكة قائلاً: وهذا إنجاز نادر.

جلست الليدي أستويل بارتياح بين الوسائد ثم التفت لتواجهي وقالت: إن ليلى فتاة عزيزة عليّ، ولكنها تعتقد أنها تعلم كل شيء، وغيرتي تقول لي إن أناساً من هذا النوع يكونون غالباً على خطأ. أنا لست ذكية - يا سيد بورو- ولم أكن ذكية، ولكنني أكون على حق عندما يكون كثير من الأحياء على خطأ. إنني أؤمن بالحدس. هل تريد مني الآن أن أخبرك من القاتل أم لا تريد؟ إن المرأة تعرف يا سيد بورو.

- وهل تعرف الأئمة مارغريف؟

سألكه بنبرة حادة: ماذا قالت لك؟

- لقد أعطتني وقائع القضية.

- الوقائع؟ آه، وكانت تلك الوقائع ضدّ تشارلز تماماً بالطبع؟ ولكنني أقول لك يا سيد بورو: إنه لم يرتكب الجريمة؟ أنا أعرف أنه لم يرتكبها.

خاطبته بجدية تبعث على الفلج.

- أنت وثقة تماماً يا ليدي أستويل؟

- تريغوسيس هو الذي قتل زوجي يا سيد بورو، أنا وثقة من ذلك.

- لماذا؟

- هل تعني لماذا قتله أم لماذا أكون وثيقة؟ لقد قلت لك إنني أعرف ذلك! إنني مضحكة في مثل هذه الأمور، فإنا أنني فتاتي بسرعة ثم أثبتت عليها.

- وهل يستفيد السيد تريغوسيس من موت السير روين بأية طريقة؟

أجابته بحزم: لم يترك له قرشاً واحداً، وهذا ما يُظهر لك أن روين لم يكن ليحبه أو ليقبّه.

- فهل عمل لفترة طويلة مع السير روين إذن؟

- ما يقرب من تسع سنوات.

قال بورو بهدوء: إنه وقت طويل، وقت طويل جداً في العمل مع شخص واحد. نعم، لقد كان من شأن تريغوسيس أن يعرف رئيسه بشكل جيد.

حدّثت الليدي أستويل إليه ثم سألت: ما الذي ترمي إليه؟ إنني لا أرى علاقة لذلك بالقضية.

- كنت أتابع فكرة بسيطة خاصة بي، فكرة صغيرة ربما لا تكون مثيرة للاهتمام، ولكنها طريقة مبتكرة، وهي تخص تأثير الخدمة في الناس.

قالت الليدي أستويل وهي ما تزال تتحدق إليه وفي صوتها نبرة شك: إنك ذكي جداً بالفعل، أليس كذلك؟ الكل يؤكد هذا.

ضحك بورو قائلاً: ربما أثبتت عليّ أنت أيضاً في يوم ما يا سيدتي. ولكن لعد إلى الدافع؛ أخبريني الآن عن نزلاء بيتك، عن الناس الذين كانوا هنا في البيت يوم وقعت المأساة.

- كان تشارلز هنا طبعاً...

- تشارلز هو ابن أخت زوجك كما فهمت، وليس ابن أختك أنت.

- نعم، إنه الابن الوحيد لشقيقة روين، وكانت قد تزوجت رجلاً غنياً نوعاً ما، ولكن وقع حادث اصطدام (كما يحدث في المدينة دوماً) فتوفي وتوفيت زوجته أيضاً، وجاء تشارلز ليعيش معنا، وكان وقتها في الثالثة والعشرين من عمره يدرس ليصبح محامياً، ولكن عندما وقع الحادث أخذته روين ووضته إلى مكتبه.

- وهل كان تشارلز مُجدباً في عمله؟

- إنني أحب الرجل سريع الفهم. ولكن تشارلز لم يكن مُجدباً، وكانت المشكلة تكمن في هذه النقطة، إذ كثيراً ما كان يتشاجر مع عماله بسبب الفوضى في عمله. ولكن ذلك لم يكن يعني أن المسكين روين هو شخص يسهل التعامل معه أيضاً؛ لقد قلت له مراراً إنه نسي ماذا يعني أن يكون العمء شاباً ونسي شياؤه نفسه. لقد كان مختلفاً تماماً في تلك الأيام يا سيد بورو.

تهتدت الليدي أستويل وهي تتابع حيط ذكرياتها، فقال بورو:
التغيير لا بد منه، إنه قانون الحياة.

- ولكنك لم يكن فقطً معي أبداً حتى في المرات القليلة التي كان فقطاً فيها معي كان يعتذر بعدها... عزيزي المسكين روين!

- لقد كان صعب المراس، أليس كذلك؟

- كان يوسعي أن أتدير أمره دوماً.

قالت ذلك بلهجة مروّضة أسود ناجحة، ثم أضافت: ولكن

الأمر كان مزعجاً أحياناً عندما يفتقد أعضائه مع الخدم. توجد طرق ناجحة للتعامل مع الخدم، ولكن طريقته لم تكن صحيحة.

- كيف قُسمت الأموال التي تركها السير روين يا سيدني؟

- نصف لي ونصف لتشارلز.

قالت ذلك على الفور، ثم أضافت: لا يقدّم المحامون المسألة بهذه البساطة، ولكن هذا هو ما حدث للتركة باختصار.

هزّ يوارو رأسه متمتماً: نعم، نعم، والآن أريد منك أن تصفي لي نزلاء البيت يا ليدي أستويل. كان فيه -بالإضافة إليك- ابن أخت السير روين السيد تشارلز ليقيرسن، وسكرتيره السيد أوين تريفوسيس، والأيسة ليبي مارغريتا. هلاًّ حديثي قليلاً عن تلك الفتاة.

- تريد أن تعرف شيئاً عن ليبي؟

- نعم، هل ترافلك منذ فترة طويلة؟

- منذ نحو سنة. لقد بدّلت كثيراً من المرافقات لأنهن جميعاً أترن أعضائي بطريقة أو بأخرى، أما ليبي فقد كانت مختلفة عنهم؛ كانت ليقة وحصيفة الرأي، وفوق ذلك كله ذات مظهر جميل جداً، وأنا أحب أن أرى يبرقي وجهاً جميلاً يا سيد بورو. أنا شخصية عجيبة أحب وأكره فوراً ومباشرة، وقد قلت لنفسي إن تلك الفتاة ستأسيني فور رؤيتي لها.

- هل جادتك بتوصية من أصدقاءك لك يا ليدي أستويل؟

- أظن أنها جاءت استجابة لإعلان... نعم، استجابة لإعلان.

- هل تعلمين شيئاً عن عائلتها، ومن أين هي؟

- أظن أن والديها في الهند. لا أعرف كثيراً عنهما في الواقع، ولكن يمكنك أن تُعتبر بنظرة واحدة أنها سيدة فعلاً. أليس كذلك يا سيد بوارو؟

- آه، تماماً، بالطبع.

- طبعاً أنا نفسي لست سيدة، وأنا أعرف ذلك والخدم يعرفون ذلك، ولكن ما من دناءة في طبيعتي وأستطيع تقدير الأشياء الحقيقية عندما أراها. كما أنه ما من شخص كان أكثر لطفاً بي من ليلي، ولذلك فإني أنظر إلى تلك الفتاة كما لو كانت ابنتي يا سيد بوارو.

امتدت يد بوارو اليمنى فعذلت من وضع واحد أو اثنين من الأشياء المصنفة على الطاولة المجاورة. ثم سألتها: وهل كان السير روبن يشاركك الشعور نفسه؟

كانت عيناه مرعزتين على التحف الصغيرة، ولكنه لاحظ بوضوح الصمت الذي سبق جوابها. قالت: الأمر مختلف مع الرجال. طبعاً كانا... كانا متعاشين بشكل جيد.

- شكراً يا سيدتي.

قالها بوارو وهو يتنفس لنفسه، ثم أضاف: وهل كان أولئك فقط كل من كان في المنزل تلك الليلة، باستثناء الخدم طبعاً؟

- آه، كان فكتور موجوداً أيضاً.

- فكتور؟

- نعم، شقيق زوجي وشريكه.

- وهل يعيش معكم؟

- لا، لقد جاء مؤخراً في زيارة من غرب إفريقيا، حيث يعيش منذ بضع سنوات.

- غرب إفريقيا؟

تعمت بذلك مدركاً بأن الليدي أستويل يمكن أن تسترسل في الموضوع فيما لو مُنحت الوقت الكافي.

- يقولون إنها بلاد رائعة، ولكنني أحسبها من تلك الأماكن التي تترك أسوأ الأثر في الرجل؛ فالعائدون من هناك يشربون كثيراً حتى يفقدوا سيطرتهم. ما من أحد من عائلة أستويل يمتلك أعصاباً هادئة، وقد بدا سلوك فكتور مستهجنًا منذ عودته من إفريقيا... لقد أفرغني مرة أو مرتين.

- عجباً! هل أفرغ الأنتة مارغريف أيضاً يا ترى؟

- ليلي؟ لا أعتقد أنها رأته منه الكثير.

دَوَّن بوارو ملاحظة أو اثنين في دفتره الصغير، ثم أعاد القلم إلى مكانه ودفن الملاحظات إلى جيبه وقال: أشكرك يا ليدي أستويل، وأريد الآن - لو سمحت - أن أقابل ياروسوتر.

- هل تريده هنا؟

امتدت يدها نحو الجرس، ولكن بوارو أوقف حركتها قائلاً: لا، لا وألف لا؛ سأذهب أنا إليه.

لا شك أن الليدي أستويل قد أصيبت بخيبة أمل لعدم قدرتها على المشاركة في المشهد القادم، فقد كان يوارو يصنع السرية وهو يقول: إن هذا ضروري جداً.

قالها بأسلوب غامض تاركاً الليدي أستويل لدهشتها.

• • •

وجد النادل بارسونز في حجرة الأواني يلتصق الفضييات، فالتفت بوارو المقابلة بوحدة من انحنااته الصغيرة المضحكة، ثم قال: ينبغي لي أن أقدم نفسي. أنا رجل تحرّ خاص.

- نعم يا سيدي، لقد علمنا بذلك.

كانت نيرته تتم عن الاحترام، ولكنها حيادية.

- أرسلت الليدي أستويل في طلب، إذ أنها غير راضية، بل غير راضية أبداً.

- سمعت سعادتها تقول ذلك في مناسبات عديدة.

- في الحقيقة أستطيع أن أعيد على سمعك الأشياء التي تعرفها أصلاً. دعنا لا نضج وقتنا -إذن- في الأشياء التافهة؛ لو تكلمت تخذي إلى غرفة نومك وأخبرني بالضبط ما هو الذي سمعته هناك ليلة الجريمة.

كانت غرفة النادل في الطابق الأرضي ملحققة بقاعة الخدم، وقد كانت نواهد تلك القاعة مزودة بمشايك حديثة وغرفته الحصينة في زاويتها.

أشار بارسونز إلى السير الضيق وقال: كنت قد عدت إلى غرفتي في الساعة الحادية عشرة، وكانت الأنتة مارغريف قد أوت إلى فراشا بينما كانت الليدي أستويل مع السير روبن في غرفة البرج.

- الليدي أستويل كانت مع السير روبن؟ نعم، استمر.

- غرفة البرج تقع فوق هذه الغرفة تماماً يا سيدي، وإذا كان أشخاص يتكلمون فيها فيوسع المرء أن يسمع مهمة الأصوات، ولكن لا يمكن فهم أي شيء مما يقال بالطبع. استولى عليّ النوم في نحو الحادية عشرة والنصف على الأغلب، وفي تمام الثانية عشرة استيقظت على صوت الباب الأمامي يُصَفَق، فعلمت أن السيد ليفيرسن قد عاد. ثم ما لبثت أن سمعت وقع خطوات فوق، وبعد دقيقة أو التين سمعت صوت السيد ليفيرسن يتحدث مع السير روبن. وقد تخيلت وقتها بأن السيد ليفيرسن كان... لا أريد أن أقول إنه كان تملأ، ولكنه كان غير متوازن وعالي الصوت وكثير الجلبة. كان يصيح بعاله بأعلى صوته، والتقطت أذناي كلمة أو كلمتين هنا وهناك ولكن ليس بما يكفي لفهم ما يدور بينهما، ثم أعقب ذلك صيحة حادة فارتطام عتيف.

سادت لحظات صمت، ثم كثر بارسونز الكلمات الأخيرة بشكل مؤثر قائلاً: ارتطام عتيف.

تدخّل بوارو قليلاً في مجرى الحديث ثم أردف باعتذار مصطع: أنا أسف جداً لتدخلتي.

- لا عليك يا سيدي. بعد الارتطام ساد صمتٌ قطعته صوتُ السيد ليفيرسن بوضوح تام يرتفع قائلاً: "يا إلهي..." قالها هكذا يا سيدي: "يا إلهي".

وهكذا تطور بارسونز من تروده السابق في رواية القصة إلى استمتاع حقيقي بذلك، وقد ذهب بعيداً في تخيل نفسه كراو محترف، وشجعه بورو على المضي قدماً بقوله: يا الهي، لقد اتابك مشاعر فظيعة بالتأكيد!

- بالتأكيد يا سيدي، تماماً كما قلت يا سيدي. ومع أني لم أجد الأمر اهتماماً كبيراً حينذاك إلا أنه خطر في بالي أن أسأله إن كان قد حدث شيء. وفكرت بالخروج للتأكد، فذهبت لأشعل الضوء ولكنني تعثرت بكرسي لسوء حظي، وبعد ذلك فتحت باب غرفتي وعبرت صالة الخدم وفتحت باباً آخر بطل على السلم حيث الدرج الخلفي. وهناك وقفت أسفل الدرج متردداً حتى سمعت صوت السيد ليفيرسن يتكلم من الأعلى بشكل ودي ومرح. قال: "لم يقع أي أذى لحسن الحظ، ليلة سعيدة". ثم سمعته يقطع الممر إلى غرفته وهو يصفر. وقد عدت بعدها إلى سريري وأنا أحسب أن شيئاً ما قد وقع. بالله عليك يا سيدي، هل كان عليّ أن أشك في أن السير روبن قد قُتل وأنا أسمع السيد ليفيرسن يقول "ليلة سعيدة" ويتصرف بشكل طبيعي؟

- هل أنت متأكد أن ما سمعته كان صوت السيد ليفيرسن؟

نظر بارسونز إلى البلجيكي الضئيل بإشفاق، فتأكد ليوارو بوضوح أن بارسونز قد قرّر قراره بهذا الشأن، سواء أكان ذلك صحيحاً أم خاطئاً.

- هل تريد أن تسألني عن أي شيء آخر يا سيدي؟

- سؤال واحد، هل تحب السيد ليفيرسن؟

- عفواً، لم... لم أسمعك يا سيدي.

- إنه سؤال بسيط، هل تحب السيد ليفيرسن؟

تحول بارسونز من رجل مذعور في البداية إلى رجل مُحزج، ثم قال: إن الرأي العام في صالة الخدم يا سيدي...

ثم سكت، فقال له ليوارو: مهما يكن الأمر، قل رأيك بهذه الطريقة إذا أحببت.

- إن الرأي العام يا سيدي هو أن السيد ليفيرسن شاب كريم، ولكنه ليس ذكياً بشكل خاص... إن كان لي أن أقول ذلك.

- آه، هل تعلم يا بارسونز بأن ذلك هو رأي السيد ليفيرسن تماماً؟ ولو أنني لم أزه.

- حقاً يا سيدي؟

- نعم، حسناً، وما هو رأيك، عفواً، أعني ما هو رأي صالة الخدم بالسكونير؟

- إنه رجل هادئ جداً وصبور وحريص على عدم إثارة المشكلات.

- حقاً؟

سعل التادل ثم تتمم قائلاً: إن سعادتها تميل إلى التسرع في أحكامها أحياناً يا سيدي.

- إذن فإن صالة الخدم تظن أن السيد ليفيرسن هو الذي ارتكب الجريمة؟

- ليس فيما من يمتنى أن يكون له هذا الرأي، ونحن... بصراحة

نحن لا نعتقد أن طبيعته تميل إلى الجريمة يا سيدي.

- نعم، بالتأكيد.

- ولكنه ذو مزاج عنيف بعض الشيء، أليس كذلك؟

اقرب منه بارسونز وهمس قائلاً: إن كنت تسألني عن صاحب أعنف مزاج في هذا المنزل...

أوقفه يوارو بإشارة من يده قائلاً: أه، ليس هذا هو السؤال الذي أود أن أسأله، سؤالي هو: من هو صاحب العلف مزاج؟

حدق به بارسونز وقد فغر فاه!

- ٣ -

لم يُضِع يوارو مزيداً من الوقت مع بارسونز، بل ودَّعه بانحناء ودية (فقد كان ودوداً دائماً) وغادر الغرفة إلى الصالة المربعة الكبرى لتمتزل مون ريبوز، حيث وقف يرهق يفكر ومال برأسه كما يفعل عصفور الحناء الجذبل، وأخيراً عبر بخطوات خفيفة أحد الأبواب المُفضية إلى خارج الصالة.

وقف بالباب متأملاً الغرفة الصغيرة التي جعلت مكتبة، كان يجلس في طرفها الآخر على مكتب ضخم شاب صاحب نحيل ضامر اللذقن يضع على أنفه نظارة قديمة الطراز. راقبه يوارو يضع دقائق وهو منخرط بالكتابة، ثم أعلن عن نفسه بعملة مسرحية مفتعلة.

توقف الشاب المنكب على المكتب عن الكتابة والتفت ليرى يوارو الذي تقدم بانحنائه المعهودة قائلاً: أعطفد أنني أشرف بالحدث مع السيد تريفوسيس، أليس كذلك؟ أه، اسمي هيركيول يوارو... ربما تكون قد سمعت بي؟

راقبه يوارو بعناية. كان أوبن تريفوسيس في نحو الثالثة والثلاثين من عمره، وقد أدرك يوارو فوراً لماذا لم يتعامل أحد بهجداً مع الهام اللبدي أستويل؛ فقد كان السيد تريفوسيس شاباً أيقناً وسيماً وخبوناً إلى حد يزيل النعمة، من ذلك النوع من الرجال الذين يسطهدهم الآخرون ويحتدون عليهم وهم واقفون من أنهم لن يُبدوا استياءهم أبداً.

قال السكرتير: اللبدي أستويل هي التي أرسلت في طلبك طبعاً، لقد ذكرت أنها ستدعوك. هل من طريقة أساعدك بها؟

كان أسلوبه مؤدباً بلا إسراف. تناول يوارو كرسيّاً وقال برفق: هل أخبرتك اللبدي أستويل بشيء حول آرائها وشكوكها؟

ابتسم أوبن تريفوسيس قليلاً وقال: بخصوص شكها في فيما أظن؟ إنه أمر سخيف، ولكن هذا هو الواقع. إنها لم تتكلم معي كلمة مهذبة واحدة منذ وفاة السير روبن، وهي تلتفت إلى الجدار كلما مررت بها!

كان سلوكه طبيعياً تماماً، وكان في صوته من التنسبية أكثر مما فيه من الاستياء. هرَّ يوارو رأسه بأسلوب يوحي بالمصارحة وقال: فيما بيننا، لقد قالت لي الشيء ذاته. ولم أناقشها، إذ أنني جعلتها قاعدة في حياتي أن لا أناقش السيدات اللاتي يتمسكن بأرائهن. هل تفهمني؟ إنها غشبية للوقت.

- نعم، تماماً.

- كنت أقول: "نعم يا سيدتي"، "بالأكيد يا سيدتي"، "بالضبط يا سيدتي"... وهي كلمات لا تعني شيئاً ولكنها تهدئ الخواطر. وإذا أقوم بتحرياتي، فرغم ما يبدو من استحالة ارتكاب أحد للجرم سوى السيد ليفيرسن، ورغم ذلك يقول المرء: إن كل شيء ممكن وقد حدثت مستحيلات من قبل.

- إنني أفهم موقفك تماماً، وأرجو أن تحبرني في خدمتك.

- حسناً، نحن متظاهمان إذن. والآن، اذكر لي أحداث تلك الليلة، والأفضل أن تبدأ من العشاء.

- لم يشارك ليفيرسن في العشاء، كما تعلم بلا شك؛ فقد كان على خلاف كبير مع خاله. وبسبب ذلك ذهب لتناول العشاء في نادي الغولف، وهذا ما جعل السير روين في حالة مزاجية سيئة جداً.

لتح بورلو لمحدثه بيراعة قائلاً: لم يكن ذلك السيد ودوداً جداً، أليس كذلك؟

ضحك تريفوسيس قائلاً: آه، لقد كان تنابراً في سرعة غضبه! لم أعمل معه مدة تسع سنوات دون أن أحرف عاداته، فقد كان صعب المراس بشكل غير عادي يا سيد بورلو. كانت تنابه نوبات من الغضب الطقولي العارم بحيث يسيء إلى كل من يقترب منه، وقد عرفت ذلك منه فعوّدت نفسي أن أتجاهل تماماً كل ما كان يقفوه به. ومع أنه لم يكن سيئاً الطوية حقاً إلا أن سلوكه كان يتطور أحياناً إلى حد الحماسة وإغضب الآخرين، وكان غير علاج لذلك هو أن تتجاهل شتايمه ولا تحاول ردّها.

- وهل كان الآخرون يمثل حكمتك في التعامل مع بهذا الشأن؟

هرز تريفوسيس كتفيه وقال: كانت الليدي أستويل تستمتع بالشجار معه. لم تكن لتخشه أبداً، وقد وقفت دوماً في وجهه ورددت له الصاع صاعين، ولكنهما كانا يتصالحان بعدها دوماً، إذ كان السير روين يحبها كثيراً.

- وهل تشاجرا في تلك الليلة؟

نظر السكرتير إليه شزراً، وتردد دقيقة ثم قال: أظن ذلك، ما الذي دفعك إلى هذا السؤال؟

- فكرة ما، هذا كل ما في الأمر.

- لست متيقناً بالطبع، ولكن بدا أنهما على غير ما يرام.

لم يتابع بورلو هذا الموضوع، بل سأله: ومن كان موجوداً على العشاء أيضاً؟

- الأتيسة مارغريف، والسيد فكتور أستويل، وأنا.

- وبعد ذلك؟

- ذهبتا إلى غرفة الاستقبال، ولم يذهب السير روين معنا، إلا أنه عاد بعد عشر دقائق ليصّب عليّ جام غضبه بسبب خطأ ناقه في إحدى الرسائل. ذهبت معه إلى غرفة البرج فأصلحت الخطأ، ثم جاء السيد فكتور أستويل وقال إنه يريد التحدث مع أخيه في أمر ما، فنزلت لأنضمّ إلى السيدتين. وبعد نحو ربع ساعة سمعت جرس السير روين يذق بعنف، وجاء بارسونز ليلطلب مني الصعود إلى السير روين فوراً، وعندما كنت أهتم بدخول الغرفة كان السيد فكتور أستويل خارجاً منها فارتطم بي وكاد يوقعتني. كان واضحاً أن شيئاً قد أزعجه.

لقد كان ذا مزاج عنيف جداً، واعتقد فعلاً أنه لم يرني وهو خارج.

- وهل أدلى السير روبن بأي تعليق حول غروجه؟

- قال: إن فكتور مجنون. سوف يرتكب جريمة ذات يوم وهو في إحدى حالات الغضب التي تنتابه!

- وهل عندك أية فكرة عن موضوع المشكلة؟

- لا، أبداً.

أدار يوارو رأسه ببطء ونظر إلى السكرتير، فهو قد نطق تلك الكلمات الأخيرة بسرعة كبيرة. وتشكلت قناعة لدى يوارو بأنه كان يوسع تريفوسيس أن بدلي بأكثر من ذلك لو أراد. ولكن، مرة أخرى، لم يتابع يوارو القضية.

- وبعد ذلك؟ أكمل من فضلك.

- عملت مع السير روبن لمدة ساعة ونصف ساعة تقريباً، وفي الحادية عشرة دخلت الليدي أستويل فقال لي السير روبن إن بإمكانني الانصراف إلى النوم.

- وهل انصرفت؟

- نعم.

- وهل تعرف كم بقيت الليدي أستويل معه؟

- لا، أبداً، إن غرفتها في الطابق الأول وغرفتي في الطابق الثاني، فلم أكن لأسمعها وهي تنصرف.

- فهمت.

هز يوارو رأسه مرة أو مرتين، ثم نهض واقفاً وهو يتلوى: والآن خذني إلى غرفة البرج لو تكرمت.

تبع يوارو السكرتير صاعداً الدرج العريض، وفي أعلاه قادة تريفوسيس عبر الممر إلى نهايته حيث يوجد بابٌ يطلُّ على سالن الخدم من جهة وعلى ممر قصير من جهة أخرى ينتهي بباب، وعندما عبر ذلك الباب وجدنا نفسيهما في مسرح الجريمة.

كانت الغرفة واسعة ذات جدران عالية زُيّنت بالسيف والجراب، وفيها طاولات شُتت عليها الكثير من التحف. وفي الجهة المقابلة، أمام الفتحة الواسعة للنافذة، كان يوجد مكتب ضخم توجه يوارو إليه مباشرة.

- أهذا هو المكان الذي عُثر فيه على السير روبن؟

هز السكرتير رأسه موافقاً.

- لقد شُرب من الخلف كما فهمت؟

هز السكرتير رأسه مرة أخرى موافقاً، ثم قال: لقد ارتكبت الجريمة بهراوة من هذه الهراوات المعلقة، هراوة ثقيلة تماماً، ولا بد أن الوفاة قد حصلت على الفور.

- وهذا يعزِّز الفكرة الدالة بأن الجريمة لم يكن مخططاً لها من قبل وأنها حدثت إثر شجار حاد حيث تم اللجوء - بلا وعي تقريباً- إلى السلاح القريب؟

- نعم، ويبدو أن ذلك ليس من صالح ليفيرسن المسكين.

سأل يوارو: وهل تم العثور على الجثة منكبة على الطاولة؟

- لا، لقد وقعت جانباً على الأرض.

- هذا الأمر غريب.

- لماذا؟

- بسبب هذه.

وأشار يوارو إلى بقعة دائرية على السطح المصقول للطاولة
فقال: إنها بقعة دم يا صديقي.

- ربما يكون الدم قد انتثر هنا، أو تكون البقعة قد حدثت لاحقاً
عندما أراحوا الجثة.

- هذا محتمل جداً، محتمل جداً. ألا يوجد لهذه الغرفة سوى
باب واحد؟

- يوجد درج هنا.

وأزاح تريفويس ستارة مخملية في زاوية الغرفة قرب الباب،
وكان خلفها درج لولبي صغير يقود إلى الأعلى. قال: لقد بُني هذا
البيت أصلاً بواسطة أحد القلبيين، وهذا الدرج يقود إلى البرج
العُلوي حيث كان المرصد. وقد أمر السير روبن بتحصين هذا المكان
كحرفة نوم تلك الأيام فيها حيناً عندما يتأخرون في عملة.

صعد يوارو الدرج ببطء. كانت الغرفة الدائرية العليا قد قُويت
على نحو بسيط - بسير من الخشب الذي يطوي وكروسي وطاولة
واقف يوارو نفسه بأنه ليس هناك مخرج آخر، ثم عاد إلى حيث نظره
تريفويس وسأله: هل سمعت السيد ليفير من وهو يدخل المنزل؟

هز السكرتير رأسه بالنفي قائلاً: لقد كنت نائماً في ذلك الوقت.

هز يوارو رأسه ونظر يسماع في أرجاء الغرفة، ثم قال أخيراً:
حسناً، لا أظن أن لدينا أي شيء هنا أكثر من ذلك، إلا إذا... هلاً
تكرمت بإسدال الستائر؟

سحب تريفويس الستائر السوداء الثقيلة مغطياً النافذة في
الجانب الآخر من الغرفة، فأشعل يوارو مصباحاً متدلياً من سقف
الغرفة تحيط به أتية مرمرية ضخمة وسأل: هل يوجد مصباح طاولة
هنا؟

رداً على السؤال أشعل السكرتير مصباحاً يدوياً ذا غطاء أخضر
كان ينتصب على الطاولة، فأطفأ يوارو مصباح السقف ثم أشعله ثم
أطفأه ثانية وقال: جيد. لقد انتهيت من هذه الغرفة.

- سيكون العشاء جاهزاً في الساعة والنصف.

- شكراً لك على كل أفضالك يا سيد تريفويس.

- عفواً.

• • •

مضى يوارو عبر السمر إلى الغرفة التي تُخصّصت له وهو يفكر.
كان جورج الغامض هناك يرتب حاجيات سيده، وقال له يوارو على
القور: يا عزيزي الطبيب جورج، أأمل أن أقابل على العشاء رجلاً
بدأ بشير اهتمامي بشدة، رجلاً عاد إلى الوطن من المنطقة الاستوائية
حاملاً - كما قيل - مزاجه الاستوائي، رجلاً حاول بارسونز أن يحدّثني
عنه بينما أفضلت ليلى مارغريف ذكره. لقد كان الراحل السير روبن

لم ينسَ ليوارو أن يرى فكتور أستويل في تلك الليلة، فقد اتصل هاتفياً قائلاً إنه سيتأخر في لندن.

سأل ليوارو الليدي أستويل: هل يتابع فكتور أعمال زوجك الراحل؟

- إنه شريك، وقد ذهب إلى إفريقيا ليدرس بعض امتيازات حفر المناجم لصالح الشركة. كانت امتيازات مناجم يا ليلي، أليس كذلك؟

- بلى يا ليدي أستويل.

- هل كانت مناجم ذهب أم نحاس أم قصدير؟ لا بد أنك تعرفين يا ليلي؛ فقد كنت دوماً تسألين روبين عن ذلك كله. آه، انتهي يا عزيزتي، ستوقعين المزهرية!

قالت الفتاة: إن المكان هنا حار جداً بسبب الموقد. هل لي... هل لي أن أفتح النافذة قليلاً؟

قالت الليدي أستويل بهدوء: الفعلي ما تريد يا عزيزتي.

راقب ليوارو الفتاة وهي تنجح إلى النافذة وتفتحها، حيث وقفت هناك دقيقة أو دقيقتين تستنشق هواء الليل البارد. وعندما عادت وجلست في مكانها سألتها ليوارو بتهديب: الأسمه مهتمه بالمناجم إذن؟

أجابته الفتاة دون اهتمام: آه، لست مهتمه فعلاً. كنت أصغي

عصبي المزاج يا جورج، فلو افترضنا أن رجلاً مثله قابل رجلاً ذا مزاج أكثر عصبية فما الذي سيحدث برأيك؟ هل سيَنفُ الریش؟

- «سيستأبر الریش»... هذا هو التعبير الإنكليزي الصحيح يا سيدي. ولكن الأمور لا تجري هكذا دائماً يا سيدي، ولا سيما إذا طالت العِشرة.

- لا تجري هكذا؟

- نعم يا سيدي. لقد كان لي عمه اسمها جيميمما ذات لسان حاد كالمبرد، وكانت تضطهد أختاً لها مسكينة كانت تعيش معها؛ كانت تفعل لها الأفاعيل حتى كادت أن تبغض إليها الحياة. ولكن لو تعرضت لأي مكروه فتمن كان سيدافع عنها؟ هنا كانت علاقتهما تختلف، فالخنوع هو ما لم تكن عمتي لتطيقه.

- آه، إنها لفئة موحية منك.

سعل جورج وكأنه يعتذر ثم سأله سيده بلطف: هل من خدمة يمكن أن أقوم بها لمساعدتك يا سيدي؟

- بالتأكيد، أريد أن تعرف لي ما لون الثوب الذي ارتدته الأسمه لييلي مارغريف ليلة الجريمة، ومن كان يقوم على خدمتها؟

استقبل جورج هذه الأوامر ببرودة المعتاد قائلاً: حسناً يا سيدي، سأتيك بهذه المعلومات صباح غد.

نهض ليوارو عن مقعده ووقف يمدق إلى النار وهو يتمتم: أنت مفيد لي جداً يا جورج. أتعلم، سوف لن أنسى عمك جيميمما هذه!

إلى السير روين، ولكنني لا أعرف أي شيء عن هذا الموضوع.

قالت الليدي أستويل موجّهة حديثها إليها: إذن فقد مثلت دور المهتمة ببراعة، حتى لقد أوشك المسكين روين أن يشك أن لديك دوافع خفية لطرح كل تلك الأسئلة.

لم تتحرك عينا بوارو عن النار التي كان يحرق إليها نبات، ولكن لم تُنكّر مع ذلك - رؤية وجه ليلى مارغريف وهو يتورد بسرعة من الغضب، فقام بتغيير الموضوع ببراعة.

وعندما حان وقت النوم قال لمطيقته: هل لي بكلمتين معك يا سيدي؟

اتخذت ليلى مارغريف بحذر بينما نظرت الليدي أستويل مستفهمة إلى المحقق الذي سألتها: هل كنت آخر من رأى السير روين على قيد الحياة في تلك الليلة؟

أومأت بالإيجاب والدموع تساق من عينيها، ثم أسرعت لتجلبفها بمبتدلي أسود الحاشية.

- آه، لا تُحزني نفسك... أرجوك، لا تُحزني نفسك.

- أنا بخير يا سيد بوارو، ولكنني لا أستطيع حبس دموعي.

- يا لي من أهله كبير إذ هجعت أحزنتك على هذا النحو!

- لا، لا، استمر. ما الذي كنت تريد قوله؟

- اعتقد أن الساعة كانت قريبة من الحادية عشرة عندما ذهبت إلى غرفة البرج وقام السير روين بصرف السيد تريفوسيس، هل هذا صحيح؟

- لا شك أن الوقت كان كما قلت تقريباً.

- وكم بقيت معه؟

- كانت الساعة تمام الثانية عشرة إلا رباعاً عندما نهضت لأذهب إلى غرفتي، أتذكر أنني نظرت إلى الساعة وقتها.

- ليدي أستويل، هل لك أن تخبريني عن موضوع حوارك مع زوجك؟

غرقت الليدي أستويل في الأريكة وانهارت تماماً. كان نشيجها عنيماً وهي تقول: لقد نشأ... نشاجرنا.

- بخصوص ماذا؟

كان صوت بوارو ملاطفاً رقيقاً.

- بخصوص العديد من المسائل. بدأ الأمر بليلى، فقد كان روين يكرهها... بلا سبب، وقال إنه ضبطها تعبت بأوراقه. أراد أن يطردها فقلت له إنها عزيزة عليّ وإني لن أسمح بطردها، ثم بدأ بالصياح في وجهي وفي شمسي، ولم أكن لأقبل بذلك فرددت عليه وأخبرته برأيي فيه. لم أكن أقصد ذلك فعلاً يا سيد بوارو. لقد صرخ قائلاً إنه تتشلني من الوحل وتزوجني فقلت له... آه، ما نفع كل ذلك الآن؟ إنني لن أغفر لنفسي أبداً. هل فهمتني يا سيد بوارو؟ لقد قلت دوماً إن المشاجرات تصفي الأجواء، فكيف كان لي أن أعرف أن أحداً سيقتله في تلك الليلة ذاتها؟ يا لروين العجوز المسكين!

قال بوارو بعد أن أضحى بتعاطفه إلى كل ذلك الحديث العاطفي: اعتذر لأنني سببت لك الألم. ولكن لتكن الآن عمليين جداً

وضع جورج قهوة الصباح الباكر قرب سرير سيده وقال: لقد ارتدت الأنتة مارغريف - يا سيدي - ثوباً من الشيفون الأخضر القاتم في تلك الليلة.

- شكراً يا جورج، فعلاً يمكن الاعتماد عليك.

- كما قام على خدمة الأنتة مارغريف ليلتها الخادمة الثالثة، واسمها غلاديس.

- شكراً يا جورج، إنك لا تقلد بشمن.

- عفواً يا سيدي.

قال بوارو وهو ينظر من النافذة: إنه صباح جميل، وما أظن أن أحداً يمكن أن يكون خارج فراشه في هذا الوقت المبكر. اعتقد - يا عزيزي الطيب - أن علينا أن نفرغ بخرقة الريح بقشيتنا الشجيرة تجربة صغيرة.

- هل تحتاجني يا سيدي؟

- لن تكون التجربة مؤلمة.

عندما وصلا إلى غرفة الريح ألقيا الستائر ما تزال مسدلة، وعندما هم جورج بفتحها أوقفه بوارو قائلاً: سترك الغرفة كما هي. أشعل فقط مصباح الطاولة.

أشعل الخادم المصباح، فقال له بوارو: والآن يا عزيزي جورج، اجلس على ذلك الكرسي وتصرف كما لو كنت تكتب. هذا جيد، أما

ودقيقتين جداً، أما تزالين متمسكة بفكرتك القائلة إن السيد تريفوسيس هو من قتل زوجك؟

اعتذلت الليدي أستويل في جلستها وقالت يوقار: إن حدس المرأة لا يخطئ! يا سيد بوارو.

- بالضبط، بالضبط، ولكن متى قام بذلك؟

- متى؟ بعد أن تركته أنا بالطبع.

- لقد تركت السير روبن في الثانية عشرة إلا ربعا، وفي الثانية عشرة إلا خمس دقائق دخل السيد ليفيرسن البيت، فهل تقولين إن السكرتير جاء من غرفة نومه قتلته في تلك الدقائق العشر؟

- هذا ممكن تماماً.

- أشياء كثيرة ممكنة أيضاً. صحيح أنه يمكن ارتكاب الجريمة في عشر دقائق، ولكن هل ارتكبت الجريمة هكذا؟

- بالطبع هو يقول إنه كان نائماً في فراشه، ولكن من يدرى إن كان حقاً نائماً أم لا؟

- ولكن أحداً لم يره مستيقظاً.

- بالطبع لم يره أحد، فقد كان الجميع في أسرتهم نائمين.

- ما زلت أشك.

قالت بوارو لنفسه، وساد بعدها صمت قصير قطعه بوارو بقوله: حسناً يا ليدي أستويل، أتمنى لك ليلة سعيدة.

أنا فأسماك بهراوة وأتسل خلفك هكذا، وأضربك على قفا رأسك - نعم يا سيدي.

- آه! ولكن عندما أضربك توقّف عن الكتابة. هل تهمني؟ لا يمكن أن أطيع ذلك، لا يمكنني ضربك بنفس القوة التي ضرب بها القاتل السير روبن، ولذلك فعندما تصل إلى هذه النقطة ينبغي لنا أن نودبها كما لو كانت حقيقية. أضربك على رأسك فتهاز هكذا: الذراعان مرتخيتان والجسم مترهل. اسمح لي أن أرتب جسمك. لا، لا تشدد عضلاتك.

تهدد عميقاً بغضب ثم قال: أنت تكوي السراويل بشكل ممتاز يا جورج، أما الخيال فإتاك لا تملكه. اتفهس ودعني أخذ مكانك.

جلس بورو على طاولة الكتابة وبدأ يعطي تعليماته: أنا أكتب، أكتب بهتة، وأنت تتسلل خلفي وتضربني على رأسي بالهراوة. طاخ! يسقط القلم من أصابعي وأسقط إلى الأمام، ولكن ليس إلى الأمام كثيراً لأن الكرسي منخفض والطاولة مرتفعة، والأهم هو أن ذراعي تستنداني. احمل معروفاً يا جورج وارجع إلى الباب، فف هناك وقل لي: ماذا ترى؟

- إحم!

- نعم يا جورج، هيا.

- أراك جالساً على المكتب يا سيدي.

- جالساً على المكتب؟

- من الصعب قليلاً أن ترى بوضوح من هذا البعد يا سيدي.

فالمصباح مقلّب بشكل كثيف. هل لي أن أشعل هذا الضوء يا سيدي؟ وانتدت يده إلى مفتاح الضوء فقال بورو بهتة: لا تفعل! الأفضل أن نبقى هكذا. ها أنذا مكبّ على المكتب وها أنت ذا تطفئ بالباب. تقدم الآن يا جورج، تقدم وضع يدك على كتفي.

نقذ جورج ما أمّر به فقال بورو: استند عليّ قليلاً يا جورج كما لو كنت تعتمد عليّ لطف على قدميك. آه، هكذا.

انزلت جسم هيركيول بورو المترهل إلى الجانب.

- إني أسفط... هكذا، نعم؛ كما تخيلتها تماماً. ولكن بلي شيء أكثر أهمية ينبغي القيام به.

- حقاً يا سيدي؟

- نعم، من الضروري أن أتناول الإفطار دسماً.

قالها الرجل الضئيل وهو يضحك مرحاً من نكتته، ثم أردف قائلاً: ينبغي أن لا يتجاهل أحد معدته يا جورج.

احتفظ جورج بصمت مستهجن فيما نزل بورو السلم وهو يضحك بسعادة مع نفسه، كان سعيداً بالطريقة التي تتجمع بها خيوط القضية.

بعد الإفطار تعرف إلى الخادمة الثالثة غلاديس التي كان مهتماً كثيراً بما يمكنها أن تخبره به عن الجريمة. كانت متعاطفة مع نشازلر رغم أنها لم تشك أنه هو الذي ارتكب الجريمة، وقالت: إنه شاب مسكين يا سيدي، وكم هو صعب أن تنصرف على غير طبيعته وقتها.

اقترح يوارو ملتجأً: كان ينبغي لعلاقته مع الأيسة مارغريف أن تكون على ما يرام باعتبارهما الشابين الوحيدين في المنزل.

هزت غلاديس رأسها بالنفي قائلة: كانت علاقتها معه تتسم بالصدود، فلم تكن تريد أفعالاً طائشة، وقد أوضحت ذلك.

- كان مغرماً بها، أليس كذلك؟

- آه، كان إعجابها طارئاً إذا صح التعبير، لا ضرر فيه. أما المغموم حقاً بالأيسة ليلي فهو السيد فكتور أستويل.

قالت ذلك وقهقهت.

- آه، حقاً!!

قهقهت غلاديس ثانية وقالت: لقد شُغِفَ بها فوراً. إن الأيسة ليلي كزهرة الليل، أبيت كذلك يا سيدي، بغولها القارع وشعرها الذهبي الجميل؟

قال يوارو وهو يتفكر بصوت عالٍ: لو أنها فقط لبست ثوباً أخضر، فهناك ظل احضرار...

- لديها ثوب أخضر يا سيدي. إنها لا تستطيع طبعاً أن تلبس الآن كونها في الحداد، ولكنها كانت ترتديه في نفس الليلة التي مات فيها السير روبن.

- لا بد أنه أخضر فاتح وليس غامقاً.

- إنه أخضر فاتح بالفعل يا سيدي. سأريك إياه إذا انتظرتني دقيقة، فالأيسة ليلي خرجت مع الكلاب قبل قليل.

هز يوارو رأسه، فقد كان يعلم بخروج ليلي كما تعلم غلاديس، بل إنه لم يخرج بحثاً عن المغادرة إلا بعد أن رأى ليلي تتبعد عن البيت وعن الأراضي التابعة له. أسرعت غلاديس وعادت بعد بضع دقائق حاملة ثوب السهرة الأخضر معلماً على يشجب. تمتع يوارو: رائع!

وتفح ذراعاه إعجاباً، ثم قال: اسمحي لي أن أراه دقيقة قرب

العصر.

أخذ الثوب من غلاديس وأدار لها ظهره وأسرع نحو النافذة حيث انحنى فوق الثوب، ثم مد يده به متأملاً وهو يقول: إنه بديع بفن الألياف. ألف شكر لك على السماح لي برؤيته.

- عفواً يا سيدي، نحن نعرف جميعاً أن الفرنسيين يهتمون

بالملايس.

- أنت لطيفة جداً.

واقبها يوارو وهي تتبعد بالثوب، ثم نظر إلى يديه وانتمس. كان في اليد اليمنى مقص صغير للأظافر وفي اليسرى قصاصة من الشيفون الأخضر تم قصها بعناية.

تتم قاتلاً لنفسه: والآن إلى العمل الذي يحتاج إلى بطولة.

• • •

عاد إلى غرفته واستدعى خادمه جورج فقال له: سنجد -

يا عزيزي جورج- ديوس وشاح ذهبياً على طاولة الزينة هناك.

- نعم يا سيدي.

- وعلى المغسلة محلول معقم. أرجوك أن تغمر رأس الدبوس في ذلك المعقم.

قام جورج بما طُلب منه، فقد توقفت منذ أمد بعيد عن العجب من تقلبات أهواء سيده. قال: لقد فعلت ذلك يا سيدي.

- ممتاز، والآن تقدم. سأمد لك إبهامي، فأدخل فيه رأس الدبوس.

- اعذرني يا سيدي، هل تريدني أن أجزك بالدبوس؟

- نعم، لقد فهمت قصدك. عليك أن تُخرج بعض الدم، هل فهمت؟ ولكن ليس كثيراً.

أمسك جورج بإصبع سيده الذي أغمض عينه وانكأ إلى الخلف، ثم وخزه بالدبوس فأطلق بوارو صرخة حادة وقال: أشكرك يا جورج، لقد قمت بما هو مطلوب.

ثم أخذ من جيبه قطعة صغيرة من الشيفون الأخضر وربت بها بحذر على إصبغه قاتلاً وهو يحدق إلى النتيجة على قصاصة القماش: لقد نجحت العملية نجاحاً باهراً.

ثم التفت إلى جورج وقال: أليس عندك فضول يا جورج؟ إن أمرك لعجيب!

كان الخادم قد ألقى لثوه نظرة حذرة من النافذة، ثم نتم: عفوك يا سيدي، فقد وصل رجل بسيارة ضخمة.

نهض بوارو واقفاً وهو يقول: آه، السيد فكتور أستويل المتمتع. سأنزله لأشرف عليه.

وقد قُدِّر لبوارو أن يسمع السيد فكتور أستويل لبعض الوقت قبل أن يراه، حيث دوى صوته عالياً من الصالة وهو يصيح: انتبه لما تفعله أيها الأبله اللعين! إن في هذه الحلية زجاجاً... عليك التلعة يا بارسونز، انقرب من وجهي... أنزلها أيها الأحمق!

قفز بوارو برشاقة وهو يتزل الدراج إلى الصالة. كان فكتور أستويل رجلاً ضخماً انحنى له بوارو بأدب فزمر قاتلاً: ومن تكون أنت؟

انحنى بوارو ثانية وهو يقول: اسمي هيركيول بوارو.

- يا إلهي! إذن فقد أرسلت ناسي في طلبك رغم كل شيء؟

وضع يده على كتف بوارو وسحبه نحو المكتبة، وهناك صعد بصره إلى بوارو قاتلاً: أنت إذن ذلك الشخص الذي يثيرون حوله كل تلك الضجة. اعذرني على مفرداتي الآن، فسألني ذلك حمار ملعون، وبارسونز يثير أعصابي دوماً، ذاك الأبله المعجوز.

ثم أضاف وكأنه يعنذر: لا أستطيع لحمل الحمقى، ولكنك لست أحقق بكل المقاييس يا سيد بوارو، أليس كذلك؟

ضحك بانتهاج، فأجابه بوارو بهدوء: أولئك الذين حسبوني أحقق ندموا على عظمتهم.

- هكنا إذن؟ حسناً، لقد آتت بك ناسي إلى هنا، فهي مضرة على الشك في ذلك السكرتير. وأقلته شك غير ميّز، فثيوفيس طري كالحليب، وهو يشرب الحليب أيضاً كما اعتقد! إنها تضعية لوفتك، أليس كذلك؟

أجاب بوارو بهدوء: إذا أتحت للمرء فرصة مراقبة الطبيعة البشرية فذلك لا يعتبر مضجعاً للوقت.

- الطبيعة البشرية... أه!

حديق فكتور أستويل إليه ثم رمى نفسه على كرسي وقال: هل من خدمة أؤديها لك؟

- نعم، بأن تخبرني عن سبب شجارك مع أميك في تلك الليلة.

هز فكتور أستويل رأسه بالرغضب قائلاً بحسم: ليس لهذا علاقة بالفضية.

- لا يمكن الجزم بذلك.

- لا علاقة لذلك بتشارلز ليفيرسن.

- تعتقد الليدي أستويل أنه ليس لتشارلز علاقة بالجريمة.

- أه، نانسى!

- كما أن بارسونز يزعم بأن تشارلز ليفيرسن هو الذي أتى في تلك الليلة، ولكنه لم يره. نذكر أن أحداً لم يره.

- الأمر في غاية البساطة. فقد كان روبن يهاجم الشاب تشارلز، وله في ذلك أسبابه. ثم حاول بعد ذلك أن يتناول عليّ أنا فأخبرته بعض الحقائق المثيرة عن نفسه وقررت أن أساند الشاب لمجرد إزعاج روبن، وأحببت أن أرى الشاب في تلك الليلة لأخبره بما استقر عليه رأيي. وعندما ذهبت إلى غرفتي لم أخلد إلى السرير بل جلست أدخن وتركت الباب نصف مفتوح، وغرفتي - يا سيد بوارو - في الطابق الثاني وغرفة تشارلز بجانبها.

- اعذرني على المقاطعة، أيا بنام السيد تريفوسيس أيضاً في ذلك الطابق؟

- بلى، وغرفته بعد غرفتي تماماً.

- أمي الأترب إلى الدرج؟

- لا، بل في الاتجاه الآخر.

علا وجة بوارو حياءً غريباً، ولكن محدثه لم يتبه إلى ذلك ومضى في حديثه: كما قلت لك، انتظرت تشارلز فسمعتُ صوت الباب الأمامي يتطرق في الثانية عشرة إلا خمس دقائق كما أظن، ولكن لم يظهر تشارلز لمدة تقرب من عشر دقائق، وعندما ظهر في أعلى الدرج رأيت أن من غير المناسب أن أحدثه في تلك الليلة.

ثم رفع فكتور مرفقه بإشارة ذات معنى، فقال بوارو: نعم، إنني أفهمك.

- لم يكن ذلك الشيطان المسكين يستطيع المشي بشكل مستقيم، وبدا شاحباً تماماً أيضاً. وقد عزوت ذلك إلى حالته في ذلك الوقت، ولكنني أدركت الآن - بالطبع - أنه كان قد عاد لتوّه من ارتكاب جريمة قتل.

قاطعه بوارو بسؤال سريع: ألم تسمع شيئاً من غرفة البرج؟

- لا، ولكن عليك أن تذكر أنني كنت في الجانب الآخر للبنى تماماً. كما أن الجدران سميكة ولا أعتقد أن يوسعك أن تسمع حتى طلقات مدس من هناك.

هز بوارو رأسه فيما تابع أستويل: سألته إن كان يريد مساعدة

للوصل إلى سريره ولكنه قال إنه على ما يرام، ومضى إلى غرفته صافقاً الباب خلفه، فبدلتُ ثيابي وأريت إلى فراشي.

كان بوارو يهدقني إلى السجادة بتركيز، وأخيراً قال: هل تدرك أن شهادتك مهمة جداً يا سيد أستويل؟

- أظنها كذلك، على الأقل... ما الذي تعنيه؟

- شهادتك بأن عشر دقائق مرّت بين صفق الباب الأمامي وظهور ليبرسن في الطابق العلوي، فهو نفسه يقول -كما فهمت- بأنه أتى إلى البيت ومضى مباشرة إلى سريره. ولكن ثمة أمر آخر؛ صحيح أن اتهام الليدي أستويل للسكرتير أمر خيالي، ولكن لم يثبت أنه مستحيل حتى الآن. إلا أن شهادتك تشكّل دعفاً بالغية عن مكان الجريمة.

- كيف؟

- تقول الليدي أستويل إنها تركت زوجها في الثانية عشرة إلا ربعاً، بينما ذهب السكرتير إلى سريره في الحادية عشرة. والوقت الوحيد الذي كان بإمكانه ارتكاب الجريمة فيه هو ما بين الثانية عشرة إلا ربعاً ولحظة عودة تشارلز ليبرسن. والآن، إذا كنت تجلس -كما تقول- أمام باب غرفتك المفتوح قلن بسعة أن يخرج من غرفته دون أن تراه.

- نعم، هذا صحيح.

- ألا يوجد درج آخر؟

- لا، كان عليه أن يمر بابي لو أراد النزول إلى غرفة البرج،

وهو لم يفعل، أنا متأكد من هذا تماماً. ومع ذلك فإن الرجل -كما قلت لك يا سيد بوارو- شديد الخنوع، أوكد لك هذا.

هتف بوارو مهدتاً: نعم، نعم، لقد فهمت هذا كله.

وصمت قليلاً ثم قال: وأنت، أكن تخبرني بموضوع شجارك مع أخيك السير روبن؟

أصبح وجه الرجل الآخر أحمر قائماً وصاح: لن تحصل مني على أي شيء.

نظر بوارو إلى سقف الغرفة وتمتم: بوسعي دوماً أن أكون كتوماً عندما يتعلق الأمر بامرأة.

قفز فكتور أستويل واقفاً على قدميه وهو يصيح: عليك اللعنة، كيف استطعت... ما الذي تعنيه؟

- كنت أفكر بالآنسة ليبي مارغريف.

وقف فكتور أستويل دقيقة أو اثنين حائرًا لا يدري ما يقول، ثم تلاشى اللون الأحمر من وجهه فجلس ثانية وقال: أنت ذكي جداً في نظري يا سيد بوارو. نعم، كانت ليبي هي موضوع مشاجرتنا. كان روبن يعاملها بشكل سيئ، وكان قد نكّب في ماضيها فوجد امرأة ما، شيئاً من قبيل رسائل توصية مزورة... وأنا -شخصياً- لا أصدق كلمة من ذلك. ثم تمادى إلى حد ليس من حله أن يبلغه زاعماً أنها تتسلل ليلاً خارج البيت لتقابل رجلاً ما. يا إلهي! لقد وبخته وقلت له إن التهامات أقل من هذه قد نسبت في سفك دماء، وقد أسكتته ذلك إذ كان يمشي قليلاً عندما أتور.

تتمم يوارو بأدب: هذا أمر لا أستغربه.

فَهِرَ فكتور من ليرته وقال: إنني أفكر كثيراً في ليلى مارغريف،
فهي لطيفة غاية اللطف.

لم يجب يوارو، فقد كان يحدِّق أمامه غارقاً - كما يبدو - في
تفكيراته، ثم خرج من استغراقه العميق برعشة وقال: علمتُ أن أنتزّه
قليلاً. إن في هذه المنطقة فتناً، أليس كذلك؟

- بل اثنان: «فندق الغولف» قرب ملعب الغولف و«فندق مير»
قرب المحطة.

- شكراً لك. نعم، ينبغي عليّ أن أنتزّه قليلاً.

-٦-

يقع فندق الغولف (كما يدعى اسمه) على ملاعب الغولف
بمحاذاة مبنى النادي، وقد ذهب يوارو إلى هذا الفندق أولاً في إطار
«تزمته» التي أشاع أنه يحترم القيام بها. لقد كانت لهذا الرجل الضئيل
طريقته في أداء عمله، فلم تكن تمرّ ثلاث دقائق على دخوله إلى فندق
الغولف حتى كان يعقد جلسة مشاورات خاصة مع الأُستاذ لانغدون،
مديرة الفندق.

- أنا أسف على إزعاجك يا أنستي، ولكن ذلك من طبيعة
عمالي، فأنا رجل تحرّ كما تريد.

كانت البساطة تروق له دائماً، وفي هذه الحالة أثبتت البساطة
فعاليتها على الفور؛ إذ هفت الأُستاذ لانغدون وهي تنظر إليه بارتياح:
رجل تحرّ؟

- لست من شرطة اسكتلندبارد، بل ربما لاحظتِ أنني لست
إنكليزياً، لا، إنني أقوم ببحرياتي الخاصة بخصوص مقتل السير روين
استويل.

- أنتني أنك تقوم بذلك الآن؟

قالت ذلك وهي تحملتُ إليه منظرية جوايه.

- بالضبط، ولم أكن لأبوح بهذه الحقيقة إلا لشخص كتوم
ملك، وأظن أن بإمكانك مساعدتي يا أنسة. هل يسعك أن تخبريني
عن أي شخص كان تزياً عندكم ليلة الحادث، وغاب عن الفندق
في تلك الليلة ثم عاد إليه في نحو الثانية عشرة أو الثانية عشرة
والنصف؟

ازدادت حماسة الأُستاذ لانغدون وقالت بألقاس متطلعة: هل
تعلم أن...؟

- أنكم كنتم تستضيفون الضال؟ لا، ولكن لديّ ما يدفعني إلى
الاعتقاد بأن شخصاً من ضيوفكم قد نترّه باتجاه قصر مون ريبوز في
تلك الليلة، فإن كان الأمر كذلك فربما يكون قد رأى شيئاً غير ذي
أهمية بالنسبة له ولكنه مفيد جداً بالنسبة لي.

هزّت المديرية رأسها بتعقل بأسلوب متألف تماماً مع مقتضيات
المنطق البوليسي، ثم قالت: أفهم ذلك تماماً. والأُن دعني أرى، من
كان تزياً لدينا هنا؟

تجهت وهي تستعرض في ذهنها - كما يبدو - أسماء التزلاء،
وتستعين أحياناً بعضهم على أصابعها.

- لقد خرج رجل واحد في وقت متأخر من تلك الليلة ثم عاد في نحو الثانية عشرة والنصف كما أذكر، وكان من عادته أن يخرج ليتمشى في مثل ذلك الوقت من الليل، وقد خرج قبل ذلك مرة أو مرتين. دعني أراجع اسمه، فقد غاب الآن عن ذاكرتي.

سحبت سجلاً ضخماً وبدأت بقلب صفحاته: تسعة عشر، عشرون، واحد وعشرون، اثنان وعشرون... آه، ها هو. اسمه نيلز، الكابتن همفري نيلز.

- هل سبق له أن أقام عندكم؟ هل تعرفينه جيداً؟

- أقام هنا مرة واحدة من قبل، قبل نحو أسبوعين من إقامته الأخيرة. وأذكر أنه خرج في الليل أيضاً آنذاك.

- وهل جاء إلى هنا ليلعب الغولف؟

- نعم، أظن ذلك، فهذا ما يأتي الجميع من أجله.

- هذا صحيح. حسناً يا آنسة، أشكرك جداً وأتمنى لك يوماً سعيداً.

عاد إلى قصر مون ريموز وعلامات التفكير بادية على وجهه، وأخرج مرة أو مرتين شيئاً من جيبه لينظر إليه متنمناً لنفسه: لا بد من فعل ذلك سريعاً، حالما تنتهي من الفرصة.

• • •

بادر فور دخوله المنزل إلى سؤال بارسونز عن مكان الأنسة مارغريف، فأخبره أنها في الغرفة الصغيرة تعمل بمراسلات الليدي أستويل، وبدا أن هذه المعلومة قد أرهقت بوارو.

- الكابتن سوان. والسيد إيلكترز، والرائد بلايونت، والسيد بنس المجوز... لا، لا أعتقد أن أحداً خرج في تلك الليلة يا سيدي.

- وهل كنت ستلاطين خروج أحد لو خرج؟

- نعم يا سيدي، فهذا نادراً ما يحدث. وبما خرج بعض الرجال لتناول العشاء خارج الفندق، ولكنهم لا يخرجون بعد العشاء، إذ -بساطة- لا يوجد مكان يمكن للمرة أن يرنده. كانت لعبة الغولف هي ما يميز منطقة أيوتر كروس، ولا شيء غير الغولف.

- هذا صحيح، فأنت إذن لا تتذكرين أن أحداً خرج من هنا في تلك الليلة؟

- فقط خرج الكابتن إنغلاند وزوجته لتناول العشاء.

هز بوارو رأسه قائلاً: ليس هذا ما أعنيه. سأحاول في الفندق الآخر، فندق الميتر، أليس هذا هو اسمه؟

- آه، فندق الميتر. بالطبع، من هناك يمكن لأي فرد أن يخرج.

كانت نبرة الاستخفاف ظاهرة في كلماتها، فانسحب بوارو ببطء.

بعد عشر دقائق كان بوارو بعيد نفس المشهد، لكن مع الأنسة كول هذه المرة، المديرة النظة لفندق الميتر، وهو فندق أكثر تواضعاً وأقل أسعاراً يقع قرب المحطة.

وجد الغرفة الصغيرة بسرعة وبلا عناء. كانت ليلى مارغريف جالسة على مكتب قرب النافذة وهي تكتب غير شاعرة بوجوده، وأغلق يوارو الباب خلفه وتقدم من الفتاة قائلاً: هل لي بدقائق قليلة من وقتك يا آنسة؟ سيكون ذلك لطفاً كبيراً منك.

- بالتأكيد.

وضعت ليلى مارغريف الأوراق جانباً والتفت نحوه قائلة: ما الذي يمكنك فعله من أجلك؟

- في ليلة المأساة يا آنسة، فهمت أنك ذهبت مباشرة إلى فراشك عندما ذهبت الليدي أستويل إلى زوجها، هل هذا صحيح؟

هزت ليل مارغريف رأسها بالإيجاب، فسأل يوارو: ألم تنزلي ثانية تحت أي ظرف؟

هزت الفتاة رأسها بالنفي، فقال يوارو: أفتك قلت -يا آنسة- إنك لم تدخل في أي وقت من تلك الليلة إلى غرفة البرج؟

- لا أذكر أنني قلت ذلك، ولكن هذا صحيح تماماً في الحقيقة؛ فأنا لم أدخل غرفة البرج في تلك الليلة.

رفع يوارو حاجبيه وتمتم: هذا غريب.

- ماذا تعني؟

لتمتم يوارو ثانية: غريب جداً، كيف تفسرين هذا إذن؟

أخرج من جيبه فصاصة صغيرة من الشيفون الأخضر ملطحة بالدم ورفعها لتفحصها الفتاة.

لم تتغير تعابير وجهها، ولكنه شعر بشهيقها الحاد أكثر مما كان قالت: لا أفهم يا سيد يوارو.

- لقد كنت ترتدين ثوباً من الشيفون الأخضر في تلك الليلة كما علمت، وهذه مزقة منه.

قال ذلك وهو يمسك الفصاصة بين أصابعه، فسأته الفتاة بجدّة: وهل وجدت هذه في غرفة البرج؟ أين؟

نظر يوارو إلى السقف قائلاً: سنكتفي الآن بالقول إنها كانت في غرفة البرج.

قفزت نظرة خوف لأول مرة إلى وجه الفتاة فبدأت بالكلام، ثم ضبعت نفسها فيما كان يوارو يراقب يديها الصغيرتين البيضاءتين تعلقان على حافة المكتب. قالت متألمة: أسامد إن كنت قد ذهبت إلى غرفة البرج في تلك الليلة... أصني قبل العشاء. ولكنني لا أعتقد ذلك، بل أنا شبه متأكدة من أنني لم أدخلها. ويبدو أمراً غريباً أن تبلى هذه المزقة في الغرفة طوال الوقت ولا يجدها الشرطة مباشرة.

- إن الشرطة لا يفكرون في الأشياء التي يفكر فيها ميركيول يوارو.

- ربما أكون قد مررت هناك للحظات قبل العشاء، أو ربما كان ذلك في الليلة التي سبقت تلك الليلة، فقد كنت أرثدي يوماً الثوب نفسه. نعم، أكاد أجزم أن ذلك كان في الليلة السابقة.

قال يوارو بهدوء: لا أعتقد ذلك.

- لماذا؟

اكتفى بهز رأسه ببطء بعتة وسيرة، فهمست: ما الذي تعنيه؟

كانت منحنية إلى الأمام تحديق إليه وقد اندفعت الدماء إلى وجهها. قال: ألم تنتهي إلى أن هذه المزقة ملطخة با آتسة؟ ومما لا شك فيه أن ما بلطخها هو دم بشري؟

- هل تعني...؟

- أعني أنك كنت في غرفة الرج - با آتسة - بعد ارتكاب الجريمة لا قبلها، وأظن أن من الأفضل لك أن تخبريني بالحقيقة كاملة لتلا يقع لك ما هو أسوأ.

نهض واقفاً في تلك اللحظة، وبدأ رجلاً ذا هيئة صارمة وهو يوجه إصبع اتهام إلى الفتاة. قالت ليلى لاهته: كيف عرفت ذلك؟

- ليس المهم كيف عرفت با آتسة، فأنا هيركيول يوارو الذي يعرف كل شيء. وأعرف أيضاً كل شيء عن الكابتن همفري نيلر. وأعرف أنك ذهبت لمقابلته في تلك الليلة.

فجأة وضعت ليلى رأسها بين ذراعيها وانفجرت بالبكاء، فخلى يوارو مباشرة عن موقفه الانهامي وأخذ يرث على كتفها مواسياً: هيا، هيا يا صغيرتي، لا تتألمي. يستحيل على أحد أن يخدع هيركيول يوارو، ما إن تدركي ذلك حتى تنتهي كل مشكلاتك. مستفضين الحكاية كلها عليّ الآن، أليس كذلك؟ ستخبرين بابا يوارو العجوز؟

- ليس الأمر كما نظن، ليس كذلك بالفعل؟ فأخي همفري لم يلمس شعرة من رأس السير روبين.

- أخوك؟ آه، هذه هي حقيقة الوضع إذن؟ حسناً، إذا أردت أن

تدفعني عنه الشبهات فعليك أن تخبريني بالقصة كلها الآن، ودون تحفظ.

اعتدت ليلى في جلستها ثالثة ورقعت شعرها عن جبينها، وبعد دقيقة أو اثنتين بدأت تتكلم بصوت خفيض وواضح: سأخبرك بالحقيقة يا سيد يوارو، فأنا أدرك الآن أن من السخف أن أفعل شيئاً غير ذلك. إن اسمي الحقيقي هو ليلى نيلر، وهمفري هو أخي الوحيد. قبل بضع سنوات، عندما كان أخي في إفريقيا، اعتدى إلى منجم ذهب، أو بالأحرى اكتشف وجود ذهب. لن أستطيع أن أخبرك هذا المقطع من القصة كما يجب لأنني لا أفهم التفاصيل الفنية ولكن ملخص القصة هو التالي:

لقد بدأ ذلك الاكتشاف ذا احتمالات كبرى، فعاد همفري إلى الوطن حاملاً رسائل إلى السير روبين أستويل على أمل إثارة اهتمامه بالموضوع. أنا لم أفهم حتى الآن مسألة الحقوق التي تترتب على ذلك، ولكن ما فهمته هو أن السير روبين أرسل خبيراً ليواقيه برأيه وأخبر أخي بعد ذلك بأن تقرير الخبير كان سلبياً وأن همفري ارتكب خطأ كبيراً. وبعد ذلك عاد أخي إلى إفريقيا في بعثة داخل مجايعها وضاعت آثاره، حتى ساد الاعتقاد بأن البعثة قد هلكت.

بعد ذلك بوقت قصير أُنشئت شركة لاستغلال حقول ذهب نبالا، وعندما عاد أخي إلى إنكلترا استنج مباشرة بأن حقول الذهب تلك كانت هي نفسها الحقول التي كشفها. ولم تكن للسير روبين أستويل -ظاهراً- أية علاقة بتلك الشركة، وبدأ أن هذه الشركة قد كشفت الحقول بنفسها، ولكن أخي لم ينتج بذلك بل كان مقتنعاً بأن السير روبين قد خدعه عن عمد، وأصبح -تدريجياً- أكثر تعاسة وعدوانية بسبب هذه القضية.

نحن الاثنان وحيدان في هذا العالم يا سيد بوارو، وبما أنه كان من الضروري بالنسبة لي أن أخرج وأكسب لقمة عيشي، فقد عظرت لي فكرة العمل في هذا البيت ومحاولة كشف أية علاقة محتفلة بين السير روين وشركة «حقول ذهب ميالا». ولأسباب واضحة قمت بإعطاء اسمي الحقيقي، وأعترف -بصراحة- بأنني استخدمت رسالة تزكية مزورة.

كان هناك عدة مقدمات لشغل هذه الوظيفة وأغلبهن يتبعن بدوكلات أفضل من مؤهلاتي، وهكذا كتبت رسالة تزكية جميلة من دوقه بيرنشاير التي كنت أعرف أنها سافرت إلى أمريكا. قلت في نفسي: إن دوقه سيكون لها تأثير كبير في الليدي أستويل. وكنت على حق تماماً، فقد قبلت تعييني على الفور. ومنذ ذلك الحين قمت بذلك العمل الكرهى، النجس، ودون أي نجاح حتى عهد قريب. لم يكن السير روين بالرجل الذي يكشف أسرار عمله، ولكن عندما عاد فكتور أستويل من إفريقيا كان أقل حذراً في كلامه، وبدأت أصدق بأن أخي لم يكن مخفياً رغم كل شيء. جاء أخي إلى هنا قبل الجريمة بنحو أسبوعين، وتسللت من المنزل لمقابلته سراً في الليل وأخبرته بالأشياء التي قالها فكتور أستويل، فتحمس كثيراً وأكد لي أنني أسير في المسار الصحيح حتماً.

ولكن بعد ذلك بدأت الرياح تجري بما لا تشتهي سفنتا، إذ أن أحداً وأني -على الأغلب- وأنا أنسلل من المنزل فأخبر السير روين بذلك، فثارت شكوكه وبدأ بالبحث عن الأشخاص الذين زكوني. وسرعان ما عرف أنهم كانوا وهميتين. وقد بلغت الأزمة ذروتها يوم مفتله. أظنه كان يعتقد أنني أسعى خلف جواهر زوجته، وبغض النظر عن شكوكه فقد كان عاجزاً على إخراجي من مون ريبوز، مع

أنه وافق على عدم مقاضائي بسبب مسألة رسائل التزكية المزورة. وقد ولقت الليدي أستويل بجائتي طول الوقت وواجهت السير روين بشجاعة.

توقفت قليلاً، وكان وجه بوارو جدياً تماماً. قال لها: والآن نأتي إلى ليلة الجريمة يا أنسة.

ابتلعت ليلي ريقها بصعوبة وهزت رأسها ومضت تقول: عليّ أن أخبرك -بادئ ذي بدء- أن أخي حضر ثانية وأني عطلت للنسل ومقابله من جديد. ذهبت إلى غرفتي كما قلت، ولكنني لم أذهب إلى فراشي بل انتظرت حتى حُبل إليّ أن الجميع قد ناموا، فنزلت الدرج ثانية وتسللت إلى الخارج من الباب الجانبي حيث قابلت همفري وأخبرته بكللمات سريعة بما حصل. أخبرته أنني أعتقد أن الأوراق التي يريدعا موجودة في خزانة السير روين في غرفة البرج، وانظنا أن نقوم بمغامرة بالسة أخيرة نحاول فيها الحصول على تلك الأوراق في تلك الليلة.

كانت حطنتا تنفضي أن أذهب أنا أولاً لاستكشاف الطريق إلى الغرفة. وعند دخولي من الباب الجانبي سمعت ساعة الكنيسة تدق معلنة تمام الثانية عشرة، وبينما أنا في منتصف الطريق على الدرج المؤدي إلى غرفة البرج سمعت صوت انعطام شيء. بلغ وصاح صوت قائلاً: «يا إلهي!». بعد دقيقة أو دقيقتين نُفِع باب غرفة البرج وخرج منه تشارلز ليغرسن، واستطعت أن أرى وجهه واضحاً تماماً في ضوء القمر، ولكنني كنت أجثم على مسافة منه أسفل الدرج في الظلام فلم يرني بتاتاً.

وقفت هناك بترنح دقيقة على قدميه والشحوب ياد عليه. بدا وكأنه

بصغي، ثم بذل جهداً لكي يتمالك نفسه ومضى لفتح باب غرفة النوم
وبنادي بعبارة فحواها أنه لم يحصل هناك مكروه. كان صوته مرعاً
ومبتهجاً تماماً، ولكن وجهه كان يكذب ذلك. وانتظر دقيقة أخرى ثم
صعد الدرج ببطء واختفى. عندما ذهب انتظرت قليلاً ثم تسللت إلى
باب غرفة الريح. كان لدي شعور بأن أمراً مأساوياً قد حدث، وكان
المصباح الرئيسي مغطىً ولكن كان مصباح الطاولة مشتعلًا، وقد رأيت
على ضوء السير روبن ممدداً على الأرض قرب المكتب. تسالكت
أحصابي أخيراً دون أن أدري كيف استطعت ذلك، فذهبت نحوه ثم
جثوت قربه، وأدركت مباشرة أنه ميت نتيجة ضربة من الخلف وأن
موته لم يحدث منذ فترة طويلة، فقد لمسّت يده فوجدتها ما تزال دافئة
تماماً. كان ذلك قطعياً يا سيد بوارو، قطعياً جداً!

ارتعشت من تلك الذكرى، فظنر بوارو إليها بحدة وقال: وبعد
ذلك؟

هزت ليلي مازغيرف رأسها وقالت: نعم يا سيد بوارو، إنني
أعرف بماذا تفكر. لماذا لم أصرخ وأوقف من في البيت؟ أعرف أنه
كان عليّ أن أفعل ذلك، ولكن سرعان ما خطرت لي الفكرة وأنا أجتو
هناك... إن مشاجرتي مع السير روبن، وتسليي للقاء همفري، وحقيقة
أنني كنت سأصرف من المنزل في صباح اليوم التالي، كل ذلك كانت
له عواقب فائتة. سوف يفلول الجميع إنني أدخلت همفري إلى المنزل
وإن همفري قتل السير روبن بدافع الانتقام، ولو قلت عندها إنني
رأيت تشارلز ليفيرسن يغادر الغرفة لما صدقتي أحد.

كان ذلك قطعياً يا سيد بوارو! كنت جاثية هناك أفكر وأفكر،
وكلما زاد تفكيري عثاني أحصابي أكثر فأكثر. ثم لاحظت مفاتيح

السير روبن وقد سقطت منه عندما سقط، وكان بينها مفتاح الخزانة،
أما تسلسل أرقامها فقد كنت أعرفه من قبل إذ كانت الليدي آستويل
ذكرته أمامي مرة. قمت إلى تلك الخزانة وفتحتها وقشيت في الأوراق
التي وجدتتها داخلها، وفي النهاية عثرت على ما كنت أبحث عنه.
كان همفري مُحققاً تماماً؛ كان السير روبن يقف خلف شركة «حقول
ذهب مبالا» وقد خدع همفري متعمداً. ولكن هذا الاكتشاف كان من
شأنه أن يزيد الأوضاع سوءاً، إذ أنه يمنح همفري دفعةً قويةً وقاطعاً
يبرر اتهامه بارتكاب الجريمة؛ ولذلك فقد أعدت الأوراق إلى الخزانة
وتركت المفاتيح فيها، وذهبت مباشرة إلى غرفتي في الطابق العلوي.
وفي الصباح تظاهرت بالمفاجأة والرعب مما حصل كأني شخص آخر
عندما كشفت الخادمة الجثة.

توقفت ونظرت إلى بوارو مستعطفة وهي تقول: أنت لا تصدقتي
يا سيد بوارو، آه، قل إنك تصدقتي، أرجوك!

- أنا أصدك يا آنسة! فقد شرحت لي كثيراً من الأمور التي
حيرتني، مثل قناعك المظلمة بأن تشارلز ليفيرسن هو الذي ارتكب
الجريمة، وأيضاً جهودك الدؤوبة لتثبني عن القدوم إلى هنا.

هزت ليلي رأسها واعترفت بصراحة: لقد كنت خائفة منك، إذ
لم تكن الليدي آستويل لتعلم (كما أعلم أنا) بأن تشارلز هو المذنب،
ولم يكن بمقدوري أن أقول شيئاً. وهكذا تعلقت بأمل رفضك تولي
القضية.

- ربما كان ذلك الحرص الواضح من طرفك هو الذي دفعني
لتولي القضية.

نظرت لبني إليه بسرعة وشفتها ترتجفان قليلاً، ثم قال:
والآن يا سيد بوارو، ما الذي ستفعله؟

- هيكما يهصك أنت يا أنتس لمن أفعل شيئاً، فأنا أصدق قصصه،
وأقبلها. أما عطوتي التالية فهي الذهاب إلى لندن لرؤية المحقق ميد.
- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك سري.

خارج باب العرة نظر بوارو ثانية إلى مزقة الشيفون الخضراء،
المالطخة بالدم التي كان يسكها بيده، ثم تمت وهو راغب عن نفسه
مدعشة عبقرية هيركيول بوارو!

-V-

لم يكن المحقق ميلر من الذين يحيون السيد هيركيول بوارو،
ولم يتم إلى تلك العصب القليلة من محققي اسكتلديارد الذين رحبوا
بتعاون ذلك البلجيكي الضئيل، وقد اعتاد أن يقول إن هيركيول بوارو
قد أعطي أكثر من حجمه، وفي هذه القضية بالذات شعر أنه واثق تماماً
من نفسه، ولذلك فقد رحب بوارو بروح ومعنويات عالية قائلاً: أنت
تعمل لحساب الليدي استوبل، أليس كذلك؟ حسناً، لقد اخترت
ملاحقة السراب في هذه القضية.

- أما من شكوك محتثة في هذا الشأن إذن؟

- ليس من قضية أكثر وضوحاً من هذه، لقد كاد القاتل أن
يُمتك مطلق اليدين بالجرم المشهود.

- لقد أدلى السيد ليفيرسن بشهادة كما فهمت.

- كان من الأفضل له أن يلتزم الصمت، إذ أنه يكرر مرة بعد
مرة أنه صعد إلى غرفته مباشرة ولم يقترب من صمه أبداً، وهذه رواية
وجل معتوه.

- إنها لا تثبت أمام الأدلة بالتأكيد. ولكن كيف بدا لك هذا
الشاب ليفيرسن؟

- شاب لعين أبله.

- إنه ذو شخصية ضعيفة، أليس كذلك؟

هز المحقق ميلر رأسه بالإيجاب، فأضاف بوارو: من الصعوبة
يمكن أن يظن المرء أن شيئاً من هذا النوع يمكن أن تكون لديه... ماذا
تسمي ذلك؟ قوة القلب لا ارتكاب جريمة كهذه.

- قاهرياً هذا صحيح، ولكننا شهدنا مراراً أشياء كهذه. بإمكانك
أن تحترق شيئاً ضعيفاً في زاوية وأن تعطيه جرعة شراب أكبر من طاقته
لتجعله (للمدة قصيرة من الوقت) شريراً أثيراً. إن رجلاً ضعيفاً يُحسّر
في زاوية يكون أعظم من رجل قوي.

- هذا صحيح، نعم، ما تقوله صحيح.

استرخى ميلر قليلاً ثم قال: ولكن الأمر سيان بالنسبة لك يا سيد
بوارو، فأنت منتقاضي أجورك على أية حال، ومن الطبيعي أن عليك
أن تتظاهر بدراسة الأدلة لتفجع سعادة الليدي. إنني أفهم ذلك كله.

كانت زيارته التالية إلى المحامي الذي يمثل تشارلز ليفيرسن.

كان السيد ماهيو رجلاً تحيلاً جافاً حذراً، وقد استقبل يوارو بتحفظ، ولكن يوارو عطفه الخاصة في إشاعة الثقة على أي حال، ففي غضون عشر دقائق كان الاثنان يتحادثان بشكل ودي.

قال يوارو: أحبطك علماً بأنني أعمل في هذه القضية لمصلحة السيد ليفيرسن كلياً. هذه هي رغبة الليدي أستويل، فهي مقتنعة بأنه بري.

- نعم، نعم، هذا صحيح.

قال السيد ماهيو بجمته هذه بلا حماسة، فطرفت عينا يوارو وقال: أنت لا تعطي أهمية كبيرة لأراء الليدي أستويل كما يبدو، أليس كذلك؟

أجابته المحامي بجفاء: إنها متأكدة من براءته اليوم، لكن ربما تكون متأكدة من كونه مذنباً غداً.

- إن حدسها لا يتشكل دليلاً بالتأكيد، وتبدو القضية - في ظاهرها - محسومة تماماً ضد هذا الشاب المسكين.

- من المؤسف أنه أدلى بتلك الشهادة للشرطة، ولن يكن من المفيد أن يستمر بالتمسك بها.

- وهل استمر بالتمسك بها معك؟

هز ماهيو رأسه بالإيجاب وقال: لم تتغير ذرة واحدة، إنه يكررها كبرهان!

قال يوارو متأملاً: وهذا ما يضعف لثقتك به، آه، لا تنكر ذلك.

ثم أضاف بسرعة وهو يرفع يده: إنني أرى ذلك واضحاً تماماً؛ فأنت تعتقد في قرارة نفسك أنه مذنب. ولكن أصعب الآن إلي، إنني أنا هيركيول يوارو، فإنني سأقدم لك قضية فعلية: لقد عاد هذا الشاب إلى البيت بعد أن شرب حتى التمالة، وبهذه الحالة دخل إلى المنزل وصعد بخطى مترلحة إلى غرفة البوج حيث نظر من الباب فرأى في الضوء الخافت خاله متكباً - ظاهرياً - على مكتبه. وكما قلنا كان السيد ليفيرسن تماًلاً فأطلق العنان لنفسه وألقى لخاله بحفيظة مشاعره نحوه. تحذاه وأعاته، وكلما أمعن خاله في عدم الإجابة ازدادت جراته على المضى في تكرار شتائه مرة بعد أخرى وصوته يعلو في كل مرة أكثر فأكثر. ولكن الصمت المستمر لخاله أيقظ إدراكه أخيراً، فمضى إليه ووضع يده على كتفه فتداعى جسم خاله تحت ضغط لسته وسقط مكزماً على الأرض. عندئذ صعد الشاب ليفيرسن، وتحرك فأوقع الكرسي مُصدراً صوت ارتطام بالأرض، وحين انحنى فوق السير روبين أدرك ما حدث. نظر إلى يده المغضلة بسائل أحمر دافئ فأصابه الذعر وصرخ، ولكن سرعان ما تمنى لو يبذل كل ما على الأرض لاسترداد تلك الصرخة التي أفلتت من بين شفتيه وتردّد صداها في المنزل. وبشكل لا إرادي أسرع خارج الغرفة ثم أصغى، إذ كان يتوهم أنه سمع صوتاً فشرع فوراً ولا إرادياً بالظاهر بالحديث مع خاله عبر باب الغرفة المفتوح. ولكن الصوت الذي توهمه لم يتكرر، فافتتح بأنه قد أخطأ في توهمه سماع ذلك الصوت. ثم ساد الصمت المكان فنسأل إلى غرفته، وخطر له فوراً أنه سيكون من الأفضل أن يدعي أنه لم يلترب من خاله في تلك الليلة أبداً، فأدلى بتلك الرواية. ولعلك تذكر أن بارسونز لم يتحدث في ذلك الوقت بأي شيء مما سمعه، وعندما أدلى بارسونز بما سمعه كان الوقت متأخراً بالنسبة إلى ليفيرسن لتغيير إقامته. إنه لم يعبث إذ يتمسك

بإفادته تلك. والآن أخبرني يا سيدي، أليس هذا ممكناً؟

- بلى، أظن أن هذا ممكن وفقاً للتسلسل الذي وضعته للأحداث.

نهض بورو وقال: أنت تستطيع رؤية السيد ليفيرسن. اذكر أمامه القصة التي روايتها لك ثم اسأله إن كانت صحيحة أم لا.

خارج مكتب المحامي أوقف بورو سيارة أجرة وقال للسائق: خذني إلى المنزل رقم ٣٤٨ في شارع هارلي.

-٨-

كانت مغادرة بورو إلى لندن مفاجأة لليدي أستويل، لأن الرجل الضئيل لم يذكر شيئاً عما يعزم فعله. وقد أخبره بازسونز لدى عودته بعد غياب استمر أربعاً وعشرين ساعة بأن الليدي أستويل تريد رؤيته بأسرع ما يمكن.

وجدتها بورو في غرفتها مسترخية في أريكة ومُسْتَلْتِدَةً برأسها إلى الوسائد. بدت مريضة منهكة إلى حد كبير بشكل يفوق حالتها يوم وصول بورو، واستقبلته بقولها: ها قد عدت يا سيد بورو؟

- نعم، عدت يا سيدي.

- هل ذهبت إلى لندن؟

هز بورو رأسه بالإيجاب، فقال بحدة: لم تخبرني أنك ذاهب.

- أئف اعتذار لك يا سيدي؛ فأنا مخطئ في هذا. سوف أبلغك

في المرة القادمة...

قاطعته الليدي أستويل بلمسة دعابة قاسية قائلة: في المرة القادمة ستكرر الأمر ذاته تماماً؛ تقوم بالشيء أولاً ثم تخبر الناس بعد ذلك. هذا هو أسلوبك، أليس كذلك؟

طرفت عينا بورو وهو يقول: ربما كان هذا أسلوب سيدي أيضاً.

- أحياناً... ربما كان كذلك. ولكن لماذا ذهبت إلى لندن يا سيد بورو؟ هل تستطيع أن تخبرني الآن؟

- قابلت المفتش الطيب ميلر، والمحامي الرائع ماهيو أيضاً.

بحثت عينا الليدي أستويل في وجهه وهي تقول ببطء: والآن... ماذا تعتقد؟

تركزت عينا بورو عليها وهو يجيبها بجدية: أعتقد أن لدينا فرصة لإثبات براءة تشارلز ليفيرسن.

فقرت الليدي أستويل نصف قائمة توقعةً وسادتين مما حولها على الأرض وهي تقول: آه، لقد كنت على حق إذن، كنت على حق!

- لقد قلت «فرصة» يا سيدي، ليس أكثر.

بدا أن شيئاً في بئرته قد أثارها، فاعتدلت على مرفقها ونظرت إليه نظرة ثابتة، ثم سأله: أأستطيع أن أفعل شيئاً؟

- نعم، تستطيعين أن تخبريني يا ليدي أستويل: لماذا تشكين في أوبين تريغوسيس؟

- لقد أخبرتك أنني أعرف بحدسي، هذا كل ما هنالك.

قال بوارو بحفاة: ولكن هذا غير كاف لسوء الحظ. عودي
بذاكرتك إلى تلك الليلة المشؤومة يا سيدتي، تذكّري كل تفاصيلها،
كل حدث صغير ناقه. ما الذي رأيته أو لاحظته في السكرتير؟ إنني
-أنا هيركيول بوارو- أقول لك: لا بد أنك رأيت شيئاً.

هزت الليدي أستويل رأسها بالنفي وقالت: لم أكد أنتبه إلى
وجوده أصلاً في تلك الليلة، ولم أكن أفكر فيه بالتأكيد.

- هل كان عقلك مشغولاً بامرٍ آخر؟

- نعم.

- بعداء زوجك للآنسة ليلي مارغريف؟

- هذا صحيح؛ يبدو أنك تعرف كل شيء عن ذلك الأمر
يا سيد بوارو.

صرح الرجل الضئيل بعظمة قارعة قائلاً: أنا أعرف كل شيء.

- إنني أحب ليلي يا سيد بوارو، وقد شهدت ذلك بنفسك. كان
روبن قد بدأ يثير حجة حول بعض الجهات التي زكّتها، ولعلمك: أنا
لا أدعي أنها لم تخدمنا؛ لقد خدعنا بالفعل. ولكن يا صديقي، لقد
قسمت أنا نفسي بأشياء أسوأ من هذه في أيامي الخالية، إذ كان على
المرء أن يتغن كل أنواع الحيل ليكسب مديري المسارح، ولم أكن
لأنوزج عن كتابة أو قول أي شيء يوماً في سبيل ذلك. لقد رغبت
ليلي في الفوز بهذه الوظيفة وتقدمت بكثير من الرسائل المثقفة التي لم
تكن... حسناً، لم تكن حقيقية. إن الرجال يتصرفون بحماقة تجاه مثل
هذه الأمور، إذ كانت الفسحة التي أثارها كفيلاً بأن تجعل ليلي تنصرف
فعلماً كموظف بنك يفر بالملايين التي تلعب في متناول يده! كنت قلقة

جداً طوال تلك الليلة، فرغم أنني كنت قادرة -في أكثر الحالات-
على أن أفتح رووين في النهاية إلا أنه كان يتصرف أحياناً بعناد رهيب...
ذلك المسكين العزيز. وبالتالي فلم يكن لديّ من الوقت ما أراقب به
أي سكرتير بالطبع، والسيد تريفوسيس شخص لا يجذب الانتباه أصلاً
على أي حال؛ إنه يكون موجوداً وغشيب، مجرد الوجود.

- لقد لاحظت هذه الحقيقة في السيد تريفوسيس؛ إنه ليس
بالشخصية التي تلقت النظر أو تشغ أو تؤثر.

- نعم، إنه ليس مثل فكتور.

- أستطيع القول إن السيد فكتور أستويل ذو شخصية متفجرة.

- هذا وصف رائع له، فهو يتفجر في كل أرجاء البيت كتلك
الألعاب النارية.

- وأتخيل أنه ذو مزاج سريع التأثر والتغير، أليس كذلك؟

- آه، إنه عفريت كامل عندما يغضب، ولكنني لا أخاف منه
يا صديقي؛ إذ يُقال إن الكلاب التي تتبح لا تعض.

نظر بوارو إلى السفوف وتمتم بركة: أئن تتمكنني من تذكّر أي
شيء عن السكرتير في تلك الليلة؟

- لقد قلت لك إنني أعرف ذلك يا سيد بوارو. إنه الحدس،
حدس المرأة.

- حدس المرأة لا يشق رجلاً، والأهم من ذلك أنه لا يفلذ رجلاً
من جبل المشقة. يا سيدة أستويل، إن كنت تعتقدين -بصدق- ببراءة

السيد ليفيرسن وأن شكوكك بالسكوتير تستند إلى أسس صحيحة، فهل توافقين على إجراء تجربة صغيرة؟

تساءلت الليدي أستويل بريبة: من أي نوع؟

- هل تسمحين بأن توضعي في حالة من التوهم المغتطيسي؟

- ولماذا كل ذلك؟

تقدم بورو بجسمه إلى الامام وقال: لعلك تشكين في قولي إذا أخبرتك - يا سيدتي - أن حدسك مستند إلى بعض الحقائق المسجلة في عقلك الباطن، ولذلك سأكتفي بالقول إن هذه التجربة التي أقترحها ستكون ذات أهمية فائقة لذلك الشاب البائس تشارلز ليفيرسن. هل ستترفضين؟

تساءلت الليدي أستويل بارتياح: ومن الذي سيؤمنني؟ أنت؟

- بل صديق لي يا سيدة أستويل، وقد وصل في هذه الدقيقة إن لم أكن مخطئاً. إني أسمع صوت سيارته في الخارج.

- من هو؟

- إنه الدكتور كازاليت من شارع هارلي.

تساءلت الليدي أستويل بقلق: وهل هو... جيد؟

إنه ليس مشعوذاً يا سيدتي إن كان هذا ما تعنيه. تستطيعين أن تضعي نفسك بين يديه بكل أمان.

تهتدت الليدي أستويل وقالت: حسناً، أعتقد أن هذا كله كلام

فارغ، ولكن يمكن لك أن تجرب إن أردت. لن أرفض أن يقول أحدٌ إنني قد عرفْتُ عملك.

- آلف شكر لك يا سيدتي.

خرج بورو من الغرفة وعاد بعد دقائق وهو يقود رجلاً شبيهاً ذا وجه مرح مدور بضع نظارات. كان شكله متلفساً بصورة رجل التوهم المغتطيسي كما تخيلته الليدي أستويل، وبعد أن قدمه بورو قالت الليدي أستويل مدأجبةً: حسناً، كيف سيبدأ هذا الجنون؟

قال الدكتور: بكل بساطة يا ليدي أستويل، بكل بساطة. استلقي قليلاً هكذا... نعم، هذا جيد، لا داعي للقلق.

- لست قلقة أبداً، ولكنني أتساءل كيف لأحد أن يؤمنني ضد إرادتي.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الدكتور كازاليت وقال: نعم، ولكن إذا واقت فلن يكون هذا ضد إرادتك، أليس كذلك؟ هذا جيد، هل لك أن تعلقني ذلك الضوء يا سيد بورو؟ استرخي يا ليدي أستويل.

عُدل من جلسته قليلاً وبدأ يخاطبها: أصبح الوقت متأخراً، وأنت نعسانة، نعسانة جداً، جفناك ثقلان، وهما يغمضان، يغمضان، يغمضان... ستنامين الآن...

ومضى صوته رتيباً خافتاً هادئاً في نسق واحد، ثم التحنى فرجع جفن الليدي أستويل الأيمن برقة، ثم الفت إلى بورو وهو يهز رأسه بعلامة الرضا وقال بصوت خافت: هذا جيد، هل أبداً إذا سمحت؟

رفع الدكتور صوته متكلماً بحدة وبلجة امرأة: أنت نائمة يا ليدي
آستويل، ولكنك تسمعتني وتستطيعين الإجابة عن أسئلتني.

أجاب الجسد الممدّد على الأريكة بصوت منخفض رتيب
ودون أن يرفّ له جفن: أنا أسمعك وأستطيع الإجابة عن أسئلتك.

- أريدك أن تعودني إلى الليلة التي قُبل فيها زوجك. هل تذكرين
تلك الليلة؟

- نعم.

- كنتِ على طاولة العشاء. صفي لي الذي رأيته وأحسب به.

تحرك الجسد الممدد قليلاً بشيء من الغلق. قالت: إني في
كرب عظيم، أنا قلقة على ليدي.

- نعرف ذلك، أخبرينا ماذا رأيت.

- فكتور يلتهم كل اللوز المملّح، إنه نهم. سأقول ليارسونز غداً
أن لا يضع الطبق في ذلك الطرف من المائدة.

- استمري يا ليدي آستويل.

- روبن ذو مزاج سيئ هذه الليلة. لا أظن أن ذلك كله بسبب
ليدي، بل إن الأمر علاقة بعمله، وفكتور ينظر إليه بطريقة غريبة.

أخبرتنا عن السيد تريفوسيس يا ليدي آستويل.

- إن سيوار قيمصه الأيسر مهترئ من الاحتكاك، وهو يضع
دهوناً على شعره. أتمنى أن لا يضع الرجال دهوناً على شعرهم لأن
هذا يفسد أغلبية المساند في غرفة الجلوس.

نظر كازاليت إلى بوارو فأوماً الأخير برأسه.

- لننتقل إلى ما بعد العشاء يا ليدي آستويل. أنتم تشربون

القهوة، صفي لي المشهد.

- القهوة لذيذة هذه الليلة، وهي تختلف من يوم إلى يوم

إذ لا يمكن الاعتماد على هذه الطباخة في إعدادها. ليدي تنظر من

النافذة طوال الوقت، لا أدري لماذا. الآن دخل روبن الغرفة، إنه في

واحدة من أسوأ حالاته المزاجية هذه الليلة، وقد انفجر بسبب حفيظي

من الإهانات يكيلها للسيد تريفوسيس المسكين. السيد تريفوسيس

تلفّ يده حول سكين فتح الرسائل، تلك السكين الكبيرة ذات الحد

المرقّف كحدّ السكين العادي. لكنّهم يسكها بقوة! إن مفاصل أصابعه

شديدة البياض. انظر، إنه يُدخلها بقوة في الطاولة بحيث انقصف

رأسها، إنه يسكها كما يسك المرء بخنجر يريد طعن أحد به. ها

هنا قد ذهب الأذن. ليدي ترتدي ثوب السهرة الأخضر، إنها تبدو رائعة

باللون الأخضر، مثل ملكة تماماً. عليّ أن أظف أغلبية المساند في

الأسبوع المقبل.

- لحظة من فضلك يا ليدي آستويل.

دار الطيب إلى بوارو وتمتم قائلاً: أعتقد أننا قد حصلنا على ما

نريده، فذلك التصرف بسكين فتح الرسائل هو ما أقمعنا بأن السكرتير

هو الذي ارتكب الجريمة.

أجاب بوارو: دعنا نذهب الآن إلى غرفة الريح.

هز الطيب رأسه، وبدأ مرة أخرى بتوجيه الأسئلة إلى الليدي

آستويل بصوت حاسم قوي: نحن الآن في ساعة متأخرة من تلك

الليلة، أنت في غرفة البرج مع زوجك وقد جرى بينكما مشهد فطيع،
أليس كذلك؟

تحرك الجسد ثانية بقليل: نعم، فطيع... فطيع. لقد نفوهنا بكلام
مخيف، كلانا.

- لا نهمني بذلك الآن. تستطيعين رؤية الغرفة بوضوح، كانت
الستائر مسدلة والأضواء مشتعلة.

- لم يكن ضوء السقف مشتعلاً، بل المصباح المتضدي فقط.

- أنت تتركين زوجك الآن، إنك تمنين له ليلة سعيدة.

- لا، لقد كنت غاضبة جداً.

- إنها المرة الأخيرة التي سترينه فيها، فعنا قليل سوف يُقتل.
هل تعلمين من قتله يا ليدي آستويل؟

- نعم، السيد تريفوسيس.

- لماذا تقولين ذلك؟

- بسبب الانتفاخ... الانتفاخ في الستارة.

- هل كان هناك انتفاخ في الستارة؟

- نعم.

- وهل رأيت ذلك؟

- نعم، وكادت أغمسه.

- هل كان هناك رجل مختبئ... السيد تريفوسيس؟

- نعم.

- كيف عرفت؟

لأول مرة تردد الصوت الرتيب وفقد لفته: أنا... أنا... بسبب
سكين فتح الرسائل.

تبادل بوارو والطبيب نظرة سريعة مرة أخرى.

- لا أفهمك يا ليدي آستويل، تقولين إنه كان في الستارة انتفاخ
وإن أحداً اختبأ هناك. هل رأيت ذلك الشخص؟

- لا.

- وهل اعتقدت أنه تريفوسيس بسبب طريقة مسكه لسكين فتح
الرسائل في وقت سابق؟

- نعم.

- ولكن السيد تريفوسيس كان قد ذهب إلى فراشه، أليس
كذلك؟

- بلى، بلى، هذا صحيح؛ كان قد ذهب إلى غرفته.

- إذن فمن غير الممكن أن يكون خلف ستارة الناقل.

- نعم، طبعاً، لم يكن هناك.

- كان قد نعى لزوجك ليلة هائلة قبل ذلك، أليس كذلك؟

- بلى.

- وأنت لم تشاهديه مرة أخرى؟

- نعم، لم أشاهده.

- إنها فعلاً كذلك، ولكنك لا تحتاج إلى توبيخ مغتصبياً لكي
أخبرك بهذا!

ضحكت بسعادة وتساءلت: هل قلت شيئاً آخر؟

- هل تذكرين أن السيد تريفوسيس أخذ سكين فتح الرسائل في
غرفة الجلوس تلك الليلة؟

- لا أدري، ربما فعل ذلك.

- هل يعني لك الانتفاخ في الستارة شيئاً؟

قطعت جبينها ثم قالت ببطء: يبدو أنني أتذكر... لا، لقد ذهبت.
ومع ذلك...

قاطعها بوارو بسرعة قائلاً: لا تزعمي نفسك فليس للأمر أهمية،
لا أهمية له أبداً.

• • •

ذهب الطيب مع بوارو إلى غرفته، وهناك قال: حسناً، أظن
أن ذلك يوضح الأمور بجملاء. ما من شك في أن السكرتير قد أمسك
بسكين فتح الرسائل عندما كان السير روبن ويوخه وأنه مارس كثيراً
من ضبط النفس ليمنع نفسه من الرد على السير روبن. لقد كان
العقل الواعي لليدي أستويل مشغولاً تماماً بمشكلة ليبي مارغريف،
ولكن عقلها الباطن لاحظ تصرف تريفوسيس وأساء تفسيره. لقد
زرع هذا التصرف في نفسها قناعة ثابتة بأن تريفوسيس هو الذي قتل
روبن. ثم نأثي إلى الانتفاخ خلف الستارة... إنه أمر مثير. لقد فهمت
من وصفك لغرفة البرج أن المكتب كان أمام النافذة تماماً، وكانت

كانت قد بدأت تتحرك وتقلب وتثر بصوت خافت. قال
الطيب: إنها تصحو. حسناً، أظن أننا حصلنا على كل ما نستطيعه،
أليس كذلك؟

هز بوارو رأسه موافقاً، وانحنى الطيب على الليدي أستويل
وبدا ينتمن بلطف: إنك تصحين، أنت تصحين الآن، وبعد دقيقة
سنتحين عييك.

انظر الرجلان لحظة فاعتدلت الليدي أستويل في جلستها
وحدثت إليهما قائلة: هل كنت في إغفاءة؟

أجابها الطيب قائلاً: تماماً يا ليدي أستويل، مجرد إغفاءة
قصيرة.

نظرت إليه وقالت: أهذه إحدى خدعك؟

- أرجو أنك لم تشعرني بسوء؟

تتابعت الليدي أستويل وقالت: أشعر أنني متعبة ومنهكة.

نهض الطيب قائلاً: سأطلب أن يرسلوا لك بعض القهوة،
وسوف نرتك الآن.

عندما وصلا إلى الباب نادتهما الليدي أستويل قائلة: هل قلت
أي شيء؟

ابتسم بوارو وقال: لم تذكرني شيئاً ذا أهمية كبرى يا سيدتي.
لقد أخبرتنا أن أعطية المساند في غرفة الجلوس بحاجة إلى تنظيف.

توجد -طبعاً- ستارة على تلك النافذة، أليس كذلك؟

- بلى يا صديقي، ستارة مخملية سوداء.

- وهل في عتبة النافذة متسع يسمح لشخص بأن يقف مختبئاً وراء الستارة؟

- هناك مكان يكفي كما أعتقد.

- إذن يوجد احتمال على الأقل بأن أحداً ما كان مختبئاً في الغرفة، فإن كان هذا صحيحاً فلا يمكن لهذا الشخص أن يكون السكرتير ما داما شاهدناه كلاهما وهو يغادر الغرفة، ولا يمكن أن يكون فكتور أستويل لأن تريغوسيس قابله عندما كان فكتور يغادر الغرفة، ولا يمكن لهذا الشخص أن يكون ليبي مارغريف... إذن كان ينبغي على ذلك الشخص (كأنتأ من كان) أن يكون مختبئاً في الغرفة قبل دخول السير روبن لها في تلك الليلة. لقد أوضحت لي بشكل جيد حليقة الوضع. والأآن ماذا عن الكابتن نيلر؟ أيمكن أن يكون هو الذي اختبأ هناك؟

قال بوراو: كل شيء ممكن، فمن المؤكد أنه تناول عشاءه في الفندق، ولكن من الصعوبة تحديد وقت مغادرته بعد ذلك، وقد عاد في نحو الثانية عشرة والتصّف.

- إذن يمكن أن يكون هو الذي اختبأ في الغرفة، وبالتالي فهو الفائل. إن لديه الدافع لذلك وكان هناك سلاح قريب في متناول يده، مع أنك لا تبدو مقتنعاً بالفكرة!

- بالنسبة لي لدي أفكار أخرى. أخبرني الآن يا سيدي الطيب:

إذا افترضنا للحظة واحدة أن الليدي أستويل نفسها هي التي ارتكبت هذه الجريمة، فهل كانت بالضرورة ستكتشف هذه الحقيقة وهي تالمه مغتصبياً؟

صفر الطيب وقال: هذا إذن ما تفكر فيه؟ الليدي أستويل هي المجرمة، إيه؟ طبعاً هذا ممكن. لم يخطر لي هذا إلا الآن، فقد كنت أحر من قابله ولم يره أحدٌ بعدها على قيد الحياة. أما فيما يخص سؤالك فإنتي أميل إلى قول: لا. في هذه الحالة كانت الليدي أستويل ستدخل في عملية التتويم مسلحةً بتحفظ عقلي قوي ضد قول أي شيء عن دورها في الجريمة؛ كانت ستجيب بصدق عن أسئلتني، ولكنها كانت ستصمت بخصوص تلك النقطة. ومع ذلك ما كنت لأتوقع -لو كانت هي الفائلة- أن تكون مصرة على اتهام السيد تريغوسيس إلى هذه الدرجة.

- فهمت، ولكنني لم أقل إنني أعتقد أنها الفائلة... إنه مجرد اقتراح.

قال الطيب بعد فترة من الصمت: إنها قضية مثيرة، فلو سلّمنا بأن تشارلز ليفيرسن بريء لبقيت احتمالات كثيرة: همفري نيلر، والليدي أستويل، وحتى ليبي مارغريف.

قال بوراو بهدوء: يوجد احتمال آخر لم تذكره: فكتور أستويل. فهو قد جلس -بحسب إفادته- في غرفته وبابها مفتوح متظراً عودة تشارلز ليفيرسن، ولكن ما من دليل على ذلك سوى أقواله نفسها. هل تفهمني؟

- إنه الشخص ذو المزاج السيء الذي أخبرتني عنه، أليس كذلك؟

- نعم، إنه هو.

- حسناً يا سيدي.

وقف الطبيب وقال: حسناً، ينبغي عليّ أن أعود إلى المدينة
أخبرني لاحقاً كيف مستطوره القضية.

كالعادة، لم يكن في صوت جورج ما يشي بأي شعور.

-٩-

بعد مغادرة الطبيب فرع بورلو الجرس طالباً خادمه جورج،
وقال: أريد كوباً من شراب الزهورات يا جورج، إن أعصابي مضطربة
جداً.

أزعجت إقامة هيركيول بورلو التي بدت دائمة في مون ريبور
كثيراً من المقيمين فيه؛ فقد احتج فكتور أستويل لزوجة أخيه متسائلاً:
حسناً يا نانسي، إنك لا تعرفين طبيعة الرجال من نوع بورلو. لقد وجد
هنا مستقراً راقماً مريحاً، ويبدو أنه يريد حظاً رحاله باطمئنان لمدة
شهر متقاضياً مبلغاً ذا شأن مقابل كل يوم من أيام إقامته.

- حاضر يا سيدي، سأعده على الفور.

وكان فحوى رد الليدي أستويل أن يوسعها أن تندبر شؤونها
بنفسها دون تدخل من أحد. أما ليلى مارغريف فقد حاولت جاهدة
إخفاء قلقها؛ لقد كانت واثقة -في البداية- من أن بورلو قد صدق
قفتها، أما الآن فلم تعد متأكدة من ذلك.

بعد عشر دقائق أحضر لسيدة فنجاناً يتصاعد منه البخار، فجعل
يستشق الأبخرة المتصاعدة بسعادة، ثم أخذ يتأمل بصوت عال وهو
يرشف فنجاناً؛ تختلف أنواع الصيد في كل أنحاء العالم؛ فالإسماك
بالتعب يتنظي منك أن تتركب حصانك وتضطرب كلاب الصيد
وتصيح وترقص، إنها مسألة سرعة. أما صيد الغزلان فقد فهمت
من صديقي هينتر (رغم أنني لم أمارسه شخصياً) أنه يتطلب منك
الزحف على بطنك لساعات وساعات. أما طيرقتنا هنا -يا عزيزي
الطبيب جورج- فبنيهاً أن لا تكون وفق أي من هاتين الطريقتين.
دعنا نأمل ما نفعله قطة البيت؛ إنها تترعى لساعات طويلة مملّة أمام
جحر الفأر، إنها لا تأتي بأية حركة ولا تضيق أي جهد، ولكنها تبقى
مترعبة لا تمل ولا تغادر!

لم تكن لعبة بورلو هادئة تماماً، ففي اليوم الخامس من إقامته
أحضر معه إلى العشاء اليوماً صغيراً مخصصاً لأخذ البصمات، وقد
بدا هذا اليوم وسيلة بداية لأخذ بصمات المقيمين في المنزل.
ولكنه كان مفيداً على أية حال، فما من أحد يستطيع أن يرفض إعطاء
بصماته. لذلك فإن فكتور أستويل لم ي طرح وجهات نظره إلا بعدما
غادر بورلو لينام؛ هل أدركت خطورة ذلك يا نانسي؟ إنه يسعى خلف
واحد منا.

تتهد ووضوح الكوب الفارغ في طبله وقال لخادمه: لقد طلبت
منك أن تحزم أمتعة تكفي لبضعة أيام، لكنك ستذهب فداً إلى لندن
-يا عزيزي جورج- وتحضر ما يكفي لإقامة أسبوعين آخرين.

- لا تكن سخيفاً يا فكتور.

- حسناً، فما معنى ذلك الدفتر الصغير إذن؟

- إن السيد بورو يعرف ما يقوم به.

قالت اليزبي آستويل ذلك راضية وهي تلقي نظرة ذات معنى إلى أوين تريفيوسيس.

وفي مناسبة أخرى ابتدع بورو لعبة نسخ آثار الأقدام على الورق. وفي الصباح التالي دخل بورو المكتبة بخطوات خفيفة كخطوات القطة مما جعل تريفيوسيس يجمل ويفرز من كرسيه وكانه أصيب بطلق ناري، ثم يقول متكلفاً الجدية: عليك أن تعلمني يا سيد بورو، فقد أثرت فينا ما كان ساكناً.

تسامل بورو ببراعة: حقاً كيف؟

- سأعترف بأنني اعتقدت أن القضية المثارة ضد تشارلز لغيرسن شديدة الإحكام ومحسومة، ولكنك لا تعتبرها كذلك كما يبدو.

كان بورو واقفاً ينظر من النافذة، وفجأة انفتحت إلى محذنه وقال: سأخبرك شيئاً يا سيد تريفيوسيس، واجعله سراً بيني وبينك.

- نعم؟

لم يبدُ على بورو أنه يستعجل البدء بحدوده، فقد انتظر لحظة متروكاً، وعندما تكلم تزامنت كلماته الافتتاحية مع صوت فتح وعلق الباب الأمامي للبيت. كان صوتُه وهو يتكلم عالياً بالنسبة إلى شخص لم يُعرض أنه يوح بسراً، بحيث طُعن على صوت الخطوات الخارجة في الصالة قال: سأعلمك على هذا السرا يا سيد تريفيوسيس؟ لقد توفر دليل جديد يؤكد أن السير روبن كان ميتاً فعلاً عندما دخل تشارلز لغيرسن غرفة البرج.

حديق السكرتير إليه قائلًا: أي دليل هذا؟ ولماذا لم تسمع به؟

- سوف تسمع به، ولكن حتى يحدث ذلك فسوف نحفظ أنا وأنت وحدنا بهذا السر.

ثم اتسَل من الغرفة بخفة، وكاد يصطدم في أثناء خروجه إلى الصالة بفكتور آستويل، فقال له: هل دخلت لتزك يا سيدي؟

مزّ فكتور رأسه بالإيجاب وقال وهو ينتس بصعوبة: يا له من يوم كرهه في الخارج! يوم عاصف بارد.

- آه، إذن لن أتزّه اليوم، فأنا كالتقطعة أجلس قرب النار في نعيم الدفء.

• • •

في تلك الليلة قال لخادمه المخلص وهو يفرك راحتيه فرحاً: إن الخلطة تعمل يا جورج، إنهم متوترون جداً. ثم تأتي الوثبة! من الصعوبة أن يلعب المرء لعبة القطة، لعبة الانتظار، ولكنها تتمر. نعم، تتمر بشكل رائع. وغداً سيقوم باستفزاز آخر.

في اليوم التالي اضطر تريفيوسيس إلى السفر إلى المدينة، مستغلاً القطار نفسه الذي استقله فكتور آستويل، وما إن غادرا المنزل حتى تحرك بورو في نشاط محموم.

- هيا يا جورج، لتسرع إلى العمل. إذا اقتربت الخادمة من هذه الغرف فعاكِها تأخيرها؛ قل لها أي كلام تاله تحذب وأبقها في الممر.

دخل أولاً إلى غرفة السكرتير وبدأ فيها تفتيشاً دقيقاً لم يبد
خلاله درجاً أو رقفاً لم يفتشه، ثم أعاد كل شيء إلى مكانه بسراً
وأعلن الانتهاء من عمله. أطلق جورج الذي كان واقفاً بالباب يراود
الممر سئلة احترام وقال: لو سمحت لي يا سيدي.

- نعم يا عزيزي جورج؟

- الأحذية يا سيدي. لقد كان زوج الأحذية البني على الردف،
الثاني وكان الزوج ذو الجلد اللتاع على الرف الأسفل، وقد قلبت
ترتيبهما عندما أعدت وضعهما!

صاح بوارو وهو يرفع يديه: هذا رائع! ولكن دعنا لا نزعج
أنفسنا بذلك، فهي مسألة غير مهمة يا جورج. لن يلاحظ السيد
تريفوسيس أبداً أمراً ناقهاً كهذا.

- كما ترى يا سيدي.

قال بوارو مشجعاً وهو يربت على كتف خادمه: إن من واجبك
ملاحظة أمور كهذه، لأن هذا يعطيك مزيداً من الفضل.

لم يجب الخادم بشيء، وعندما تكرر المشهد في وقت لاحق
من ذلك اليوم في غرفة فكتور أستويل لم يعلق جورج على عدم
إعادة ملابس أستويل الداخلية إلى أدراجها الفعلية كما يلتزم
التفتيش.

ولكن الأحداث أثبتت - في المرة الثانية على الأقل - أن الخادم
كان مُحبباً وأن بوارو كان مختللاً؛ فقد ادفع فكتور أستويل إلى غرفة
الاستقبال في تلك الليلة غاضباً صريح: والآن اسمع أيها البلجيكوي

المغرور اللعين، ما الذي تريد من تفتيش غرفتي؟ وماذا تعتقد أنك
ملاقي هناك؟ لن أسمح بذلك، هل تسمعي؟ هذا ما كسبته من إيواء
جاسوس فضولي تافه في بيتنا.

اعتذرت بدارو فيما تدافعت الكلمات من فمه واحدة بعد
أخرى. قدّمت منة اعتذار، ثم ألفاً، ومليوناً، مؤكداً أنه كان طائشاً
ومتطفلاً ومضطرباً، وأنه تصرف بحرية لم يمنحها إياه أحد. وفي
النهاية اضطر الرجل الحائق إلى أن يخمد مدعماً.

ومرة أخرى تتمم بوارو في تلك الليلة وهو يرثشف فنتجان
الزهورات قائلاً لجورج: إن الخطة تتقدم يا عزيزي جورج... نعم،
إنها تتقدم.

- ١٠ -

قال بوارو وهو يتأمل: إن الجمعة هو يوم سعدي.

- حقاً يا سيدي؟

- يبدو أنك لا تؤمن بهذه الخرافات يا عزيزي جورج، أليس
كذلك؟

- أفضل يا سيدي أن لا أكون الثالث عشر على المائدة، كما
أنتي أعارض المرور من تحت السلام، ولكن ليس عندي خرافات
فيما يخص يوم الجمعة.

- هذا جيد، لأننا سنحقق النصرانا اليوم.

- فعلاً يا سيدي؟

- ما هذه الحماسة التي تتأجج فيك يا عزيزي جورج؟ إنك لم تكلف نفسك عناء سؤالي عما أعزمت فعله.

- وما الذي تعزمته يا سيدي؟

- سأقوم اليوم بتفتيش شامل نهائي لغرفة البرج.

وبالفعل ذهب بورو بعد الإفطار (وبعد موافقة اللبدي أستوبيل) إلى مسرح الجريمة، وهناك رآه الساكنون في البيت في أوقات مختلفة من ذلك الصباح يزحف على يديه وركبتيه ويتفحص الستائر المخملية السوداء بدقة، ويقف على كرسيه عالية لفحص أطر اللوحات المعلقة على الجدار.

وللمرة الأولى أهربت اللبدي أستوبيل عن عدم ارتياحها، إذ قالت عليّ أن أعترف بأنه بدأ يثير أعصابي أخيراً. إنه يُعسر شيئاً لا أفهم ما هو، كما أن منظره وهو يزحف على الأرض هناك كالكلب يجعلني أرتجف تماماً. ليشي أعرف عمّ يبحث؟ هل لك - يا عزيزي ليبي - أن تصعدي لثري ما الذي يريد. ولكن لا، الأفضل أن تبقى معي.

نهض السكرتير عن مقعده سائلاً: هل أذهب أنا يا ليبي أستوبيل؟

- نعم، لو سمحت يا سيد تريفوسيس.

غادر تريفوسيس الغرفة وصعد الدرج إلى غرفة البرج، وعندما نظر داخلها اعتقد للحظة أنها فارغة، فلم يكن لهيركيول بورو فيها أي أثر. وألوشك السكرتير أن يدور ليترنل ثالثة عندما سمع صوتاً، ثم ما لبث أن رأى بورو في منتصف الدرج اللولبي المؤدي إلى غرفة النوم في الأعلى. كان جاثياً على يديه وركبتيه وفي يده اليسرى عدسة

جيب صغيرة يتفحص بها عن كتب شيئاً ما على الأرفف الخشبية قرب سجادة الدرج.

وفيما كان السكرتير يراقبه أصدر بورو شخيراً مفاجئاً ودمس العدسة في جيبه، ثم نهض على قدميه ممسكاً شيئاً بين إبهامه وسبابته. وفي تلك اللحظة اتبه إلى وجود السكرتير فقال: أه! السيد تريفوسيس، لم أسمعك تدخل.

في تلك اللحظة كان بورو رجلاً مختلفاً؛ تشع من وجهه ومضات النصر والابتهاج، بينما راح تريفوسيس يحدق إليه بدهشة: ما الأمر يا سيد بورو؟ تبدو مسروراً جداً.

تهتد الرجل الضئيل وقال: نعم، هذا صحيح. فكما ترى، وجدتُ أخيراً ما كنت أبحث عنه منذ البداية. إن معي الآن بين إصبعي هاتين الشيء الضروري لإدانة المجرم.

رفع السكرتير حاجبيه وقال: إذن فالقاتل لم يكن تشارلز ليفيرسن؟

- إنه لم يكن تشارلز ليفيرسن. كل شيء أصبح واضحاً أخيراً.

نزل عن الدرج وريت على كنف السكرتير قائلاً: أنا مضطر إلى الذهاب إلى لندن فوراً، وأرجو أن تكلم اللبدي أستوبيل نهايةً عني وتطلب منها أن يجتمع الكل في غرفة البرج في الساعة التاسعة من هذه الليلة. ساكون هنا في ذلك الوقت وسوف أكتشف الحقيقة، إنني مطمئن إلى ذلك تماماً.

ثم تسلل من غرفة البرج بحركة راقصة بدهمة تاركاً تريفوسيس يحدق خلفه.

بعد دقائق ظهر بوارو في المكتبة متسائلاً فيما إذا كان ينفد...
أحد أن يعطيه علبة كرتون صغيرة، قائلاً: للأسف لم أحصل معي شيئاً
لهذا، وثقة شيء بالغ القيمة يجب أن أضعه في علبة الكرتون هذه.

أخرج تريفوسيس من أحد أدراج المكتب علبة صغيرة فظن
بوارو بأنه فرح بها كثيراً، ثم أسرع في صعود الدرج حاملاً الكتلة
التيين، والتقى بجورج في منتصف الدرج فسلمه العلبة وهو يقول
في هذه العلبة شيء فائق الأهمية. ضعها - يا عزيزي جورج - في
الدرج الثاني في طاولة الزينة في غرفتي، قرب صندوق الجواهر.

- حسناً يا سيدي.

- ولا تفتحها. كن حذراً، ففي هذه العلبة ما سيؤدي إلى شئ
مجرم.

- اطمن يا سيدي، لا حاجة إلى التوضيح.

أسرع بوارو في نزول الدرج ثانية، حيث أخذ قبعة وغادر
المزمل بركضة وشيقة.

-11-

كانت عودته أقل مظهرية، وقد استقبله جورج -بناء على
أوامره- عند الباب الجانبي، فسأله بوارو: هل اجتمعوا جميعاً في
غرفة البرج؟

- نعم يا سيدي.

تبادل الاثنان كلمات قليلة، ثم صعد بوارو بخطوة المستصر
الواقفة إلى الغرفة التي كانت مسرحاً لجريمة القتل قبل أقل من شهر.

تجولت عيناه في أرجاء الغرفة فوجدهم جميعاً هناك: الليدي
آستويل وفكتور آستويل وويلي مارغريف والسكرتير، وحتى النادل
باروسون الذي كان متردداً على باب الغرفة والذي خاطب بوارو عندما
حضر قائلاً: لقد قال جورج إنك ربما احتجنتني هنا، ولا أدري إن كان
هذا صحيحاً يا سيدي؟

- إنه صحيح تماماً. فلتبقي، أرجوك.

ثم تقدم إلى وسط الغرفة وقال بصوت بطيء تأملياً: لقد كانت
هذه القضية في غاية الإثارة، وسبب إثارتها أن أباً منكم كان يوسعه
أن يقتل السير روبن آستويل. من الذي يرث ثروته؟ تشارلز ليفيرسن
والليدي آستويل. من هو الآخر من كان معه في تلك الليلة؟ الليدي
آستويل. من الذي تشاجر معه بعض؟ أيضاً الليدي آستويل.

صرخت الليدي آستويل: ما الذي تقول؟ إنني لا أفهم شيئاً،
فأنا...

قاطعها بوارو مكتملاً حديثه بصوت كئيب: ولكن شخصاً آخر
تشاجر مع السير روبن وتركة في تلك الليلة يقور غضباً. فإذا افترضنا
أن الليدي آستويل تركت زوجها حياً في الثانية عشرة إلا رباعاً من تلك
الليلة لكان لدينا عشر دقائق قبل عودة السيد تشارلز ليفيرسن، عشر
دقائق يمكن خلالها لشخص من الطابق الثاني أن ينزل متسللاً ويضع
قلعته ثم يعود إلى غرفته ثانية.

فقر فكتور آستويل صارخاً: ماذا تقول...؟

وغضّ بظفيه.

- لقد قتلت رجلاً مرة في إفريقيا في ثورة غضب يا سيد أستويل.
صاحت ليلى مارغريف: لا أصدق ذلك.

ثم تقدمت وقد أظلمت يديها وتوردت وجنتاهما، وكررت،
كلامها وهي تقترب أكثر إلى جانب فكتور أستويل: لا أصدق ذلك.
قال فكتور أستويل: هذا صحيح يا ليلى، ولكن هناك أموراً لا
يعرفها هذا الرجل، فقد اعتقدت أن لقتله ما يبرره.

اقتربت ليلى من يوارو وقالت بجدية: أنت مخلوطٌ يا سيد
يوارو، فكون المرء ذا مزاج حاد وكونه يتفجر غضاباً ويطلق لسانه
بكل الكلمات العاصية لا يعني أنه يمكن أن يرتكب جريمة قتل. إنني
أقول لك بأنني أعرف، بل أنا متأكدة من أن السيد أستويل غير قادر
على القيام بشيء كهذا.

نظر يوارو إليها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة تماماً،
ثم نظر إليها بلطف قائلاً: أترين يا أنسي؟ ها أنت أيضاً تملكين
حسدك الخاص. إنك تؤمنين ببراءة السيد أستويل، أليس كذلك؟

أجابت ليلى بهدوء: إنه رجل طيب وشريف، ولم تكن له علاقة
بالجانب الخفي من عمل شركة «حقوق ذهب مبالا». إنه طيب تماماً،
وقد وعدته بالزواج.

تقدم فكتور أستويل منها وأخذ يدها بيده وقال: يشهد الله أنني
لم أقتل أخي يا سيد يوارو.

أجابها يوارو: أنا أعلم أنك لم تقتله.

دارت عيناه في أرجاء الغرفة، ثم قال: اسمعوا يا أصدقائي.

لقد ذكرت الليدي أستويل وهي منزومة مغتصبياً أنها رأَت انتفاخاً في
الستارة في تلك الليلة.

اتجهت عيون الجميع إلى النافذة، وقال فكتور أستويل متعجباً:
أعني أنه كان هناك لفض خلف الستارة؟ يا للحل الرائع!

- ولكنهما لم تكن ستارة النافذة.

ثم دار وأشار إلى الستارة التي تغطي فتحة الدرج الصغيرة قائلاً:
لقد استعمل السير روبن غرفة النوم البديلة في أعلى هذا الدرج في
الليلة السابقة للجريمة، وتناول إفطاره في السرير هناك، ثم استدعى
السيد تريفوسيس إليه ليعطيه تعليماته. ولا أدري ما هو الشيء الذي
سبه السيد تريفوسيس في غرفة النوم، ولكنه نسي شيئاً ما. وعندما
قال للسير روبن والليدي أستويل: «تصبحان على خير» تذكر ذلك
الشيء، فصعد الدرج لإحضاره. ولا أعتقد أن أياً من الزوج أو
الزوجة قد لاحظته، لأنهما كانا قد شرعا في نقاش عنيف، وكانا في
أوج مشاجرتهما عندما نزل السيد تريفوسيس الدرج ثانية. وقد كان
ما يتبادل الزوجان من كلمات ذا طبيعة شخصية وخاصة، مما جعل
تريفوسيس في موقف حرج لا يُحسد عليه، فقد أدرك -بوضوح-
أنهما تخلياً قد ترك الغرفة منذ فترة، فدفعه الخوف من إثارة غضب
السير روبن إلى البقاء حيث هو على أمل التسلل لاحقاً. فلبث هناك
خلف الستارة، وعندما غادرت الليدي أستويل الغرفة لاحظت في
اللاشعور تقاسيم شكله هناك.

وبعد أن غادرت الليدي أستويل الغرفة حاول تريفوسيس أن
يتسلل إلى الخارج دون أن يلاحظه السير روبن، ولكن حدث أن أدرك
السير روبن رأسه فالتفت إلى وجود السكرتير، وبما أنه كان غاضباً أصلاً

لقد بدأ يكيل الشتائم لسكربتيره وانهمه بأنه يتلصص ويتجسس ..
عمد وتصميم.

سيداتي وسادتي، إنني شغوف بعلم النفس، وقد كنت أبحث طوال هذه القضية عن طبيعة غير طبيعة الرجل أو المرأة من ذوي المزاج السريع الغضب. فالمزاج الغاضب هو نفسه صمام أمان لنفسه، والكلاب التي تتبح لا تعضّ كما يُقال. لقد بحثت عن الرجل ذي المزاج الهادئ، عن الرجل العصور الذي يتحلّى ببطئ النفس، عن الرجل الذي لعب دور المُضطَّهد طوال تسع سنوات... إذ ليس من توتر أعظم من ذلك التوتر الذي استمر لسنوات طويلة، وما من استياء كذلك الاستياء الذي يتراكم ببطء.

لقد اضطهد السير روبن سكربتيره وأزهيه تسع سنوات، وطوال السنين التسع تحتل الرجل ذلك بصمت. ولكن لا بد أن يأتي يوم يصل فيه التوتر أخيراً إلى نقطة الانفجار؛ شيء ما يتكسر، وهذا ما حصل في تلك الليلة. لقد عاد السير روبن إلى الجلوس على مكتبه بعد توبيخ سكربتيره، ولكن الأخير بدلاً من أن يستدير ويمضي إلى الباب يتواضع ويخزق النقط البهراوة الخشبية الثقيلة وهوى بها على رأس الرجل الذي طالما اضطهده.

ثم التفت بورو إلى تريفوميس الذي كان يحدق إليه وكأنه قد تحول إلى تمثال حجري، وقال له: لقد كان ادعاؤك الغياب عن مكان الجريمة بسيطاً تماماً؛ فقد اعتقد السير أستوبيل أنك كنت في غرفتك ولكنك أحداً لم يرك تذهب إليها، وقد كنت على وشك التسلل إلى عمارج الغرفة بعد أن ضربت السير روبن عندما سمعت صوتاً، فأسرعت في العودة إلى مكتبك خلف الستارة، وكنت هناك

عندما دخل تشارلز ليفيرسن الغرفة، وكنت هناك عندما أتت ليلى مارغريف، ولم تتسلل إلى غرفتك إلا بعد وقت طويل من ذلك بعد أن ساد الصمت في المنزل. هل تنكر ذلك؟

بدأ تريفوميس يتلثم: أنا... أنا لم...

- آه، دعنا نكمل القصة. لقد لعبتُ دوراً مضحكاً لمدة أسبوعين، إذ جعلتُك ترى الشبكة تطبق عليك ببطء. أخذت بصمات الأصابع وأثار الأقدام، وفتشت غرفتك وتركت بعض الأشياء في غير محلها عامداً، وكنتُ في كل ذلك أبتُ فيك الرعب. وقد كنت تجلس في الليل يقظان خائفاً متسائلاً إن كنتُ قد تركتُ بصماتك في الغرفة أو أثار الأقدامك في مكان ما. وقد استعدتُ مراراً وتكراراً أحداث تلك الليلة، وتساءلتُ عما يمكن أن تكون قد فعلته أو لم تفعله. وهكذا وضعتُك في حالة زلتُ معها قدمك. لقد رأيتُ الخوف يفتز إلى عينيك اليوم عندما التفتتُ شيئاً عن الدرج الذي وقفتُ عليه مخبئاً تلك الليلة، ثم قمتُ باستعراض كبير بظلي تلك العلة الصغيرة وإيداعها لدى جورج.

ثم التفت بورو نحو الباب وصاح: جورج.

- إنني هنا يا سيدي.

- هل لك أن تخبر هؤلاء السادة والسيدات عن الأوامر التي أعطيتُك إياها؟

- أمرتني أن أبقى مخبئاً في خزانة الملابس في غرفتك - يا سيدي - بعد وضع علية الكرتون حيث أمرتني أن أضعها. وفي الساعة الثالثة

والتصف من بعد ظهر اليوم دخل السيد تريفوسيس الغرفة ومضى إلى الدرج حيث أخرج العلبة المذكورة.

مضى بوارو مكتئباً؛ وقد كان في تلك العلبة دهبوس عادي. إنني أقول الحظيفة دائماً. لقد التفتت بالفعل شيئاً عن الدرج صباح اليوم. وأعتقد أن مثلكم الإنكليزي يقول: «اعثر على ديبوس والتفتت بكثرة حظك جيداً اليوم». وأنا كان حظي جيداً، إذ أنني وجدت القاتل.

ثم التفت إلى السكرتير قائلاً: هل ترى؟ لقد كشفت نفسك.

فجأة انهار تريفوسيس، فغرق في كرميه وهو ينشج وقد دفن وجهه بين يديه: لقد كنت مجنوناً، كنت مجنوناً، ولكن آه يا ربي كم اعتاد تعذيبي واضطهادي فوق كل احتمال! لقد كرهته ومفقه لسنوات طويلة.

صاحت الليدي آستويل: لقد عرفت ذلك!

ثم قفزت إلى الأمام ووجهها يشع بالانتصار وقالت: كنت أعرف أن هذا الرجل قد فعلها.

فقال لها بوارو: وقد كنت على حق. لقد برهن حدسك أنه صادق يا ليدي آستويل، لك مني أعظم التهنية.



أربعة وعشرون شحوراً

- لن تجد أكلًا منها! هل تأخذ الحساء أولاً أم السمك؟

درس السيد بولينغتون الأمر وقال ليوارو محطراً (إذ رآه يتفحص قائمة المأكولات): لن تجد هنا أيًا من أصنافك الفرنسية، لا يوجد سوى الطعام الإنكليزي الطيب المظهر جيداً.

لوح ليوارو بيده قائلاً: لن أطمع بأفضل من ذلك يا صديقي! استلم أنت قيادي دون تحفظ.

- آه، حسناً.

قالت السيدة بولينغتون وأعطت المسألة مجلًا اهتمامه. وبعد أن تمت تسوية هذه المسائل الخطيرة استراح السيد بولينغتون في كرسية متهدأ وبسط منديه على المائدة، بينما انطلقت مولاي مسرعة إلى صالها، فعلق باستحسان: إنها فتاة جيدة، وقد كانت جميلة جداً فيما مضى بحيث كان الفنانون يرسمونها، وهي -بالإضافة إلى ذلك- خبيرة بالطعام، وهو الأهم. إذ إن النساء لسن ذواقات فيما يخص الطعام عادةً، ومستجد كثيراً من النسوة إذا خرجت إحداهن مع من تحبه فلن تنتبه إلى ما تأكله بل هي مستغلب أول صنف تراه.

هزّ يوارو رأسه قائلاً: هذا فظيح!

قال بولينغتون وهو يشعر بالرضا عن نفسه: إن الرجال ليسوا كذلك والحمد لله!

- كلهم؟

قال يوارو ذلك وطرف بعينه، فاستدرك السيد بولينغتون قائلاً: حسناً، ربما كانوا غير ذلك في أول شباهم. شباه مغرورون! إن شبان هذه الأيام كلهم على نفس الشكل، يفتخرون جميعاً إلى الشجاعة والعزم. لا أحبهم!

ثم أضاف بتراحة تامة: وهم لا يحبونني، وربما كانوا على صواب. ولكنك لو سمعت أحدهم يتحدث لحسبت أن أحداً لا ينبغي له أن يعيش بعد سن الستين! ولو حكم المرء بما يراه من عقليتهم لاستغرب كيف لا يُقدم هؤلاء الشبان على دفع أقرانهم المسنين إلى مغادرة هذه الدنيا!

- من الممكن أنهم يقومون بذلك فعلاً.

- إن لك عقلاً رائعاً يا يوارو. لقد أدى انخراطك في العمل البوليسي إلى تدمير مثلك العليا.

ليسم يوارو وقال: ومع ذلك فإن من الجدير بالاهتمام وضع جدول بالوثائق نتيجة الحوادث فوق سن الستين، وأنا أؤكد لك أن جدولاً كهذا سيثير علامات استفهام كثيرة في رأسك.

- مشكلتك أنك بدأت تسعي إلى البحث عن الجريمة بدل انتظار حدوثها وعرضها عليك.

- اعتذر إذ أتكلّم بوحى من مهنتي. أخيرني يا صديقي عن أمورك، كيف تنمسي الحياة معك؟

- في فوضى، هذه هي مشكلة الحياة في أيامنا، الكثير من الفوضى والكثير من الكلام المنثق. ويساعد الكلام المنثق في إعطاء الفوضى، كتكئة الصلصة القوية التي تخفي حليقة السمكة الفاسدة! أعطني شريحة سمك حليقة ودعني من فوضى الصلصة فوقها.

أعطته مولي في تلك اللحظة مثل تلك الشريحة فهمهم مستحسناً: إنك تعرفين تماماً ما أحبه يا فتاتي!

- ينبغي أن أعرف ما تحب يا سيدي، فأنت تأتي إلى هنا بانتظام.

سألها هيركيول يوارو: فهل يحب الناس -إذن- الأشياء نفسها دائماً؟ ألا يحبون بعض التغيير أحياناً؟

- ليس الرجال يا سيدي. النساء يحبين التنوع، أما الرجال فإتهم يحبون الأصناف ذاتها دوماً.

علّق بولينغتون قائلاً: ألم أقل لك؟ النساء بطبعهن غير ذوّاقات فيما يخص الطعام!

ثم أجال بصره في المطعم وقال: المعلمُ مضحك أحياناً. هل ترى ذلك المجوز ذا النحة والشكل الغريب في الزاوية؟ بوسع مولي أن تخبرك أنه دائم الحضور إلى هذا المطعم مساء كل ثلاثاء وخميس منذ نحو عشر سنوات، حتى أصبح أحد معالم هذا المطعم. ومع ذلك لا يعلم أحدٌ هنا اسمه أو عنوانه أو عمله. إذا فكرت بذلك ستجدّه غريباً.

عندما أحضرت التادلة وجبة الديك الرومي سألتها بولينغتون
أرى أنكم ما زلتם تستضيفون «أبانا العتيق» هناك؟

- نعم يا سيدي؛ في كل ثلاثة وخميس، هذان هما يوماء. إلا
أنه جاء يوم الإثنين في الأسبوع الماضي، وقد أقلقني ذلك تماماً...
شعرت أنني مختللاً في التاريخ وأن ذلك اليوم كان الثلاثاء دون أن
أدري! ولكنه عاد فأني في الليلة اللاحقة، فكان يوم الإثنين - كما
يبدو - مجرد زيارة إضافية إذا صح التعبير.

لنتم بوارو قائلاً: إنه تغيير في عاداته يعث على الاهتمام، فما
هو السبب يا ترى؟

- إن أردت رأيي يا سيدي، فأنا أعتقد بأنه كان متزعجاً أو
قللاً.

- ولماذا تعتقدين ذلك؟ من تصرفه؟

- لا يا سيدي. ليس تصرفه بالضبط؛ فقد كان هادئاً كعادته، إذ
يكتفي بعبارة «مساء الخير» عندما يأتي وعندما يذهب. ولكن الغريب
كان طلبه.

- طلبه؟

خجلت مولاي وقالت: لعلكم مستخرون مني يا سادتي، ولكن
عندما يأتي امرؤ هنا طوال عشر سنوات فلا بد لنا أن نعرف ما يجب
وما يكره. لم يكن هذا العجوز يحب فطائر الشحم أو التوت البري
الأسود، ولم أره يوماً يطلب حساء نخيناً... ولكنه طلب في ليلة الإثنين
تلك حساء البندورة النخين وشريحة لحم بقرّي وتفاقي الكلى وفطيرة

محمشوة بالتوت البري الأسود... بدأ وكأنه لم يلاحظ ما الذي طلبه!

قال بوارو: هل تعلمين أنني أجد ذلك غريباً جداً؟

مضت مولاي وهي راضية بما سمعته، فضحك هنري بولينغتون
وقال: حسناً يا بوارو، أتخافنا بعض استنتاجاتك المعهودة.

- لفضل أن أسمع استنتاجاتك أنت أولاً.

- تريدني أن أكون الدكتور واطسون؟ حسناً، لنقل إن العجوز
راجع طبيباً فغير الطبيب نظامه الغذائي.

- يغير نظامه إلى حساء نخين وشرائح لحم وتفاقي الكلى
وكعك التوت البري؟ لا أتخيل طبيباً يصف ذلك.

- لا تصدق ذلك يا صديقي، فالأطباء مستعدون لضحك بأي
شيء.

- أهذا هو الحل الوحيد الذي خطر ببالك؟

- حسناً، لتتكلم بجدّ. أظن أن ثمة تفسيراً واحداً ممكناً؛ وهو
أن صاحبنا المجهول كان في حماة عقلية قوية شوّفته إلى الحد الذي
لم ينتبه فعلاً لما يطلبه أو يأكله.

وصمت لحظة ثم مضى قائلاً: وأراك تخبرني بعدها أنك تعرف
تماماً ما الذي كان يدور في ذهنه، وربما قلت إنه كان يعترم ارتكاب
جريمة.

ثم ضحك من اقتراحه، ولكن هيركيول بوارو لم يضحك.

• • •

اعترف بورو بأنه كان في تلك اللحظة قلقاً تماماً، وقال إنه كان يفترض فيه وقتها أن يدرك ولو طرفاً بسيطاً مما قد حدث، ولكن أصدقائه أكدوا له أن فكرة كهذه غيالية تماماً.

• • •

لم يلتق هيركيول بورو بصديقه بولينغتون إلا بعد ثلاثة أسابيع، وكان لقاءهما تلك المرة في قطار الأنفاق حيث حيا كلٌّ منهما صاحبه بهزة رأس وهما يتأرجحان وقوفاً متعلقين بالمسكاتات الجلدية للعبوة، ثم خرج جمع فقير في محطة بيكاديلي فتوفرت مقاعد في مقدمة العربة حيث يجلس المرء الراحة لعدم خروج أحد أو دخوله من هناك.

قال بولينغتون: هذا أفضل. ما أشد أمانة هؤلاء الناس، إنهم لا يتسحون مجالاً في العربة مهما ناشدتهم!

هز بورو كتفيه استهجاناً وقال: وبأي شيء عساك نتاشدهم، بمعرك؟ لا أحد يعلم كم تطول حياته.

- فعلاً، لا يلبث اليوم أن يصير أمساً دياراً.

قالت السيدة بولينغتون بنبهة كتيبة ثم أضافت: وبمناسبة الحديث عن ذلك، فهل تذكر ذلك العجوز الذي رأيتاه في مطعم غالات لندن؟ إن استغرب أن يكون قد اختار الدار الباقية لأنه لم يتردد على المطعم طوال أسبوع كامل، حتى أن مولتي فلفتت جنناً بشأن غيابه.

اعتدل بورو في جلسته ولممت عيناه الخضراوان وقال: حقاً؟ حقاً؟

فأجابته بولينغتون: هل تذكر اقتراحي بأنه قد راجع طبيياً وغير

نظامه الغذائي؟ إن مسألة النظام الغذائي أمر سخيف بالطبع، ولكن ربما كان قد راجع طبيياً بخصوص حالته الصحية فقال له الطبيب شيئاً أصابه بصدمة ما. وهذا ما يقسر عليه أشياء لم يألفها دون الانتباه لما يفعلته، ومن المحتمل كثيراً أن تكون تلك الصدمة قد عجلت بخروجه من هذا العالم بأسرع مما لو لم ينظفها، ولذلك ينبغي للأطباء أن يدققوا فيما يقولونه لمرضاهم.

- إنهم يدققون عادة.

- ها قد جاءت محطتي. وداعاً، لا تفترض أننا يمكن أن نعرف أبداً هوية ذلك العجوز، ولا حتى اسمه... علام تصحكت؟

وأسرع خارجاً من العربة، أما بورو فلبدا وهو يجلس مفطّب الجبين وكأنه لا يعتقد بأن هذا العالم مضحك فعلاً، ثم ذهب إلى بيته وأعطى بعض التعليمات لخادمه المخلص جورج.

• • •

مزر هيركيول بورو أصبح على قائمة بأسماء الوفيات في منطقة معينة، ثم توقف أصبحه وهو يردد: هنري جازكوبين، العمر تسعة وستون، سأجرب هذا أولاً.

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم جلس بورو مع الدكتور ماكاندرو في عيادته في شارع كينغز. كان ماكاندرو طويلاً أحمر الشعر ذكي القسمات، وأجاب عن تساؤل بورو قائلاً: جازكوبين؟ نعم، صحيح، ذلك العجوز غريب الأطوار. كان يعيش في أحد تلك البيوت القديمة المهجورة التي تُهدم عادة لبناء مجمعات شقق حديثة، لم أعالجه من قبل، ولكنني كنت أراه أحياناً وأحرفه. لقد كان عامل

الألبان هو الذي لاحظ الأمر في البداية، إذ بدأت زجاجات الحليب المملوطة تتراكم خارج باب بيته، وبعدها أخبر جيرانه الشرطة الذين كسروا الباب ووجدوه. كان قد هوى عن الدرج فاندقت عقه، وكان يرتدي رداء نوم قديماً ذا نطاق مهترئ يحتمل أن يكون قد تعثر به.

- هكذا إذن؟ كان الأمر بسيطاً تماماً... مجرد حادث.

- نعم.

- هل له أقرباء؟

- هناك ابن أخت له كان يأتي لزيارة عماله مرة في الشهر تقريباً.

اسمه جورج لوريمر، وهو طبيب أيضاً ويقيم في ويمبلدون.

- هل بدأ متزوجاً لوفاة العجوز؟

- لا أستطيع تأكيد ذلك. أعني أنه كان يحب عماله العجوز.

ولكنه لم يكن يعرفه حق المعرفة.

- كم كان قد مضى على وفاة السيد جازكوين عندما رأيته؟

- آه، هنا تأتي إلى الجانب الرسمي... كان قد مر على وفاته

ما بين ثمان وأربعين ساعة واثنين وسبعين ساعة. لقد اكتشفت جثته صباح السادس من هذا الشهر، وكان في جيب رداؤه رسالة كتبت في الثالث من الشهر ووضعت في البريد في ويمبلدون بعد ظهر اليوم الثالث، والأغرب أنها وصلت في نحو الساعة التاسعة والثلاث مساءً اليوم نفسه. وهذا يجعل وقت الوفاة بعد الساعة التاسعة والثلاث من اليوم الثالث في هذا الشهر، وهو يتسجم مع ما وجدناه في معدته من طعام ومع عمليات الهضم، إذ كان قد تناول وجبة قبل نحو ساعتين

من موته. وقد فحصته صباح اليوم السادس وكانت حالته تشير إلى أن الوفاة حدثت قبل نحو ستين ساعة، أي قرب العاشرة من مساء اليوم الثالث.

- كل ذلك يبدو طبيعياً ومنسجماً. قل لي: متى شوهد حياً لأخر

مرة؟

- شوهد في نحو الساعة من مساء ذلك اليوم في شارع كينغز،

حيث تعشى في مطعم غالات أنديفر في الساعة والنصف، ويبدو أنه

كان يتعشى هناك في كل ثلاثاء.

- أليس له أقرباء آخرون غير ابن أخته؟

- كان له شقيق توأم. وتبدو قصتهما غريبة تماماً؛ فهما لم يلتقيا

منذ سنوات، ويبدو أن شقيقه أنطوني جازكوين تزوج امرأة غنية جداً

وهجر الفن، وقد نشاجر الشقيقان إثر ذلك ولم يتقابلا منذ ذلك

الحين كما اعتقد. ولكن الغرابة كلها في حقيقة أنهما توفيا في اليوم

نفسه، حيث مات الشقيق الأكبر في الساعة الثالثة من بعد ظهر الثالث

من هذا الشهر! لقد مرت بي في السابق حالة توأمين يموتان في يوم

واحد وهذا في بلعتين مختلفتين من العالم. ربما كان ذلك مصادفة،

ولكنه حدث.

- وزوجة الشقيق الآخر، أهي على قيد الحياة؟

- لا، لقد ماتت منذ بضع سنين.

- وأين كان أنطوني جازكوين يعيش؟

- كان لديه بيت في منطقة كينغستون هيل، وكان يعيش في

عزلة عن العالم كما فهمت من الدكتور لوريمر.

هز بوارو رأسه مفكراً، فيما نظر إليه الطبيب بحدة ثم سأله
بفظافة: ما الذي تفكر فيه بالضبط يا سيد بوارو؟ لقد أجبته عن
أسئلتك كما يحليه عليّ الواجب وأنا أرى الوثائق التي أبرزتها لي،
ولكنني ما زلت أجهل سبب كل هذه الأسئلة.

أجاب بوارو ببطء: ما قلته يفيد بأن القضية قضية بسيطة لولد
جاءت نتيجة حادث، ولكن ما أفكر فيه هو أنها قضية بسيطة بنفس
الدرجة، ولكنها قضية دفعة بسيطة.

جفل الطبيب ماكاندرو وقال: بكلمة أخرى: جريمة قتل! هل
لديك أية أسباب لهذا الاعتقاد؟

- لا، إنه مجرد افتراض.

- ولكن لا بد من وجود سبب.

لم يتكلم بوارو، فقال ماكاندرو: إن كان ابن الأخت لوريمر هو
موضع شكوكك فإني أقول لك الآن: إنك تلاحق الشخص الخطأ. إذ
أن لوريمر كان يلعب الورق في ويمبلدون من الساعة الثامنة والنصف
وحسب منتصف الليل، وقد ورد ذلك في الاستجواب.

- والأغرب أن ذلك قد تم التأكيد منه، فالشرطة حريصون في
هذه الأمور.

- هل عندك أية معلومات ضدّه؟

- لم أكن أعلم بوجوده أصلاً حتى أخبرتني أنت.

- فهل تشكّ في شخص آخر إذن؟

- لا، لا، ليست هذه هي المشكلة أبداً. إنها قضية العادات

الروتينية لذلك الحيوان الذي يستي إنساناً. إنها قضية مهمة جداً،
والسيد جازكوبين الراحل لا ينطبق وضعه ولا ينسجم. هناك خطأ ما،
هل تفهمتي؟

- في الواقع لا أفهم.

تتم بوارو قائلاً: المشكلة هي أن ترى كثيراً من الصلصة فوق
السمكة الفاسدة.

- ماذا تعني يا سيدي العزيز؟

ابتسم بوارو وقال: أنت توشك أن تغفل عليّ الباب كما يُغفل
بالمجانين يا سيدي الدكتور، ولكنني لست مصاباً بعقلي في الحقيقة؛
فأنا مجرد رجل يحب النظام والمنهجية ويشعر بالقلق عندما يصادف
حقيقة لا تتسجم معهما. عليّ أن أطلب عفوك لما سببته لك من تعب.

نهض ونهض معه الطبيب وهو يقول: أنا -صدق- لا أرى أي
شيء يبعث عليّ الشك في موت هنري جازكوبين. أنا أقول إنه وقع،
وتقول أنت إن شخصاً ما قد دفعه. حسناً، ربما كان كل ذلك... مجرد
افتراضات.

تهد هيركيول بوارو وقال: نعم، إنه عمل بارع. لقد قام شخص
بهذه العملية بنجاح!

- أما زلت تعتقد...

رفع الرجل الضئيل يديه مقاطعاً: أنا رجل عنيد... رجل يحمل
فكرة صغيرة وما من شيء يدعّمه! بالمناسبة، هل كانت لهنري
جازكوبين أسنان اصطناعية؟

- لا، فقد كانت أسنانه في حالة ممتازة، أسنان رائعة حقا...
هم في مثل سنه.

- أكان يعنى بها جيدا؟ هل كانت بيضاء نظيفة؟

- نعم، لقد لغت أسنانه انتباهي بشكل خاص، فالأسنان تبدل
إلى الاصفرار مع تقدم العمر، ولكن أسنانه كانت في حالة جيدة.

- ألم تكن ملوثة بأي شكل؟

- لا أعتقد أنه كان مدخناً إن كان ذلك ما قصد.

- لا، لم أصد ذلك تحديداً. كانت مجرد رمية بعيدة ربما لا
تصيب هدفها! وداعاً يا دكتور ماركندرو، وشكراً على لطفك.

صافح الطبيب وغادر قائلاً: الآن، إلى الرمية البعيدة.

• • •

جلس في مطعم خالانت أنديفر على الطاولة نفسها التي جلس
عليها مع بولينغتون، وقد خدمته فتاة غير مولى، فمولى كانت في
إجازة كما أخبرته الفتاة.

كانت الساعة قد بلغت السابعة تماماً، ولم يجد بوراو أية صعوبة
في الدخول مع الفتاة في المحادثة حول السيد جازكوين العجوز.
قالت التالدة: نعم، استمر في المجيء إلى هنا سنوات وسنوات،
ولكن أباً من نحن الفتيات- لم تعرف اسمه. لقد رأينا التحقيق حول
وفاته في الصحيفة حيث وضعوا صورة له، فقلت لمولى: انظري،
أليس هذا «أبانا العتيق» (كما كنا ندعوه)؟

- لقد تعشى هنا ليلة وفاته، أليس كذلك؟

- بلى، يوم الثلاثاء الثالث من هذا الشهر، حيث كان يأتي
بانتظام أيام الثلاثاء... الثلاثاء والخميس، وكان دقيقاً في حضوره
كالساعة.

- وهل تذكرين ما الذي تناوله على العشاء؟

- دعني أتذكر... تناول حساء دجاج بالتوابل الهندية، ونفاق
بقر، وفطيرة التوت الأسود والتفاح والجبن. من كان يظن أنه سيذهب
بعدها إلى بيته ويقع من أعلى الدرج في تلك الليلة نفسها؟ قالوا إنه تعثر
بالتفاح المهترئ لثوبه. طبعاً كانت ملامسه غريبة دوماً... بالية قديمة
الطرز، وكان يلبسها كيفما اتفق. ومع ذلك فقد كان ذا هيئة توحى بأنه
كان شخصاً مهماً، آه، إن لدينا كل أنواع الزبائن الغريبين هنا.

ثم مضت، وأكل بوراو شريحة السمك التي طلبها وعيناه تشعان
ببريق أحضر. قال لنفسه: غريب، كيف يقع أذكى الناس في أخطاء
تفصيلية؟ سوف يستمتع بولينغتون بذلك. ولكن الوقت لم يحن
بعد- لإجراء حوار مرفق مع بولينغتون.

• • •

لم يجد بوراو (الذي تسليح برسائل تعريف من أوساط نافذة
معبئة) صعوبة أبداً في التعامل مع محقق التوقيات في المظلة، وقد
علق المحقق بقله: إن الفقيه جازكوين شخصية غريبة. لقد كان عجوزاً
وحيداً غريب الأطوار، ولكن يبدو أن موته قد أثار كثيراً من الانتباه.

كان ينظر بشيء من الفضول إلى زائره وهو يتكلم. واختار بوراو

كلماته بعناية فائلاً؛ ثمة ظروفٌ أحاطت بموته يا سيدي، وهي تجعل من التحقيق مسألة مطروحة.

- حسناً، كيف لي أن أساعدك؟

- أظن أن من اختصاصك أن تأمر بإتلاف أو بحفظ الوثائق التي تبرز في محكماتك، كما ترى الأمر مناسباً. وهناك رسالة معينة وجدت في جيب رداء الميت، أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

- هل كانت رسالة من ابن أخته، الدكتور جورج لوريسر؟

- صحيح تماماً، وقد أيرزت الرسالة في أثناء الاستجواب لتحديد وقت الوفاة.

- وتطابقت في ذلك مع الدليل الطبي، أليس كذلك؟

- بالضبط.

- ألا تزال تلك الرسالة موجودة؟

انتظر بورو الرد بلهفة، وعندما سمع بأن الرسالة ما زالت موجودة ويمكن له فحصها تهدد بارتياح، وعندما أحضرت له الرسالة أخيراً تفحصها بعناية. كانت مكتوبة بخط معقّد قليلاً وبقلم حبر، وكان نصها:

الخال العزيز هنري،

يوسفني أن أبلغك بأنني لم أحقق نجاحاً فيما يخص الخال أنطوني، إذ لم يُبد أي حماسة لزيارة منك له.

ولم يعطني جواباً على طلبك منه بتسيان الماضي وفتح صفحة جديدة.

إنه مريض جداً بالطبع، وعقله يبيل إلى الخرف. وأظن أن نهاية أصبحت قريبة جداً، فقد بدا أنه لم يتذكر من أت إلا بصعوبة.

أعتذر لقلبي في تحقيق رغبتك، ولكنني أؤكد لك أنني بذلت قصارى جهدي.

ابن أختك المحب: جورج لوريسر

كانت الرسالة نفسها مؤرّخة في الثالث من تشرين الثاني، وقد ألقى بورو نظرة على عثم البريد على المغلف فقرأ: 4.30 مساءً، 3 تشرين الثاني.

تمتم بورو قائلاً: إنها وفق النظام تماماً، أليس كذلك؟



كانت وجهته التالية هي كينغستون هيل. وهناك، بعد قليل من المتاعب ومن ممارسة الإلحاح المختلط بروح الدعابة، حصل بورو على مقابلة مع إميلي هيل ومدبرة منزل الراحل أنطوني جازكوين.

كانت السيدة هيل مثالة إلى العناد والتشكيك في البداية، ولكن اللطف الساحر لهذا الأجنبي ذي الشكل الغريب كان من شأنه أن يؤثر في جُلمود الصخر. وهكذا بدأت إميلي هيل تتخلى عن تحفظها، فقد وجدت نفسها -ككثير من النساء قبلها- تصبّ متاعبها في أذن متعاطفة حقاً.

لقد تولت مسؤولية منزل السيد جازكوبين طوال أربعة عتد عاماً، وما كان ذلك بالعمل السهل أبداً. كان يمكن للكثيرات أن يبدلن تحت وطأة الأعباء التي اضطرت إلى تحمّلها! كان الرجل المسكين غريب الأطوار، ولا يمكن إنكار ذلك، وعلى درجة كبيرة من البخل... بل كان ذلك مرضاً فيه، وهو الرجل الغني! ولكن السيدة هيل خدمته بإخلاص وتحملت طريقة حياته، وتوقعت منه -على كل حال- أن يترك لها فذكري». ولكن لا، لا شيء البتة! مجرد وصية قديمة تعطي كل أمواله لزوجته، وفي حال وفاتها قبله يؤول كل شيء لأخيه هنري. وصية تمت صياغتها منذ سنوات طويلة، ولم تكن عادلة!

أبعدها يوارو تدريجياً عن موضوعها الرئيسي: الجشع الذي ليس له حدود. لقد كان ذلك ظلماً قاسياً بالفعل، ولا يجدر أن تلام السيدة هيل على شعورها بالدهشة والأذى، فقد كان السيد جازكوبين مشهوراً بأنه ذو قبضة محكمة فيما يخص إنفاق المال، بل يقال إن الرجل الميت قد رفض مساعدة أخيه الوحيد. وربما كانت السيدة هيل تعلم كل ذلك، فقد سألت يوارو قائلة: ألهذا السبب جاء الدكتور لوريمر مطالباً برؤيته؟ لقد علمت أن الأمر يتعلق بأخيه، ولكنني ظننت أن الأمر لا يبعدهو رغبة أخيه في المصالحة معه، فقد نشاجرا منذ سنوات.

- ولكنني فهمت أن السيد جازكوبين رفض ذلك تماماً، اليس كذلك؟

- هذا صحيح تماماً؛ لقد قال وقتها: "هنري؟ ما هذا الذي أسمع منه هنري؟ ثم أراه منذ سنوات ولا أريد رؤيته، إنه شخص كثير الخصام..." هكذا قال تماماً.

ثم عاد الحديث إلى أحزان السيدة هيل الخاصة والموقف القاسي لمحامي السيد جازكوبين، ووجد يوارو بعض الصعوبة في الاستئذان اللبق الذي لا يقطع الحديث بشكل فظ.

بعد ذلك وعقب فترة الغداء توجه إلى شارع دورسيت في ويمبلدون حيث مسكن الدكتور جورج لوريمر. كان الطبيب في المنزل، وقد تم إرشاد يوارو إلى العيادة الملحقة بالمنزل وأثناء الدكتور لوريمر سريعاً بعدما أنهى غداءه كما هو واضح.

قال له يوارو: أنا لست مريضاً يا دكتور، وربما كان في حضوري إلى هنا بعض الوقاحة، ولكنني رجل عجوز أؤمن بالتعامل البسيط والمباشر ولا أبه بالمحاميين وأساليبهم الملتوية.

لقد أثار اهتمام لوريمر بالتأكيد. كان الطبيب رجلاً حليفاً متوسط الطول ذا شعر بني ورموش نكاد تكون بيضاء مما يضفي على عينيه سمة الشحوب، وكان أسلوبه رقيقاً مع الدعاية. ورداً على كلام يوارو رفع الدكتور حاجبيه وقال: المحامون؟ كم أكرههم! ولكنك أثرت فضولي يا سيدي العزيز، أرجوك أن تجلس.

جلس يوارو ثم أخرج بطاقة تعريف بمهته وناولها للطبيب. طرفت رموش جورج لوريمر البيضاء فيما أحنى يوارو قامته للامام وقال كأنه يفشي سرّاً: إن العديد من زبائني نساء.

- هذا طبيعي.

- صحيح، هذا طبيعي لأن النساء لا يتقن بالشرطة ويفضلن التحريات الخاصة، حيث لا يردن أن تنتشر أخبار مشكلاتهن. لقد جاءت امرأة عجوز لاستشارتي قبل بضعة أيام، وكانت حزينة على

زوجها الذي تشاجرت معه قبل سنوات. وقد كان زوجها هذا ،
خالك الراحل ، السيد جازكوين.

اصطبح وجه جورج لوريمر بلون كالأرجوان ، وهف قائلاً:
عالي؟ هذا هراء! لقد ماتت زوجته منذ سنوات طويلة.

- ليس خالك السيد أنطوني جازكوين ، بل خالك السيد هنري
جازكوين.

- عالي هنري؟ ولكنه لم يكن متزوجاً!

- بل كان متزوجاً.

قالتها يوارو وهو يستند بارتياح ودون تردد ، ثم أضاف : ما من
شك في ذلك ؛ ولقد أحضرت السيدة معها عقد الزواج.

صاح جورج لوريمر وقد أصبح وجهه بلون ثمره الخوخ : هذه
كذبة! لا أصدق ذلك... إنك كاذب وقبح.

- كم هو سيئ لك أن ترتكب جريمة من أجل لا شيء ، ليس
كذلك؟

- جريمة؟؟

قالتها لوريمر وقد تهدج صوته وجعلت عيناه الشاحبتان رعباً

- بالنسبة ، أرى أنك قد عدت إلى أكل حلوى التوت
البري الأسود. إنها عادة سيئة ، فمع أن التوت البري الأسود مليء
بالفيتامينات كما يقال ، إلا أنه ربما يكون قاتلاً في بعض الأحيان
وفي هذه الحالة أنصوّر أن التوت البري ساعد في وضع الحيل حول
عقلك يا دكتور لوريمر.

قال يوارو لصديقه يوليغتون وهو يتشم بهدوء ويلوح بيده
مفسراً : وهكذا ترى يا صديقي أنك أخطأت في افتراضك الأساسي ؛
إذ إن رجلاً يعاني من ضغط عقلي شديد لا يمكن أن يعمل وهو في
حاله تلك شيئاً لم يعمله من قبل. إن ردود أفعاله تتخذ فوراً المسار
الذي لا يحتوي أية مقاومة. والآن : هل يمكن لشخص يكره الحساء
التخين والفتاق المدققة والتوت البري أن يطلب فجأة وفي ليلة واحدة
الأصناف الثلاثة جميعاً؟ إنك تقول إن ذلك حدث لأنه كان يفكر في
أمر آخر ، ولكنني أقول إن الرجل الذي يشغله شغل في عقله سوف
يطلب أياً الوجبة التي اعتاد أن يطلبها مراراً.

حسناً ، إذن فما الضير البديل لذلك؟ لم أستطع -بساطة- أن
أجد تفسيراً معقولاً ، ولذلك شعرت بالقلق! لقد كان الأمر كله غمطاً
ولا يتسجم مع المنهج ، وأنا ذو عقل منظم يحب أن يرى الأشياء
تحدث بمنهجية ، وقد ألقني طلب عشاء السيد جازكوين. ثم قلت
لي إن الرجل احتفى وغاب يومئذ الثلاثاء والخميس للمرة الأولى منذ
سنوات ، فزاد ذلك في قلبي وأورد إلى ذهني افتراضاً غريباً ، وهو
أن الرجل ميت إذا صدق ظني ، ولذلك قمت بتحريتي فعلمت أنه
مات حقاً وأنه مات بشكل مرتب ومنظم جداً ؛ وبكلمة أخرى : كانت
السكة الفاسدة مغطاة بالصلصة!

كان قد شوهد في شارع كينغز في الساعة مساء ، وتناول عشاءه
هنا في الساعة والنصف ، قبل ساعتين من موته. وكان كل ذلك يتطابق
ويتسجم مع بعضه مع بعض : دليل محتويات المعدة ، ودليل الرسالة... كان
هناك الكثير من الصلصة ، حتى إنك لا تستطيع رؤية السمكة نهائياً!

ابن الأخت المخلص كتب الرسالة ، وابن الأخت المخلص كان

لديه دليل على أنه كان في مكان آخر ساعة الجريمة. وكانت الوداد بسيطة تماماً: سقوط عن الدرج. هل كان ذلك حادثاً بسيطاً أم جريمة قتل بسيطة؟ كان الجميع يتولون بالخيار الأول.

ابن الأخت المخلص هو القريب الوحيد الباقي على قيد الحياة. ابن الأخت المخلص سيرت... ولكن، هل كان هناك ما يمكن أن يراه؟ لقد كان الحال معديماً، ولكن كان هناك أخ، وأخ تزوج في شبابه امرأة غنية، والأخ يعيش في بيت ثمين ضخم في كينغستون هيل، ولذلك يبدو أن الزوجة الغنية قد تركت له كل ثروتها. هل ترى السلسلة؟ الزوجة الغنية تترك المال لأطونى، وهو يترك ماله لهنري. وأموال هنري تتحول لجورج... سلسلة كاملة.

قال بولينغتون بعد أن استمع إلى كل هذا الشرح: كل هذا جميل نظرياً، ولكن ما الذي فعلته عملياً؟

- حالما تمتلك المعرفة فإناك تستطيع أن تتسكع بما تريد. لقد مات هنري بعد ساعتين من تناول وجبة، كان ذلك كل ما أراد التحقيق أن يهتم به. ولكنك لتفترض أن تلك الوجبة كانت وجبة غداء لا عشاء. ضح نفسك مكان جورج، فقد كان بحاجة ماسة إلى المال، وكان أطونى جازكوبين يموت، ولكن موته لم يكن مفيداً لجورج لأن أمواله منتقل إلى هنري الذي يُحتمل أن يبقى على قيد الحياة سنوات. لذلك فإن هنري يجب أن يموت أيضاً، والمفضل أن يكون ذلك بسرعة. ولكن ينبغي أن يحدث موته بعد موت أطونى، وفي نفس الوقت كان على جورج أن يؤثّر دليل غياب عن مكان الجريمة. وقد تمتح عداداً هنري في تناول عشاءه في المطعم مرتين أسبوعياً جورج فكرة تأمين مثل ذلك الدليل، وبما أنه رجل حذر فقد حاول

تجربة خطته أولاً، ففقدت دور عماله متنكراً مساء الإثنين في ذلك المطعم. لم ينته أحدٌ إلى الأمر ونجحت التجربة، فقد ظن الجميع خاله، فشر بالرفاء. ولم يعد عليه سوى رؤية علامات قاطعة على أن وفاة خاله أنطوني أصبحت وشيكة، وعندما بدأ عماله يحتضر كتب رسالة إلى خاله هنري بعد ظهر الثاني من تشرين الثاني، ولكنه أزعجها في الثالث من الشهر، ثم حضر إلى المدينة بعد ظهر اليوم الثالث فزار عماله ونفذ خطته... دفعة قوية وبهوي الخيال هنري إلى أسفل الدرج. يبحث جورج عن الرسالة التي كتبها لخاله ليجدها ويدسها في جيب رداء النوم الذي كان عماله يرتديه، وفي الساعة والنصف يذهب إلى مطعم غالات أنديفر يلحى وحواسب كثة وعُدّة التنكر كاملة... وبذلك يبدو هنري جازكوبين على قيد الحياة في الساعة والنصف دون شك. بعد ذلك يغير شكله ثانية وبسرعة في أحد الحمامات، وينطلق بأقصى سرعة سيارته إلى ويمبلدون حيث يلغى سهرة لعب الورق: إنه عذر غياب كامل عن مسرح الجريمة.

نظر إليه بولينغتون وقال: ولكن ماذا عن ختم البريد على غلاف الرسالة؟

- آه، كان ذلك بسيطاً فقد كان الختم ملطخاً قليلاً. لماذا؟ لأنه تم تغييره بواسطة سباح المصباح من الثاني إلى الثالث من تشرين الثاني، ولم يكن المرء ليلحظ هذا التزوير ما لم يكن يبحث عنه. وأخيراً كان هناك دليل آخر، الشحارير.

- الشحارير؟

- أربعة وعشرون شحوراً مشوية في فطيرة... كما تقول الأغنية القديمة، أو قلّ «الثوب الأسود» بدل الشحارير السوداء إن

أردت أن تكون أكثر حرفية! لم يكن جورج مثلاً قديراً بدرجة ناه. ورغم كل شيء. هل تذكر ذلك الرجل الذي طلى نفسه بالسواد ليمثل دور عظيم؟ إن ذلك النوع من الممثلين هو ما نحتاجه الجرائم أحياناً. لقد بدأ جورج مثل خاله ومشى مثل خاله وتكلم مثل خاله ووضع لحية وحواجب مثل لحية خاله وحواجبه، ولكنه نسي أن يأكل! مثل خاله! لقد طلب الأضياف التي يحبها هو، ومن المعروف أن الثوت البري الأسود يغير لون الأسنان بينما كانت أسنان الرجال الميت ناصعة البياض. وحتى لو افترضنا بأن هنري جارتكوين أكل ثوتاً أسود في المطعم تلك الليلة، فكيف لم يظهر ذلك في محتويات معدته؟ لقد سألت هذا الصباح وتأكدت أن معدته لم يكن فيها بقايا ثوت بري أسود. وبالإضافة إلى كل ذلك فقد كان جورج من الحمارة بحيث احتفظ باللحية وبياتي مستلزمات التنكر! لقد زرت جورج وضابقتة مما أدى إلى انهياره واعتراجه وانتهاء القضية. وبالمناسبة، كان قد عاد إلى أكل الثوت البري بعد ذلك. لقد كان رجلاً نهما لا هم له سوى طعامه، ولا أحسب إلا أن نهمه سيؤدي به إلى حبل المشنقة، وما أظنني مخطئاً في ذلك.



الحلم

ألقى بوارو نظراً فاحصة مركزة نحو المنزل، وتجولت عيناها لحظة في الأبنية المجاورة؛ في المحلات وفي المصنع الضخم إلى اليمين ومجتمعات الشقق السكنية الرخيصة المقابلة. ثم عادت عيناها إلى جهة نورثوي، ذلك الأثر التاريخي الذي ينتمي إلى عصر سابق، عصر تتميز مساكنه بالانساع والراحة، حيث كانت الحقول الخضراء تحيط بهذا القصر العتيق. أما الآن فإنه مجرد مفارقة تاريخية في غير محلها، مغمورة ومنسية في هذا الخضم المحموم لمدينة لندن الحديثة، حيث إنك لن تجد شخصاً واحداً من كل خمسين يمكن أن يدلك على مكانه. بل إن أولئك الذين يعرفون صاحبه هم أقل من ذلك بكثير، مع أن اسم صاحبه كان أن يُعد واحداً من أغنياء العالم. ولكن المال يمكن أن يحط من ذكر المرء كما يرفع ذكره.

لقد اختار بينديكت فارلي، ذلك المليونير غريب الأطوار، أن لا يعلن عن محل سكناه، فهو شخصياً لم يكن يُرى أو يظهر في المناسبات العامة إلا نادراً، إذ كان يظهر بين فترة وأخرى في اجتماعات مجالس الإدارة بجسمه النحيل وأنفه المعقوف وصوته الأبحش، وهو يسيطر بسهولة على المديرين المجتمعين، ولم يكن -باستثناء ذلك- سوى أسطورة غامضة مشهورة! كانت له قصص

يخل غريبة وقصص كرم لا تصدق، بالإضافة إلى بعض التفصيلات، الشخصية مثل رداء، نومه الشهير المصنوع من الرقع مختلفة الألوان، والذي يقال إنه يرتديه منذ ثمانية وعشرين عاماً، ونظامه الغذائي الثابت المؤلف من حساء المظوف والكافيار، وبغضه للقطط... كل تلك الأمور كان يعرفها عنه الجمهور.

وكان هيركيول بوارو يعرفها أيضاً، بل إنها كانت كل ما يعرفه عن الرجل الذي جاءه زائر، والرسالة التي كانت في جيبه ثم أضعت إلى معلوماته إلا القليل.

جال بوارو يبصره على هذا النعطم الحزين من معالم القرون الماضية صامتاً للحظات، ثم صعد الدرج المؤدي إلى الباب الأمامي للمنزول وقرع الجرس وهو ينظر إلى ساعته اليدوية الأنيقة التي حلت أخيراً محل ساعته المفضلة القديمة، تلك الساعة الفسحة مثل جنة لفت مقلطحة والتي أصبحت من مخلفات الماضي. نعم، كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف تماماً؛ كان بوارو -كعادته- دقيقاً حتى التواتي.

فُتح الباب بعد فترة وجيزة، ووقف نموذج مثالي لمهنة النادل في الباب حاجباً الصلاة المطيبة. سأله بوارو: منزل السيد بينديكت فلرلي؟

استعرضته النظرة الحادية للنادل من رأسه حتى أخمص قدميه بعناية، ولكن دون إزعاج وقال بوارو لنفسه: إنه نموذج النادل بجملة وتفصيله!

سأل الصوت المهذب: هل لديك موعد يا سيدي؟

- نعم.

- اسمك يا سيدي؟

- هيركيول بوارو.

انحنى النادل وتراجع قليلاً، فدخل بوارو المنزل وأغلق النادل الباب خلفه. ولكن يبدو أنه كان هناك تصرف رسمي إضافي قبل أن تقوم بذا النادل الرشيقان بأخذ القبعة والعصا من الزائر، إذ قال له: لك أن تعلمني يا سيدي؟ فقد حُلب مني أن أطالك برسالة.

أخرج بوارو بترؤ رسالة مطوية من جيبه وسلمها للنادل الذي ألقى عليها نظرة سريعة ثم أعادها بانتعاش، فأعادها بوارو إلى جيبه. كان مضمون الرسالة بسيطاً:

السيد هيركيول بوارو

جدي العزيز، يرغب السيد بينديكت فلرلي بالتشرف باستشارتك، فإذا كان ذلك مناسباً لك فسيعد أن تزوره في منزله أعلاه في التاسعة والنصف من مساء غيم الخميس.

المخلص: هوغو كورنوثري (السكرتير)

ملاحظة: يرجى إحصاء هذه الرسالة معك

أخذ النادل قبعة بوارو وعصاه ومعطفه برشاقة ثم قال: هل لك أن تتلطف بالصعود إلى غرفة السيد كورنوثري؟

ثم قاده على الدرج العريض، وتبعه بوارو وهو ينظر بإعجاب إلى تلك الأعمال الفنية ذات الطبيعة الغنية بالزخارف والألوان. لقد كان ذوقه في القرن بورجوازيًا دائماً!

في الطابق الأول قرع النادل باباً. وارتفع حاجباً بوارو قليلاً. فقد كانت تلك أول ملاحظة ملفنة للنظر لأن النادل الجيد لا يقرع الأبواب، ومما لا شك فيه أن هذا النادل كان من الدرجة الأولى. كان ذلك إيداناً - إذا صح التعبير - بأول احتكاك لبوارو مع غربة أطوار المليونير.

وتكلم صوتٌ من الداخل بشيء ما ففتح النادلُ الباب وأعلن، وهنا أيضاً أحسن بوارو بالانحراف المتعدد عن التقاليد المترسنة لطبقة النُدُل: السيد الذي تنتظره يا سيدي.

دخل بوارو غرفة فسيحة بسيطة الأثاث بدعوة المنظر. كانت تحتوي على خزائن الملفات وكتب المراجع وكريسين مريحين ومكتب ضخم تهبب مغطى بأوراق مصفوفة بعناية وترتيب، وكانت زوايا الغرفة خافتة الإضاءة لأن الضوء الوحيد كان ينبعث من مصباح مكتبي ضخم ذي مظلة خضراء كان على طاولة صغيرة قرب أحد الكريسين. كان المصباح موضوعاً بحيث يعكس ضوءه كله على كل فلامن من الباب، وطرفت عيناً بوارو قليلاً وهو يفكر بأن المصباح كان بقوة مئة وخمسين شمعة على الأقل.

جلس على الكرسي رجل شتيل الجسم يرتدي رداء نوم مرصعاً. كان ذلك هو بينديكت فارلي، وكان رأسه منحنيّاً إلى الأمام بأسلوب اشتهر به فارلي، فيما برز أنفه المعقوف كمنظار طائر، وقد انصبت فوق جبينه خصلة شعر بيضاء كحرف اليبغاء، وكانت عيناه تلمعان خلف عدسات نظارته السميكة وهو يحدق إلى ضيفه بارتياح.

أخيراً قال بصوت خشن حاد: هيه، فأنت هيركيول بوارو إذن؟

- في خدمتك يا سيدي.

قالتا بوارو بلطف منحنيّاً ويده على مسند الكرسي.

- تقض، اجلس.

جلس بوارو مغموراً بضيء المصباح كله، فيما بدا أن الرجل العجوز يدرسه بعناية من خلف المصباح. وأخيراً قال له مشاكساً: كيف يمكنك أن أعرف أنك هيركيول بوارو فعلاً؟ أخبرني: كيف، هيه؟

سحب بوارو الرسالة مرة أخرى من جيبه وأعطاهما لفارلي، فقال المليونير مهمهماً: نعم، هذا صحيح؛ هذا ما جعلتُ كورنوتري يكتبه.

ثم طوى الرسالة وأعادها إلى بوارو قائلاً: إذن فأنت الرجل المطلوب، أليس كذلك؟

أجاب بوارو بتلويح خفيف من يده قائلاً: لوكد لك أنه ليس في الأمر عداخ.

تفهقه بينديكت فارلي فجأة وقال: هذا ما يقوله الساحر قبل أن يُخرج الأرنب من قبعته... وهذا القول جزء من الخدعة نفسها كما تعلم!

لم يجبه بوارو، فقال فارلي فجأة: هل تعتقد أنني عجوز شكاك؟ آه، أنا كذلك فعلاً، وشعاري هو «لا تتن بأي كان!»؛ إذ لا يمكنك أن تتن بأي كان عندما تكون غنياً... لا يمكن أبداً، إن ذلك لا يرفع.

ذقّر بوارو بلطف قائلاً: لقد أردت أن تستشيرني؟

هز الرجل رأسه بالإيجاب وقال: «أذهب إلى الخبير ولا تهتم بالتكاليف... لعلك لاحظت أنني لم أسألك عن أجورك يا سيد

بوروار، ولن أسألك! أرسل لي القائمة لاحقاً ولن أقطع شيئاً منها. لقد حسب أولئك الحمقى اللعوبون في متجر الألبان أن بوسعهم أن يأخذوا مني جنينين وتسعة شلنات ثمن البيض، وسعره في السوق جنينان وسبعة شلنات... هناك الكثير من المحتالين، ولكنني لا أخدع! أما الرجل الذي يترع على القمّة فأمره يختلف وهو يستحق ما يُدفع له من مال، فأنا نفسي في القمّة وأعرف ذلك.

لم يجب بوروار، بل أصغى بانتباه وقد مال رأسه قليلاً إلى جانبه. خلف مظهره الخارجي الهادي كان يلمس شعوراً بخيبة الأمل. شعوراً لم يكن قادراً على تحديده؛ فحتى الآن تصرف بينديكت فارلي بأسلوب منسجم مع نمودجه، أي إنه تصرف بما يوافق الفكرة الشعبية المأخوذة عنه، ولكن رغم ذلك كان بوروار يحس بخيبة الأمل.

قال لنفسه باشمزاز: إن الرجل مشعوذ، مجرد مشعوذ.

كان قد قابل كثيراً من أصحاب الملايين ومن غريبي الأطوار أيضاً، ولكنه كان يحس أمام كل منهم بقوة ماء، بطلاقة داخلية كانت تفرض عليه احترامهم. لو كان أحدهم يرتدي رداء مرقعاً فذلك لأنه كان يحب أن يرتدي رداء مرقعاً، أما رداء بينديكت فارلي فقد بدا لبوروار أنه من ثياب المسرح، وبدا الرجل نفسه متكلفاً كواحد من رجال المسرح أيضاً. كان بوروار متأكداً أن كل كلمة يقولها فارلي كانت تنطق لمجرد خلق التأثير.

كرر بوروار سؤاله بلهجة تخلو من المشاعر: هل رغبت في استشارتي يا سيد فارلي؟

تغيرت حالة المليونير فجأة، فالتحت بجسده إلى الأمام وانخفض

صوته إلى ما يشبه الهمس: نعم، نعم؛ أردت أن اسمع رأيك ووجهة نظرك. اذهب إلى أهل القمّة، تلك هي طريقي... أفضل طبيب وأفضل رجل تحرر، إن الأمر لا يعدو هذين الاثنيين.

- ولكنني لم أنهمم حتى الآن يا سيدي.

- طبعاً، فأنا لم أبدأ بإخبارك بعد.

التحت إلى الأمام ثانية وأطلق سؤالاً مفاجئاً: ما الذي تعرفه عن الأحلام يا سيد بوروار؟

ارتفع حاجبا الرجل الضئيل، فهو لم يتوقع ذلك مهما تتوعد توقعاته. قال محبباً على السؤال: فيما يخص هذا الموضوع - يا سيد فارلي - فلئنني أتصحك بمراجعة كتاب الأحلام أو مراجعة أحدث الأطباء النفسيين في شارع هارلي.

قال بينديكت فارلي بهدوء: لقد جرّبتهما كليهما.

ساد صمت قصير، ثم تكلم المليونير بصوت أقرب إلى الهمس في البداية، ليرفع الصوت بعد ذلك شيئاً فشيئاً: إنه الحلم نفسه، يتكرر ليلة بعد أخرى... وأنا خائف. أقول لك: أنا خائف! إنه الحلم نفسه دائماً! أكون جالساً في غرفتي الملاصقة لهذه الغرفة أكتب على مكتبي وأمامي ساعة جدارية أنظر إليها وأرى الوقت، الساعة الثالثة وثمان وعشرون دقيقة بالضبط. الوقت نفسه دائماً، هل تفهمني؟ وعندما أرى الوقت - يا سيد بوروار - أحرف أنني مضطرب للغاية بذلك، مع أنني لا أريد أن أفعله، بل إنني أكره فعله، ولكنني مضطرب...

ارتفع صوته بشكل حاد، فسأله بوروار دون أن يبدو عليه الاضطراب: وما هو ذلك الشيء الذي عليك أن تفعله؟

- في الثالثة وثمان وعشرين دقيقة أفتح الدرج الثاني عن يمين مكتبي، ثم أخرج المسدس الذي أحفظ به هناك فأحشوه وأمشي إلى النافذة، ثم، ثم...

- نعم؟

قال بينديكت فارلي هامساً: ثم أطلق النار على نفسي!

ساد الصمت، ثم قال بوارو: أهذا هو حلمك؟

- نعم.

- نفسه في كل ليلة؟

- نعم.

- وما الذي يحدث بعد أن تطلق النار على نفسك؟

- أصحو من نومي.

هز بوارو رأسه ببطء وهو يفكر ثم سأله: باعتبارها نقطة ذات علاقة بالموضوع، هل تحتفظ بمسدس في ذلك الدرج نفسه؟

- نعم.

- لماذا؟

- لقد اعتدت على ذلك، ولكي أكون مستعداً.

- مستعداً لأي شيء؟

قال فارلي بانزعاج: إن رجلاً في مكائتي ينبغي أن يكون حذراً، فلكل الأغنياء أعداء.

لم يتابع بوارو البحث في هذه النقطة، بل صمت برهة ثم قال: لماذا أرسلت في طلبي بالتحديد؟

- سأخبرك؛ لقد استشرت في البداية طبيباً... بل ثلاثة أطباء في الواقع.

- نعم؟

- أخبرني الأول أن القضية بمجملها قضية نظامي الغذائي، وكان هذا الطبيب عجوزاً. أما الثاني فكان شاباً من أتباع المدرسة الحديثة، وقد أكد لي أن مشكلتي تتعلق بحادث معين حدث في طفولتي في ذلك الوقت المحدد من النهار، الثالثة وثمان وعشرين دقيقة، وقال إنني مصمّم بشدة على عدم تذكر هذا الحادث بحيث إنني أرمز لذلك بتدمير نفسي... هذا كان تفسيره.

- والطبيب الثالث؟

ارتفع صوت بينديكت فارلي إلى صراخ غاضب وهو يقول: كان شاباً أيضاً، وكانت له نظرية منافية للمنطق! لقد أكد أنني قد سئمت الحياة وأنها أصبحت في نظري لا تُحتمل بحيث إنني أريد عامداً أن أضع حداً لها! وقال إنني أرفض أن أعترف بهذه الحقيقة أمام نفسي في ساعات الصحو، لأن الاعتراف بها يعني الاعتراف بأنني فاشل أصلاً، ولكن عندما أنام تزول كل الكوابح فأقدم على فعل ما أتمنى فعلاً أن أقوم به وأضع نهاية لحياتي.

- هل يعني تحليله أنك ترغب حقاً، دون وعي منك، في الانتحار؟

صرخ بينديكت فارلي بقوة: وذلك مستحيل، مستحيل؛ فانا

سعيد تماماً وأحصل على كل ما أريده، كل ما يمكن للمال أن يشتريه! إن مجرد اقتراح أمر كهذا مسألة خيالية لا تصدق.

نظر بوارو إليه باهتمام، فقد كان في هزة يديه وفي الصراخ المرتعش لصوته شيء يحذر بوارو من أنه كان في إنكاره مبالغاً في حماسه، وأن هذا الإصرار بالذات كان يبعث على الشك. ولكن بوارو اكتفى بالقول: وما هو دوري يا سيدي؟

هدأ بينيدكت فارلي فجأة، وريت بأصابه على الطاولة بجانبه وقال: يوجد احتمال آخر، وإذا كان صحيحاً فأنت الوحيد الذي يمكن أن تعرف شيئاً عنه؛ فأنت مشهور وقد حللت مئات القضايا، مئات القضايا الغربية والمستعبدة. وستعرف إن كان لأحد أن يعرف.

- أعرف ماذا؟

انخفض صوت فارلي إلى همس وهو يقول: إذا افترضنا أن أحداً يريد قتلي... فهل يمكنه قتلي بهذه الطريقة؟ هل يمكنه أن يجعلني أرى ذلك الحلم ليلة بعد أخرى؟

- هل تعني بالتنويم المغنطيسي؟

- نعم.

فكر بوارو بالأمر ملياً ثم قال أخيراً: أظن أن ذلك ممكن، ولكن القضية تحتاج طبيباً على الأغلب.

- ألم تصادف حالة كهذه في خبرتك الطويلة؟

- ليس بمثل هذا السياق.

- هل فهمت ما أعنيه؟ إنني أدفع إلى رؤية الحلم نفسه ليلة بعد

أخرى، ثم يغلبني الإحياء ذات يوم فأطبّقه وأقوم بما حلمت به مراراً عديدة، أقتل نفسي!

هز بوارو رأسه مشككاً بإمكانية ذلك، فسأله فارلي: ألا تعتقد أن ذلك ممكن؟

- ممكن؟ ليست هذه من الكلمات التي أعبا بها.

- ولكنك تظن أن هذا غير محتمل، أليس كذلك؟

- بل بعيد الاحتمال تماماً.

تمتم بينيدكت فارلي قائلاً: "الطبيب قال ذلك أيضاً... ثم عاد صوته إلى الارتفاع وصاح ثانية: ولكن لماذا أرى ذلك الحلم؟ لماذا، لماذا؟!

هز بوارو رأسه بحيرة، فقال بينيدكت فارلي فجأة: أنت متأكد من أنك لم تصادف حالة كهذه في السابق؟

- نعم.

- هذا ما أردت معرفته.

تنحى بوارو بأدب وقال: هل تسمح لي بسؤال؟

- ما هو؟ ما هو؟ قل ما تشاء.

- من الذي تشك أنه يريد أن يقتلك؟

- لا أحد، لا أحد بتاتاً.

- ولكن الفكرة خطرت ببالك، أليس كذلك؟

- أردت أن أعرف إن كان هذا الاحتمال وارداً.

- من تجربتي الخاصة أقول إنه غير وارد. بالمناسبة: هل خضعت للتنويم المغنطيسي من قبل؟

- طبعاً لا. هل تظن أنني مستعد لتقبل هذا الجنون؟

- أعتقد -إذن- أن نظريتك بعيدة الاحتمال بالتأكيد.

- ولكن ماذا عن الحلم؟ ماذا عن الحلم؟

- إن الحلم مهم بالتأكيد.

قال بوارو ذلك وهو يفكر، ثم صمت قليلاً وأضاف: أريد أن أرى مسرح هذه الدراما... المكتب والساعة والمسدس.

- طبعاً، سأخذك إلى الغرفة المجاورة.

جمع العجوز تلافيف ردائه حول جسمه ونهض قليلاً عن كرسية، ثم عاد فجأة وجلس وكأن فكرة قد خطرت له، ثم قال: لا، لا يوجد ما يستحق أن تراه؛ لقد أخبرتك بكل ما ينبغي لك أن تعرفه.

- ولكنني أرغب أن أرى بنفسي...

قاطعته فارلي صائحاً: لا حاجة لذلك؛ لقد أعطيتني رأيك بالموضوع وانتهى كل شيء.

هز بوارو كتفيه بلامبالاة ونهض قائلاً: كما تريد. أنا آسف إذ لم أستطع مساعدتك يا سيد فارلي.

راح بينديكت فارلي يحدق أمامه، ثم دمدم قائلاً: لا أريد شعوزة

واحتيالاً. لقد رويت لك الحقائق ولم تستطع أن تخرج منها بشيء، وبهذا تنتهي المسألة. بإمكانك إرسال فاتورة بأجور الاستشارة.

- سأفعل ذلك بالتأكيد.

قالها المحقق بجفاء ومضى باتجاه الباب، ولم يلبث المليونير أن ناداه قائلاً: قف لحظة، تلك الرسالة... أريدها.

- الرسالة التي أرسلها سكرتيرك؟

- نعم.

ارتفع حاجبا بوارو دهشة، فدس يده في جيبه وأخرج الرسالة المطوية وسلمها للعجوز الذي تفحصها ثم وضعها على الطاولة بجانبه.

ومضى بوارو إلى الباب ثانية وهو يشعر بالحيرة. كان عقله مشغولاً يستعيد مرة بعد مرة القصة التي سمعها، ومع ذلك راوده في حمأة انشغاله الفكري شعور مزعج، خطأ يرتبط به لا بالمليونير العجوز.

انتبه تفكيره بينما كان يمسك بقبضة الباب إذ تذكر أنه ارتكب خطأ، فالتفت مرة أخرى باتجاه الغرفة قائلاً: ألف اعتذار! في خضم اهتمامي بمشكلتك ارتكبت حماقة. تلك الرسالة التي أعطيتك إياها... لقد وضعت يدي خطأ في جيب الأيمن بدل الأيسر.

- ما هذا الذي تقوله؟ ما هذا؟

- الرسالة التي أعطيتك إياها توأ هي رسالة اعتذار من محل غسيل ملابسك بشأن ما فعلوه بياقات قمصاني.

كان بوارو يتسهم معتذراً، وأدخل يده إلى جيبه الأيسر فأخرج الرسالة قائلاً: هذه رسالتك.

انزعها بينيدكت فارلي من يده وهو يزمجر: لماذا لا تتبته له! تفعله؟

استرد بوارو رسالة محل غسل ملابسه واعتذر مرة أخرى وغادر الغرفة، لكنه توقف قليلاً أمام باب الغرفة متأملاً الفسحة الواسعة أمامه التي تشكل استراحة الدرج. مقابله تماماً كان يوجا. مقعد طويل من خشب البلوط القديم، وأمامه طاولة وضعت عليها المجلات، وكان هناك أيضاً كرسيان كبيران وطاولة صغيرة وضعت عليها الزهور. ذكره منظر الفسحة بغرف الانتظار في عيادات أطباء الأسنان.

كان النادل في الصالة ينتظره ليودعه وقال: هل أطلب لك سيارة أجرة يا سيدي؟

- لا، أشكرك؛ فالليل جميل وسوف أتمشى.

وقف بوارو دقيقة على الرصيف منتظراً هدوء حركة المرور قبل أن يعبر الشارع المزدهم بالمركبات. وتربعت تقطية على جيبه وهو يقول لنفسه: لا أفهم أبدأ. ما من شيء يحمل معنى في ذلك كله، ويؤسفني أن أضطر إلى الاعتراف بأنني أنا -هيريكيول بوارو- مرتبك تمام الارتباك.

* * *

كان ذلك ما يمكن أن نسميه الفصل الأول في هذه الدراما، أما

الفصل الثاني فقد تبعه بعد أسبوع. وقد افتتح الفصل بمكالمة هاتفية من طبيب يدعى جون ستيلنغ فليت، قال ذلك الطبيب بأسلوب تعوزه لباقة الأطباء إلى حد بعيد: من؟ الحصان العجوز بوارو؟ ستيلنغ فليت يتكلم.

- تشرفنا، ما الأمر؟

- أنا أتكلم من قصر نورثوي، بيت بينيدكت فارلي.

قال بوارو بصوت أسرع فيه اللهفة: آه، نعم؟ ماذا عن السيد فارلي؟

- فارلي ميت، لقد أطلق النار على نفسه بعد ظهر اليوم.

ساد صمت قصير قال بوارو بعده: نعم...

- أرى أنك لم تأخذك المفاجأة، هل تعلم شيئاً عن ذلك أيها العجوز؟

- ولماذا تظن أنني أعرف شيئاً؟

- حسناً، ليس استنتاجاً عبقرياً ولا تخاطر أفكار أو ما شابه ذلك. كل ما في الأمر أننا وجدنا رسالة من فارلي لك حددت ما فيها موعداً للقاء.

- فهمت.

- لدينا هنا محقق شرطة وديع، فأنت تدري أن الحذر واجب عندما يقدم مليونير على قتل نفسه. لقد تساءلنا إذا ما كان لديك ما يلقي الضوء على العملية، فإذا كان لديك شيء فهلاً حضرت إلى هنا؟

- سأحضر فوراً.

سمعتها في حياتي... حلم؟! هل كنت تعلمين شيئاً عن ذلك يا سيدة فارلي؟

- هذا لطف منك أيها العجوز، أن تتحمل هذه الرحلة...

أحنت رأسها وقالت: لقد ذكر زوجي ذلك لي، وهو أمر كان يزعجه كثيراً. وقلت له إن ذلك كان بسبب سوء الهضم، إذ كان نظامه الغذائي فريداً من نوعه كما تعلمون، واقترحت عليه مراجعة الدكتور ستيلنغ فليت.

كرر بوارو أنه سيمضي فوراً، فقال الطبيب: أنت لا تريد إفشاء السر عبر الهاتف؟ أنت على حق إذن، ونحن بانتظارك.

* * *

هز الدكتور الشاب رأسه بالنفي وقال: لم يراجعني، وأفهم من رواية السيد بوارو أنه راجع الأطباء النفسانيين في شارع هارلي.

بعد ربع ساعة كان بوارو يجلس في مكتبة قصر نورثوي في الطابق الأرضي، وكان في الغرفة خمسة أشخاص سواه: المفتش بارنيت، والدكتور ستيلنغ فليت، والسيدة فارلي أرملة المليونير، وجوانا فارلي ابنته الوحيدة، وهوغو كورنورثي سكرتيره الخاص.

قال بوارو: أريد نصيحتك فيما يخص هذه النقطة يا دكتور، فقد أخبرني السيد فارلي أنه استشار ثلاثة اختصاصيين. ما رأيك في النظريات التي قدموها؟

من بين أولئك كان المحقق بارنيت رجلاً متحفظاً يبدو في شكله مثل جندي، أما الطبيب ستيلنغ فليت الذي كان تصرفه المهني يختلف تماماً عن أسلوب مكالماته الهاتفية فقد كان شاباً طويلاً في الثلاثين من عمره. السيدة فارلي بدت بوضوح أصغر كثيراً من زوجها... امرأة جميلة ذات شعر أسود وفم يدل على الصلابة، فيما لم تنبئ عينها السوداوان بعواطفها أبدأ، فبدت امرأة رابطة الجأش تماماً. أما جوانا فارلي فقد كانت ذات شعر أشقر ووجه منمش، وكان بروز أنفها وذقنها موروثاً عن أبيها كما هو واضح، وقد بدت عينها ذكيتين لامعتين. وكان السكرتير هوغو كورنورثي شاباً حسن الهيئة أنيقاً تبدو عليه أمارات الذكاء والكفاءة.

عبس ستيلنغ فليت وقال: من الصعوبة إبداء أي رأي، إذ ينبغي لك أن تأخذ في حسابك أن ما قاله لك لم يكن ما قاله له الأطباء بالضبط، بل كان تفسير رجل عادي لما قالوه.

- هل تعني أنه ربما أخطأ في العبارات التي قالها لي؟

- ليس هذا ما قصدته بالضبط... أعني أن الأطباء قد وصفوا له حالته بعبارات اختصاصية، وربما تسبب ذلك في أن يفهم المعنى بشكل مضطرب قليلاً ثم يعيد صياغته بلغته الخاصة.

- أي أن ما قاله لي ليس هو ما قاله الأطباء له بالفعل؟

- نعم، هذا هو ما ينتج عن وضعه تقريباً، فقد فهم الأمر بشكل خطأ كما يبدو إن كنت تفهم ما أعنيه.

بعد التحيات والتعارف سرد بوارو ظروف زيارته ببساطة ووضوح، وأعاد سرد القصة التي رواها له بينيدكت فارلي. ولم يعان بوارو من قلة اهتمام الحاضرين؛ إذ قال المحقق: إنها أغرب قصة

هز بوارو رأسه بالإيجاب مفكراً ثم سأل الحضور: هل تعرفون الأطباء الذين استشارهم؟

هزّت السيدة فارلي رأسها بالنفي، فيما علّقت جوانا فارلي قائلة: لم يكن لدى أي واحد منا فكرة حول استشارته لأحد.

فسألها بوارو: وهل حدّثك أنت عن حلمه؟

هزت الفتاة رأسها نافية.

- وأنت يا سيد كورنورثي؟

- لا، لم يخبرني بشيء أبداً. لقد كتبتُ رسالة لك أملاها هو عليّ ولكن لم تكن لديّ فكرة عن سبب رغبته في استشارتك، وحسبت أن ذلك ربما كان يتعلق بأمر شاذ من أمور العمل.

تساءل بوارو: والآن، ماذا عن الوقائع الفعلية لوفاة السيد فارلي؟

نظر المحقق بارنيت إلى السيدة فارلي متسانلاً ثم إلى الطبيب ستيلنغ فليت، ثم أخذ على عاتقه مهمة الحديث: كان السيد فارلي معتاداً على العمل في غرفته الخاصة في الطابق الأول بعد ظهر كل يوم، وفهمت بأنه كان هناك زخم كبير من الأعمال...

نظر إلى هوغو كورنورثي الذي قال: نعم، بخصوص شركة المركبات المتحدة.

تابع المحقق بارنيت: نعم، عمل يتعلق بذلك. وكان السيد فارلي قد وافق على إجراء مقابلة مع اثنين من الصحفيين، وهو نادراً ما يفعل ذلك، ربما مرة واحدة كل خمس سنوات كما قيل لي. وبناء

على ذلك فقد وصل صحفيان في الثالثة والرابع حسب الموعد، وانتظرا في الطابق الأول خارج غرفة السيد فارلي حيث كان يجلس عادة الأشخاص الذين يأتون لمقابله. في الساعة الثالثة والثلاث وصل رسول من مكاتب شركة «المركبات المتحدة» ومعه بعض الأوراق المستعجلة، فتم إرشاده إلى غرفة السيد فارلي حيث سلمه الأوراق. وقد رافقه السيد فارلي إلى باب مكتبه وتحدث من هناك مع الصحفيين قائلاً: "أنا آسف أيها السادة على ترككم تنتظرون، ولكن لديّ عملٌ مستعجلٌ سأنجزه بأسرع ما يمكن". وقد أكّد له السيدان بأنهما سينتظران بقدر ما يطيب له، فعاد إلى غرفته وأغلق الباب، ولم يشاهد على قيد الحياة بعد ذلك.

قال بوارو: "أكمل"، فمضى قائلاً: بعد الساعة الرابعة بقليل خرج السيد كورنورثي من غرفته الملاصقة لغرفة السيد فارلي وفوجئ برؤية الصحفيين اللذين كانا ما يزالان ينتظران. وكان يريد توقيع السيد فارلي على بعض الرسائل وفكّر بأن يذكره أيضاً بأن هذين السيدين ما زالوا ينتظران، وهكذا دخل إلى غرفة السيد فارلي، ولدهشته لم يره، وظن الغرفة فارغة، ثم ما لبث أن لمح حذاء خلف المكتب الذي كان موجوداً أمام النافذة، فهرع بسرعة فرأى السيد فارلي ممدداً هناك ميتاً والمسدس بقربه. أسرع السيد كورنورثي خارج الغرفة وطلب من النادل مخابرة الطبيب ستيلنغ فليت، وبناء على نصيحة الطبيب أخبر السيد كورنورثي الشرطة أيضاً.

سأل بوارو: ألم تسمع صوت الطلقة؟

- لا، فحركة المرور تحدث ضوضاء عالية هنا، وقد كانت نافذة الفسحة أمام مكتبه مفتوحة فكان يصعب سماع صوت الطلقة مع

هدير الشاحنات وأصوات أبواق السيارات في الخارج.

هز بوارو رأسه مفكراً ثم سأل الطبيب: متى حدثت الوفاة؟

- فحصت الجثة فور وصولي، أي في الرابعة واثنتين وثلاثين دقيقة، فكان قد مضى على وفاة السيد فارلي ساعة على الأقل.

أصبح وجه بوارو جاداً تماماً، ثم قال: إذن فمن المحتمل أن وفاته قد حدثت في الوقت الذي ذكره لي، أي في الساعة الثالثة وثمان وعشرين دقيقة! هل كان على المسدس بصمات؟

- نعم، بصماته هو.

- وماذا عن المسدس؟

تولى المحقق بارنيت الإجابة: لقد كان المسدس هو نفسه الذي يحتفظ به في الدرج الأيمن الثاني من مكتبه، كما قال لك تماماً. وقد عرفت السيدة فارلي المسدس وأكدت أنه مسدسه، والأهم من ذلك أن للغرفة مدخلاً واحداً فقط هو الباب المطل على الفسحة، وقد كان الصحفيان يجلسان مقابل الباب تماماً وأقسما أن أحداً لم يدخل الغرفة من وقت حديث السيد فارلي معهما وحتى دخول السيد كورنورثي إليها بعد الساعة الرابعة بقليل.

- إذن فالدلائل كلها تشير إلى أن السيد فارلي قد انتحرق؟

ابتسم المحقق بارنيت وقال: لم يكن أحد ليشك في ذلك لولا نقطة واحدة.

- وهي؟

- الرسالة التي كُتبت لك.

ابتسم بوارو بدوره وقال: فهمت؛ فحيث يوجد هيركيول بوارو تثور فوراً شكوك الجريمة!

قال المحقق بجفاء: تماماً. على كل حال بعد إزالتك لأي التباس في القضية...

قاطعته بوارو قائلاً: "دقيقة واحدة فقط"، ثم التفت إلى السيدة فارلي وقال: هل سبق لزوجك أن خضع للتنويم المغنطيسي؟

- أبداً.

- هل سبق له أن درس التنويم المغنطيسي أو كان له اهتمام بموضوعه؟

هزت رأسها بالنفي وقالت: لا أعتقد ذلك.

وفجأة بدت وكأن رباطة جأشها تنهار، قالت: ذلك الحلم الفظيع. إنه أمر خارق... أن يحلم بذلك ليلة بعد أخرى، ثم... يبدو وكأنه قد طورد حتى الموت!

تذكر بوارو قول بينديكت فارلي: "أقدم على فعل ما أتمنى فعلاً أن أقوم به، وأضع نهاية لحياتي"... وسأل الزوجة مجدداً: هل خطر لك يوماً أن زوجك ربما أغري ليضع حداً لحياته؟

- لا. على الأقل... أحياناً كانت تصرفاته غريبة جداً.

علا صوت جوانا فارلي واضحاً مزديراً: إن أبي لم يكن ليقتل نفسه أبداً؛ فقد كان يهتم بنفسه كثيراً.

علق الطبيب ستينغ فليت قائلاً: تعرفين يا آنسة فارلي أن الناس

الذين يهددون بالانتحار ليسوا هم من يتنحروا، ولذلك تبدو حوادث الانتحار غريبة جداً في بعض الأحيان.

نهض بوارو واقفاً وقال: هل تسمحون لي بأن أرى الغرفة التي حدثت فيها المأساة؟

- بالتأكيد، رافقه من فضلك يا دكتور.

صعد الطبيب الدرج معه. كانت غرفة بينديكت فارلي أكبر من غرفة السكرتير المجاورة بكثير، وكانت مؤنثة بأثاث فاخر وكراسي جلدية وسجادة سميكّة ومكتب ضخم رائع.

خطا بوارو خلف المكتب حيث ظهرت بقعة دم داكنة على السجادة أمام النافذة تماماً. تذكر قول المليونير: في الثالثة وثمان وعشرين دقيقة، أفتح الدرج الثاني على يمين مكنتي، ثم أخرج المسدس الذي أحتفظ به هناك فأحشوه وأمشي إلى النافذة، ثم أطلق النار على نفسي!

هز رأسه قليلاً ثم قال: هل كانت النافذة مفتوحة هكذا؟

- نعم، ولكن ما كان يمكن لأحد أن يدخل من النافذة.

أخرج بوارو رأسه من النافذة. لم يكن لها أي حاجز ناتئ أو حافة، ولا أنابيب قريبة منها. حتى القلط لم يكن بمقدورها أن تصل إلى النافذة من الخارج! وفي مقابل النافذة قام حائط المصنّع المصمت الخالي من أية نوافذ.

قال ستيلنغ فليت: من المضحك أن يختار رجل غني لمكتبه الخصوصي غرفة يمثل هذه الإطالة. إنها كمن يطل على جدار سجن!

أدخل بوارو رأسه وحدق إلى الأجر المصمت الممتد قائلاً: نعم، أعتقد بأن هذا الحائط مهم.

نظر ستيلنغ فليت إليه مستغرباً وتساءل: هل تعني أنه مهم نفسياً؟

انتقل بوارو إلى المكتب، ثم أخذ على سبيل التسلية (أو هكذا بدا الأمر) ملقطاً من تلك الملاقط الطويلة التي تسمى «ملاقط الكسالي». ضم يدي الملاقط فافتح ذراعه إلى أقصى طولهما، فمدّهما بوارو والتقط بهما عود كبريت كان تحت كرسي يبعد بضعة أقدام، ثم نقله إلى سلة المهملات بحذر.

خاطبه ستيلنغ فليت قائلاً بغضب: متى ستنتهي من اللعب بهذه الملاقط؟

تمتم بوارو قائلاً: "إنه اختراعٌ عبقرى". ثم أعاد الملاقط إلى مكانه على المكتب وسأل: أين كانت السيدة والأنسة فارلي ساعة الوفاة؟

- كانت السيدة فارلي ترتاح في غرفتها في الطابق الثاني، أما الأنسة فارلي فقد كانت ترسم في مرسماً على سطح المنزل.

قرع بوارو بأصابعه على طاولة المكتب للحظات ثم قال: أود رؤية الأنسة فارلي. هل يمكنك أن تطلب منها الحضور إلى هنا لدقائق؟

- كما تريد.

نظر إليه ستيلنغ فليت نظرة غريبة ثم غادر الغرفة، وبعد لحظات

فُتح الباب ودخلت جوانا فارلي، فسألها بوارو: هل تمانعين إذا سألتك بعض الأسئلة يا آنستي؟

ردت على نظرتة ببرود قائلة: اسأل ما بدا لك.

- هل كنتِ تعرفين أن أباك يحتفظ بمسدس في مكتبه؟
- لا.

- أين كنت أنت وأمك... أقصد زوجة أبيك، أليس هذا صحيحاً؟

- نعم، لويز هي الزوجة الثانية لوالدي، وهي تكبرني بثماني سنوات فقط. ما الذي كنت تسأل عنه؟

- أين كنت أنت وهي يوم الخميس في الأسبوع الماضي؟ أعني في ليلة الخميس؟

. فكرت للحظات ثم قالت: الخميس؟ دعني أتذكر. آه، نعم؛ ذهبنا إلى المسرح لحضور مسرحية «ضحك الكلب الصغير».

- ألم يقترح أبوك مرافقتكما؟

- إنه لم يذهب إلى المسارح أبداً.

- ما الذي يفعله في الليل عادة؟

- يجلس هنا ويقرأ.

- لم يكن شخصاً اجتماعياً جداً، أليس كذلك؟

نظرت الفتاة إليه مباشرة وقالت: لقد كانت لوالدي شخصيته

الكريهة الفريدة، ولم يكن بمقدور أحد ممن يعاشره عن قرب أن يحبه.
- هذه شهادة صريحة جداً يا آنستي.

- أنا أوقّر عليك الوقت - يا سيد بوارو - لأنني أدرك تماماً ما الذي تريد الوصول إليه. زوجة أبي تزوجته من أجل المال، وأنا أعيش هنا لأنني لا أملك من المال ما أعيش به في مكان آخر. وهناك رجل أتمنى أن أتزوجه، وهو رجل فقير تدخّل والدي لطرده من عمله من قبل، فقد كان يريدني أن أتزوج زواجاً يليق بي. إن الأمر مفهوم باعتبار أنني كنت سأرثه.

- وهل آلت ثروة أبيك إليك؟

- نعم. ترك للويز، زوجته، ربع مليون جنيه معفاة من الضرائب، وهناك وصية بمبالغ أخرى بسيطة، وما تبقى آل إليّ.

ثم ابتسمت فجأة وقالت: وهكذا ترى يا سيد بوارو، فقد كان لديّ كل الأسباب التي تجعلني أتمنى موت والدي!

- أرى أنك قد ورثت أيضاً ذكاء والدك يا آنستي.

قالت وهي تفكر: كان والدي ذكياً. كنت تشعر وأنت معه بذلك، بأن لديه القوة والقدرة على القيادة. ولكن ذلك كله تحوّل إلى مرارة... لم يبق فيه أية إنسانية!

قال بوارو برقة: يا إلهي، يا لي من أبله!

دارت جوانا فارلي نحو الباب قائلة: هل من شيء آخر؟

- سؤالان صغيران فقط: هذا الملقط هنا، هل كان مكانه دائماً

هنا على المكتب؟

- نعم، كان والدي يستعمله لالتقاط الأشياء لأنه كان يكره الانحناء.

- سؤال واحد آخر: هل كان بصر أبيك قوياً؟

حدقت إليه وقالت: طبعاً لا؛ لم يكن يرى أبداً... أعني أنه لا يرى دون أن يضع نظارته، فبصره كان ضعيفاً منذ كان صبيّاً.

- وعندما يضع نظارته؟

- آه، عندها يرى بشكل جيد طبعاً.

- يستطيع قراءة الصحف والأحرف الصغيرة؟

- نعم.

- هذا كل شيء يا آنستي.

مضت الفتاة خارج الغرفة، وتمتم بوارو مع نفسه: لقد كنت غيباً؛ فقد كانت الحقيقة هناك طول الوقت أمام عيني، ولأنها كانت قريبة جداً لم أستطع رؤيتها!

أطلت من النافذة مرة أخرى. وفي الأسفل، حيث الطريق الضيق بين البيت والمصنع، رأى شيئاً صغيراً أسود اللون. هزّ بوارو رأسه برضا ونزل ثانية إلى المكتبة حيث كان الباقون.

وجه بوارو كلامه إلى السكرتير: أريد منك - يا سيد كورنورثي - أن تعيد عليّ بالتفصيل الملابس الدقيقة التي رافقت دعوة السيد فارلي لي. مثلاً متى أملى السيد فارلي عليك الرسالة؟

- بعد ظهر الأربعاء، في الخامسة والنصف كما أذكر.

- هل أعطاك أية تعليمات خاصة حول طريقة إرسالها بالبريد؟

- طلب مني أن أرسلها بنفسني.

- وهل قمت بذلك؟

- نعم.

هل أعطى أية تعليمات للنادل في طريقة استقبالي؟

- نعم، طلب مني أن أخبر هولمز النادل بأن سيداً سيأتي في التاسعة والنصف، وعليه أن يسأله عن اسمه، وكان عليه أن يطلب منه رؤية الرسالة أيضاً.

- إنه احتياط غريب، ألا تعتقد ذلك؟

هزّ كورنورثي كتفيه بلامبالاة، ثم قال بحذر: لقد كان السيد فارلي غريباً كذلك.

- هل كانت هناك تعليمات أخرى؟

- نعم، أخبرني أن آخذ استراحة في المساء.

- وهل فعلت ذلك؟

- نعم، فقد ذهبت إلى السينما بعد العشاء مباشرة.

- ومتى عدت؟

- دخلت المنزل في نحو الحادية عشرة والرابع.

- هل رأيت السيد فارلي في تلك الليلة ثانية؟

- لا.

- ولم يُبهر هو إلى القضية صباح اليوم التالي؟

- نعم، لم يفعل.

توقف بوارو لحظات ثم تابع قائلاً: عندما وصلت أنا لم يتم أخذني إلى غرفة السيد فارلي.

- صحيح، فقد طلب مني أن أخبر هولمز بأن يصطحبك إلى غرفتي.

- ولماذا إلى غرفتك؟ هل تعرف؟

- لم أكن أناقش أوامر السيد فارلي أبداً؛ فقد كان ذلك بغضبه.

- هل كان يستقبل زائريه عادة في غرفته؟

- نعم، عادةً ولكن ليس دائماً، فأحياناً كان يقابلهم في غرفتي.

- وهل كان لذلك سبب؟

فكر هوغو كورنورثي ثم قال: لا، لا أعتقد ذلك... ولم يسبق لي التفكير في الأمر.

اتجه بوارو إلى السيدة فارلي وسألها: هل تسمحين لي بأن أقرع الجرس طلباً لنادلكم؟

- بالتأكيد يا سيد بوارو.

استجاب هولمز للجرس بدقة تامة وتهذيب تام قائلاً: هل طليتي يا سيدتي؟

أشارت السيدة فارلي بإيماءة إلى بوارو، فالتفت إليه النادل بأدب وقال: نعم يا سيدي؟

- ما هي التعليمات التي تلقيتها - يا هولمز - ليلة الخميس عندما حضرت أنا إلى هنا؟

تنحج هولمز ثم قال: بعد العشاء أخبرني السيد كورنورثي بأن السيد فارلي ينتظر شخصاً اسمه هيركيول بوارو سيأتي في التاسعة والنصف، وقال إن عليّ أن أتأكد من اسم الزائر وأن أتأكد من صحة ذلك برؤية رسالة ما، ثم أرافقه بعد ذلك إلى غرفة السيد كورنورثي.

- وهل كان عليك أن تفرع الباب أيضاً؟

بدت علامة نفور على وجه النادل وقال: كان ذلك أحد أوامر السيد فارلي؛ كان عليّ أن أفرع الباب دائماً عندما أريد إدخال زوار، أعني زوار عمل.

- آه، إن هذا يحيرني. هل تلقيت أية تعليمات أخرى بشأنني؟

- لا يا سيدي، فقد أوصاني السيد كورنورثي بالتعليمات التي ذكرتها لك الآن ثم خرج.

- كم كانت الساعة؟

- التاسعة إلا عشر دقائق يا سيدي.

- وهل رأيت السيد فارلي بعد ذلك؟

- نعم يا سيدي، أخذت له كأس الماء الساخن المعتاد في الساعة التاسعة.

- هل كان وقتها في غرفته أم في غرفة السيد كورنورثي؟
- كان في غرفته يا سيدي.

- هل لاحظت شيئاً غير طبيعي في الغرفة؟
- غير طبيعي؟ لا يا سيدي.

- أين كانت السيدة والأنسة فارلي؟

- كانتا قد ذهبتا إلى المسرح يا سيدي.

- شكراً لك يا هولمز، هذا يكفي.

انحنى هولمز وغادر الغرفة، فيما عاد بوارو ليسأل أرملة المليونير: سؤال آخر يا سيدة فارلي، هل كان زوجك قوي البصر؟

- لا، ولا سيما من غير النظارات.

- هل كان لديه قصر نظر شديد؟

- نعم، بالتأكيد؛ كان عاجزاً تماماً دون نظارة.

- وهل كان لديه العديد من النظارات؟

- نعم.

قال بوارو وهو يرتاح في جلسته: آه، أعتقد أن القضية تنتهي بذلك.

* * *

ساد الصمت الغرفة، وكان الجميع ينظرون إلى الرجل الضئيل الذي جلس هناك يمسد شاربته وعليه سيماء الرضا، في حين بدت

الحيرة على وجه المحقق بارنيت، وقطب الدكتور ستيلنغ فليت جيبيته، ووقف كورنورثي يحدّق ذاهلاً، ونظرت السيدة فارلي مشدوهة، وغلبت اللفظة على جوانا فارلي.

ثم خرقت السيدة فارلي الصمت بصوت مضطرب: إنني لا أفهم يا سيد بوارو، ولكن الحلم...

قاطعها بوارو قائلاً: نعم، الحلم كان مهماً جداً.

فارتعشت السيدة فارلي وقالت: لم يسبق لي أن آمنت بالأشياء الخارقة، أما الآن... أن يرى ذلك الحلم ليلة بعد أخرى مسبقاً!

تدخل الدكتور ستيلنغ فليت هذه المرة قائلاً: إنه أمر غريب، غريب جداً! ولو لم تؤكد ذلك يا سيد بوارو، ولو أنك لم تسمعه من السيد فارلي مباشرة...

ثم سعل بحرج وعاد للحديث بأسلوبه المحترف: عفواً يا سيدة فارلي، أقول: لو لم يكن السيد فارلي هو الذي أخبر شخصياً بقصة ذلك الحلم...

قاطعها بوارو قائلاً: بالضبط.

وانفتحت فجأة عيناه اللتان كانتا نصف مغمضتين لتبدو خضرتهما الشديدة، وأضاف مؤكداً: لو لم يخبرني بينيدكت فارلي...

توقف لحظة ينظر في دائرة من الوجوه الشاحبة الخالية من التعبير، ثم قال: حدثت في تلك الليلة أشياء معينة كنت عاجزاً عن تفسيرها تماماً. أولها: كل هذا التركيز على مسألة إحضار الرسالة معي.

قال كورنورثي مقترحاً: ربما لتأكيد الهوية.

- لا، لا أيها الشاب العزيز؛ فتلك الفكرة سخيفة جداً في الواقع. لا بد من سبب أكثر وجاهة لأن السيد فارلي لم يطلب فقط رؤية تلك الرسالة، ولكنه طلب أيضاً وتحديداً أن أتركها هنا! والأغرب من ذلك أنه لم يتلفها؛ فقد وُجدت بين أوراقه بعد ظهر اليوم. فلماذا احتفظ بها؟

تدخل صوت جوانا فارلي قائلاً: ربما أراد أن تعرف حقيقته حلمه الغريب في حال حدوث أي مكروه له.

هز بوارو رأسه مؤمناً على كلامها وقال: أنت ذكية يا آنستي، فلا شك أن ذلك كان الدافع الوحيد للاحتفاظ بالرسالة؛ أن يتم الإعلان عن قصة ذلك الحلم الغريب عندما يموت السيد فارلي. لقد كان ذلك الحلم مهماً جداً، بل كان حيويًا يا آنسة.

ثم مضى قائلاً: سأتي الآن إلى النقطة الثانية. بعدما سمعت قصته طلبت من السيد فارلي أن يريني المكتب والمسدس، وبدأ أنه يوشك على النهوض للقيام بذلك، ثم رفض فجأة. فلماذا رفض؟

لم يتبرع أحد بالإجابة هذه المرة، فمضى بوارو قائلاً: سأعيد طرح السؤال بشكل مختلف: ما الذي كان في تلك الغرفة المجاورة ولا يريدني السيد فارلي أن أراه؟

بقي الصمت مستمراً.

- نعم، هذا سؤال صعب. ومع ذلك فقد كان هناك سبب ما، سبب ملخ جعل السيد فارلي يستقبلني في غرفة سكرتيره ويرفض اصطحابي إلى غرفته الخاص بعناد. كان في تلك الغرفة شيء لم يكن يوسعه أن يجعلني أراه.

- والآن أصل إلى الأمر الغامض الثالث الذي حدث في تلك الليلة. لقد طلب السيد فارلي مني وأنا على وشك المغادرة أن أعطيه الرسالة التي تلقيتها منه، ونتيجة بعض الإهمال أعطيته رسالة من محل تنظيف ملابسني فنظر إليها ووضعها بجانبه، وقبل أن أغادر الغرفة عرفت الخطأ فصححته. بعدها غادرت المنزل، وأعترف بأنني كنت في بحر من الحيرة؛ فالأمر كله بدا لي غامضاً تماماً، وخاصة ذلك الحدث الأخير.

نظر إليهم واحداً واحداً وقال: ألم تفهموا الأمر؟

أجاب ستينغ فليت قائلاً: لا أفهم حقاً ما علاقة محل تنظيف ملابسك بالموضوع يا سيد بوارو.

- كان محل تنظيف ملابسني مهماً جداً؛ فصاحبة المحل، تلك المرأة البائسة التي أنلفت ياقات قمصاني، كانت ذات فائدة لشخص آخر لأول مرة في حياتها! لا بد أنكم فهمتم ما أعنيه، فالأمر واضح تماماً. لقد نظر السيد فارلي إلى تلك الرسالة، وكانت نظرة واحدة كفيلة بتبنيه إلى أنها الرسالة الخطأ، ومع ذلك لم يتبته. لماذا؟ لأنه لم يرها بشكل واضح!

قال المحقق بارنيت بحدة: ألم يكن يضع نظارته؟

ابتسم بوارو وقال: بلى، كان يضع نظارته. وهذا ما يجعل الأمر مثيراً تماماً.

ثم انحنى إلى الأمام وقال: لقد كان حلم السيد فارلي مهماً جداً؛ فقد حلم بأنه يتحرر كما تعلمون، وبعد فترة بسيطة أقدم على الانتحار فعلاً. أي أنه كان وحيداً في غرفته ووجد هناك ومسدسه إلى

جانبه، ولم يدخل أحدٌ إلى الغرفة أو يخرج منها في وقت إطلاق النار. ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن الأمر لا بد أن يكون انتحاراً، أليس كذلك؟

قال ستيلنج فليت: بلى.

ولكن هيركيول بوارو هز رأسه نافيةً ذلك وقال: على العكس؛ لقد كانت تلك جريمة قتل... جريمة غير عادية تم التخطيط لها بمتهى الذكاء!

انحنى ثانية إلى الأمام وهو يرتب على الطاولة وعيناه تشعان باللون الأخضر، وقال: لماذا لم يسمح لي السيد فارلي بالذهاب إلى غرفته الخاصة في تلك الليلة؟ وما هو ذلك الشيء هناك الذي ينبغي أن لا يُسمح لي برؤيته؟ أعتقد - يا أصدقائي - أن ذلك الشيء كان بينيدكت فارلي نفسه!

ابتسم أمام الوجوه المشدوهة، ومضى قائلاً: نعم، نعم؛ إن ما أقوله ليس كلاماً فارغاً. لماذا لم يستطع ذلك السيد فارلي الذي كنت أتحدث إليه أن يميز الفرق بين رسالتين مختلفتين تماماً؟ لأنه كان رجلاً ذا بصر طبيعي يضع نظارة قوية جداً يا أصدقائي، ومن شأن تلك النظارة أن تجعل من رجل طبيعي البصر شخصاً أعمى عملياً. أليس هذا صحيحاً يا دكتور؟

تمتم ستيلنج فليت: هذا صحيح، بالطبع.

- لماذا شعرت وأنا أكلم السيد فارلي بأنني أكلم مشعوذاً أو ممثلاً يقوم بدور؟ فلتفكروا قليلاً في خلفية المشهد: في الغرفة المعتمة، والضوء الأخضر المسلط بعيداً عن الشخص الجالس على

الكرسي وبشكل يعمي من يجلس أمامه. إن ما رأيته آنذاك كان مجرد الرداء المرقع المشهور، والأنف المعقوف (المزيف باستعمال تلك المادة المفيدة، معجون الأنوف)، وخصلة الشعر البيضاء، والنظارة القوية التي تحجب العين. ما هو الدليل على أن السيد فارلي قد رأى أي حلم؟ الدليل هو القصة التي رُويت لي وشهادة السيدة فارلي. ما هو الدليل على أن السيد فارلي كان يحتفظ بمسدس في مكتبه؟ الدليل الوحيد - مرة ثانية - هو القصة التي رُويت لي وشهادة السيدة فارلي... لقد قام شخصان بتنفيذ هذه الحيلة؛ السيدة فارلي وهوغو كورنورثي! كتب كورنورثي الرسالة لي، وأعطى تعليماته للنادل ثم خرج ظاهرياً إلى السينما، ولكنه عاد لدخول المنزل فوراً، وذهب إلى غرفته حيث تنكر ومثّل دور بينيدكت فارلي.

وهكذا نصل إلى بعد ظهر اليوم حين تهيأت الفرصة التي كان السيد كورنورثي ينتظرها؛ فقد كان هناك شاهدان في الفسحة يمكن أن يقسما بأن أحداً لم يدخل أو يخرج من غرفة بينيدكت فارلي. انتظر كورنورثي مرور دفعة كبيرة من الشاحنات والسيارات في الشارع ليستفيد من الضجيج الذي تتسبب به، ثم أطلّ من نافذة غرفته (المجاورة لغرفة السيد فارلي) ومدّ الملقط الطويل الذي اختلسه من الغرفة المجاورة ممسكاً بطرفه شيئاً ما وواضعاً ذلك الشيء مقابل نافذة تلك الغرفة، غرفة السيد فارلي. هذا الشيء لفت انتباه السيد فارلي، وحين تقدم من النافذة سحب كورنورثي الملقط إلى الخلف، وحينما أطلّ فارلي من النافذة - والشاحنات تهدر بضجيجها في الخارج - أطلق كورنورثي النار عليه من المسدس (الذي هو مسدس فارلي نفسه كما تعلمون، وقد اختلسه في وقت سابق). تذكروا أن هناك جداراً مصمتاً لا نوافذ فيه مقابل النافذتين، وبالتالي فلا شاهد

على الجريمة. وانتظر كورنورثي أكثر من نصف ساعة، ثم أخذ بعض الأوراق وأخفى وسطها الملقط والمسدس وخرج إلى الفسحة ومنها إلى الغرفة المجاورة، وهناك أعاد وضع الملقط على المكتب ووَضَعَ المسدس بجانب القتل بعد أن ضغط أصابعه عليه من أجل البصمات، ثم أسرع إلى الخارج حاملاً نياً «انتحار» السيد فارلي.

لقد خطط بهدف العثور على الرسالة التي أرسلها لي بين أوراق القتل لكي آتي هنا مع قصتي، القصة التي سمعتها من فم السيد فارلي مباشرة عن «حلمه» الغريب والشعور الغريب الذي كان يدفعه لقتل نفسه! كان من شأن بعض المغفلين أن يناقشوا نظرية التنويم المغنطيسي، ولكن النتيجة الرئيسية ستكون تثبيت حقيقة لن يشك فيها أحد، وهي أن اليد التي أمسكت بالمسدس وأطلقت منه الرصاصة كانت يد بينيدكت فارلي شخصياً.

ارتفع نظر بوارو إلى وجه الأرملة ولاحظ برضا ما ارتسم عليه من الرعب، ومن الشحوب الرمادي والخوف الشديد... ثم قال بلطف مختتماً حديثه: وفي غضون ذلك تتحقق النهاية السعيدة؛ ربع مليون جنيه وقلبان يخفقان كقلب واحد!

* * *

مشى الدكتور جون ستيلنج فليت وهيركيول بوارو بمحاذاة قصر نورثوي. كان الجدار الشامخ للمصنع عن يمينهما، وإلى يسارهما في أعلى المنزل كانت نافذتا غرفتي بينيدكت فارلي وهوغو كورنورثي. توقف بوارو والتقط من الأرض شيئاً صغيراً... قطة سوداء محنطة.

- هذه هي، هذا ما أمسكه كورنورثي بملقط الكسالى أمام

نافذة فارلي. ألا تتذكر أنه كان يكره القلط؟ كان طبيعياً أن يهرع إلى النافذة.

- إنني لأعجب: لماذا لم يخرج كورنورثي لأخذها وإخفائها بعد أن سقطت منه؟

- كيف يخرج؟ إن خروجه لأخذ القطة سيبعث على الشك حتماً. ثم ما الذي سيفكر فيه من يعثر على هذه القطة؟ أن طفلاً ما كان يتجول هنا ووقعت منه.

قال ستيلنج فليت متنهداً: نعم، على الأغلب هذا هو ما سيظنه الإنسان العادي. ولكن ذلك مما لا ينخدع به هيركيول بوارو! هل تعلم أنني ظننت -حتى اللحظة الأخيرة- بأنك ستقودنا إلى نظرية بارعة طنانة حول جريمة يتم «الإيحاء» بها نفسياً؟ وأراهن أن ذينك الشخصين ظننا ذلك أيضاً. يا لها من امرأة عنيفة السيدة فارلي تلك، يا إلهي كيف انهارت! ربما كان بوسع كورنورثي أن يقلت لو لم تتبها تلك الهستيريا وتحاول أن تغرز أظافرها في وجهك حين هجمت عليك... لقد كان تدخلي لردّها في وقته تماماً.

توقف لحظة ثم قال: لقد أعجبني الفتاة، فهي ذات شخصية قوية وذكاء بالغ. ولكن ألا تعتقد أن الجميع سيظنون أنني أسعى وراء ثروتها لو حاولت استمالتها؟

- لقد وصلت متأخراً جداً يا صديقي، فهناك شخص «على بساط البحث» وقد فتحت لها وفاة والدها الطريق إلى السعادة.

- ولكن لو فكرنا في الموضوع إجمالاً لوجدنا أن لديها هي ذاتها دافعاً قوياً لقتل والدها الكريه.

- إن الدافع والفرصة ليسا كافيين، إذ ينبغي توفر المزاج الإجرامي أيضاً.

- أتساءل إن كان بوسعك أن ترتكب جريمة يا بوارو، وأراهن أنك كنت ستفعلت منها بسهولة... بل إنها ستكون سهلة جداً بالنسبة لك، أعني أنك ستقوم بها بشكل تام.

عقب بوارو قائلاً: يا لها من فكرة إنكليزية تقليدية!

* * *

حماقة غرينشو

انعطف الرجلان عند زاوية السياج الشجري، وقال ريموند ويست: حسناً، لقد وصلنا؛ هذا هو المبنى.

سحب هوريس بيندler نفساً عميقاً منبهراً وصاح: ما أروع هذا!

ثم ارتفع صوته بابتهاج، وأصبح عميقاً برهبة التبجيل وهو يقول: إنه منظر لا يصدق، كأنه من خارج هذا العالم! إنه من أفضل الشواهد الأثرية.

أجاب ريموند ويست راضياً: لقد علمت أنه سيعجبك.

- يعجبني؟ يا عزيزي!

خانت هوريس كلماته ففكّ رباط كاميرته وقال وهو مشغول بها: ستكون هذه الصور من نفائس مجموعتي. إنني أؤمن بأن من الممتع للمرء أن يجمع الفظائع والشواذ، أليس كذلك؟ لقد خطرت لي هذه الفكرة قبل سبع سنوات في الحمام! وأخذت آخر تلك النفائس التي أجمعتها في كاميو سانتو في جنوة. ولكنني أعتقد فعلاً أن هذه تتفوق عليها. ما اسم هذا البيت؟

- لا أعرف.

- ولكنني أفترض أن له اسماً.

- لا بد أن له اسماً، ولكن الحقيقة هي أنه لا يُسمى في هذه المنطقة إلا باسم «حمافة غرينشو».

- وهل غرينشو هو الشخص الذي بناه؟

- نعم، في الستينيات أو السبعينيات من القرن التاسع عشر. كان غرينشو هو النموذج المحلي للنجاح في ذلك الحين، إذ كان صيباً حافياً ثم صار غنياً مترفاً. وتنقسم آراء أهل المنطقة هنا حول سبب بنائه هذا المنزل: هل كان تعبيراً محضاً عن وفرة المال والثروة أم أنه بناه ليعطي تأثيراً قوياً في نفوس دائنيه؟ وإذا كان قد بناه لهذا السبب الأخير فإنه لم يفلح في التأثير فيهم، فقد أفلس أو اقترب كثيراً من الإفلاس. ومن هنا أتى اسم «حمافة غرينشو»؛ فأنت تعلم أن الإنكليز يطلقون كلمة «حمافة» على أي بناء ضخّم كثير التكاليف، ولا سيما إذا عجز صاحبه عن إتمامه لضخامة تكاليفه، وكأنهم يعنون أن بناء شيء كهذا ليس إلا ضرباً من الحمافة.

التقط هوريس صورة وهو يقول بصوت ينبعث منه الرضا:

ذكري أن أريك الصورة رقم ثلاثمئة وعشرة في مجموعتي، إنها لإطار موقد رخامي رائع حقاً، على الطريقة الإيطالية.

ثم أضاف وهو ينظر إلى المنزل: لا أستطيع أن أفهم كيف فكر السيد غرينشو بهذا كله!

- يبدو الأمر واضحاً بطريقة ما؛ فقد زار قصر لوار، ألا تعتقد ذلك؟ انظر إلى تلك الأبراج. ثم إنه قد زار الشرق كما يبدو، فتأثير

«تاج محل» واضح تماماً. أنا يعجبني الجناح المغربي الإسلامي أكثر، وأيضاً آثار القصور في البندقية.

- يعجب المرء كيف استطاع العثور على مهندس ينفذ هذه الأفكار!

هز ريموند كتفيه بلا مبالاة وقال: لا صعوبة في ذلك كما أتوقع، فربما خرج المهندس من هذه العملية بدخل جيد ضمن له حياته، بينما أفلس العجوز المسكين غرينشو.

- هل يمكننا النظر إليه من الجانب الآخر أم أننا تجاوزنا ودخلنا حرمة؟

- لقد تجاوزنا ودخلنا منطقتة منذ فترة، ولكن لا أعتقد أن في ذلك ضيراً.

ثم التفت نحو زاوية المنزل وتبعه هوريس وهو يسأل: ولكن، من يقيم هنا يا عزيزي؟ أيتام أم زوّار رحلات؟ لا يمكن أن يكون هذا المنزل مدرسة، فليس له ساحات أو مرافق للأنشطة.

- آه، إن امرأة من سلالة غرينشو تقيم هنا. فالمنزل نفسه لم يفقده غرينشو عند إفلاسه، بل ورّثه لابنه الذي كان بخيلاً وعاش هنا في إحدى زوايا المنزل ولم يصرف بنساً واحداً، وربما لم يكن يملك بنساً يصرفه أصلاً. والآن تعيش ابنته هنا، وهي عجوز غريبة الأطوار.

كان ريموند يهتئ نفسه - وهو يتحدث - على تفكيره بحمافة غرينشو كوسيلة لتسليّة ضيفه؛ فهؤلاء النقاد الأدبيون يعلنون دائماً

كان ريموند ويست يتحدث بطلاقة كاتب مشهور يعرف مقدار شهرته ويعرف أنه يستطيع أن يجازف حيث لا يستطيع الآخرون.

نظرت الآنسة غرينشو إلى المنزل الضخم المرتفع خلفها وقالت باستحسان: إنه منزل رائع بناه جدي قبل أن أولد بالطبع، ويقال إنه أراد أن يُدهش به السكان المحليين.

عَلَّقَ هوريس بيندler قائلاً: لا شك أنه قد أدهشهم حقاً يا سيدتي.

قدّم ريموند ويست زميله إلى المرأة قائلاً: السيد بيندler ناقد أدبي مشهور.

لم تُبدِ السيدة غرينشو تأثراً كبيراً بذلك، فقد بدا واضحاً أنها لا تكن احتراماً للنقاد الأدبيين. أشارت إلى المنزل وقالت: إنني أعتبره صرحاً يمثل عبقرية جدي. يأتيني أحياناً بعض الحمقى السفهاء ويتساءلون: لماذا لا أبعه وأذهب للعيش في شقة؟ وما عساني أفعل في شقة؟ هذا هو بيتي وأنا أقيم فيه منذ أن ولدت.

ثم فكرت وهي تستغرق في الماضي: كنا ثلاث أخوات. تزوجت الأولى، لاورا، مساعد القس رغم معارضة والدي الذي حرّمها من المال قائلاً إن رجال الدين ينبغي أن لا يكونوا دنيويين، ثم ماتت وهي تلد ومات الطفل أيضاً. أما نيتي فقد هربت مع مدرب الفروسية، واستبعدها والدي من وصيته بالطبع. وكان زوجها هاري فليتشرجلاً وسيماً ولكنه كان سيئاً، ولم تكن نيتي سعيدة معه. وهي لم تعيش طويلاً على أي حال، لكنها خلّفت ابناً يرأسني أحياناً، وإن لم يكن من سلالة غرينشو بالطبع، فأنا آخر من تبقى من هذه السلالة.

عن اشتياقهم لقضاء عطلة ما في الريف، وعندما يذهبون إلى الريف يجدونه مملأً جداً. غداً سيجد ضيفه تسلية في قراءة صحف الأحد، أما بالنسبة إلى اليوم فقد قامت «حماقة غرينشو» بإغناء مجموعة صور الغرائب التي يمتلكها هوريس بيندler.

دار الاثنان حول زاوية المنزل ليجدا أمامهما مرجاً مهملاً وُضعت في إحدى زواياه كومة صخرية اصطناعية لتناسب النباتات الصخرية، وقد انحنت فوقها امرأة. وما إن رأى هوريس المرأة حتى أمسك فرحاً بذراع ريموند قائلاً بدهشة: عزيزي، هل ترى ما الذي ترتديه؟ ثوباً ملوناً بالزهور والأغصان، تماماً كخادومات المنازل (عندما كان للمنازل خادومات). إن واحدة من أقوى ما علق في ذهني من ذكريات هي ذكرى الإقامة في منزل في الريف عندما كنت صبياً، حيث تناديك خادمة حقيقية في الصباح وهي تروح وتجيء بثوبها المورّد وقبعتها... إنه يوم ممتع نقضيه هنا.

اعتدلت المرأة ذات الثوب المورّد ومضت نحوهما. كان منظرها باعثاً على الجفلة، إذ تدلّت خصلات شعنا من شعرها الرمادي على كتفيها، ووضعت فوق رأسها قبعة من القش كتلك التي توضع على رؤوس الخيل في إيطاليا، وقد تدلى الثوب المورد الذي تلبسه إلى كاحليها تقريباً. كان وجهها قد لوحته الشمس ولم يكن نظيفاً تماماً.

ألقت عينهاا الحادثان نظرة تقييم عليهما، فقال ريموند ويست وهو يتقدم نحوها: عليّ أن أعتذر عن تجاوز حرمة المنزل، ولكن السيد هوريس بيندler الذي يحل ضيفاً عليّ...

انحنى هوريس رافعاً قبعته بالتحية فيما أكمل زميله: إنه مهتم كثيراً بالتاريخ القديم وبالمباني الجميلة.

شدت قامتها بشيء من الفخر وعدّلت زاوية قبعة القش، ثم قالت بحدة وهي تلتفت: نعم يا سيدة كريسويل، ما الأمر؟

تقدمت من المنزل امرأة بدت - عند مقارنتها بالآنسة غرينشو - مختلفة عنها إلى حد يثير الضحك؛ فقد كان شعر السيدة كريسويل مصفّفاً بشكل بديع إلى الأعلى بانحناءات ولقّات رُتبت بدقة بالغة، كأنما هي تصفيفة مركيزة فرنسية ذاهبة إلى حفلة راقصة! أما جسمها فقد كان ملفوفاً بثوب من الحرير الأسود أو من الأنواع الأكثر بريقاً من الحرير الاصطناعي. وكان صوتها عندما تتكلم عميقاً إلى حد غير متوقّع، ولكنها كانت ذات بيان متقن لولا ذلك التردد الخفيف عند الكلمات التي تبدأ بحرف الهاء، ونطقها لتلك الكلمات بإخراج كمية مبالغ بها من الهواء مما يشير إلى أنها كانت تعاني من مشكلات في لفظ هذا الحرف في طفولتها البعيدة.

قالت السيدة كريسويل: السمكة يا سيدتي... إنها لم تصل بعد، وقد طلبت من ألفريد أن يذهب لإحضارها ولكنه رفض.

فقهقهت الآنسة غرينشو فجأة دون سابق إنذار وقالت: هل رفض حقاً؟

- لقد أصبح ألفريد مشاكساً تماماً يا سيدتي.

رفعت الآنسة غرينشو إصبعيها الملوّثين بالتراب إلى شفثيها وأطلقت فجأة صغيراً حاداً، ثم نادت: ألفريد، ألفريد، تعال إلى هنا.

ظهر عند زاوية المنزل جواباً على نداءها شاب يحمل مجرفة في يده. كان ذا وجه جريء وسيم، وكان يلقي مع تقدمه نظرة واضحة على السيدة كريسويل. سأل: هل طلبتني يا آنسة؟

- نعم يا ألفريد، سمعت أنك رفضت الذهاب لإحضار السمكة، فلماذا؟

أجاب ألفريد بصوت جاف: سأذهب لإحضارها إذا أردتها أنت يا آنسة، ما عليك إلا أن تقولي ذلك.

- إنني أريدها بالفعل، أريدها لعشائي.

- حسناً يا آنسة، سأذهب حالاً.

رمى السيدة كريسويل بنظرة متعالية، فصعد الدم إلى وجهها وتمتمت من بين أسنانها: حقاً إنه لأمر لا يُحتمل!

التفتت الآنسة غرينشو إليها وقالت: لقد تهيأ الآن لي وأن أفكر في ذلك الأمر... إن زائرني غريبين هما كل ما نحتاجه، أليس كذلك يا سيدة كريسويل؟

بدت السيدة كريسويل حائرة وتساءلت: عفواً يا سيدتي، لم أفهم.

قالت الآنسة غرينشو: بخصوص ذلك الأمر.

ثم أحنّت رأسها وتوجهت بكلامها إلى ريموند ويست قائلة: المستفيد من الوصية ينبغي أن لا يشهد عليها. أليس هذا صحيحاً؟

قال ريموند ويست: هذا صحيح تماماً.

- أنا أعرف من القانون ما يجعلني أعلم هذه القاعدة، وأنتما رجلان بارزان. هل تسمحان بالذهاب معي إلى المكتبة؟

أجابها هوريس بلهفة: بكل سرور.

قادتكما تحت نوافذ فرنسية الطراز وعبر غرفة جلوس ضخمة

- مدبرة منزلك؟

- نعم، وقد أوضحت لها ذلك. كتبت وصية تمنحها كل ما أملك مقابل عدم دفع أية أجور لها. إن هذا يوفر عليّ كثيراً من المصاريف الجارية ويبقي على كفاءة عملها، ولا يجعلها ترحل في أي وقت أو تنذرني بالرحيل. إنها من النوع المتأنق المتحذلق، أليس كذلك؟ ولكن والدها كان سمكياً متواضعاً وليس فيها ما يدفع إلى كل هذه الكبرياء.

كانت قد فتحت مخطوطة الوصية ثم أخذت قلماً وغمسته في المحبرة ووضعت توقيعها: كاثرين دوروثي غرينشو. ثم قالت: حسناً، لقد رأيتماني أوقعها، وقعا إذن عليها أنتما الاثنين، وبذلك تصبح قانونية.

ناولت القلم لريموند ويست الذي تردد لحظة بسبب شعور غير متوقّع راوده بكره ما طُلب منه فعله، ولكنه خطّ بسرعة توقيعته الشهير الذي تطلبه يومياً ست رسائل تصل بريده كل صباح على الأقل.

أخذ هوريس القلم منه وأضاف توقيعته الصغير، فقالت الأنسة غرينشو: لقد انتهينا.

مضت إلى المكتبة ووقفت تنظر حائرة إلى الكتب، ثم فتحت باباً زجاجياً صغيراً وأخرجت كتاباً وضعت فيه المخطوطة المطوية قائلة: عندي أماكني الخاصة لحفظ الأشياء.

لاحظ ريموند ويست بسرعة عنوان الكتاب وهي تعيده إلى مكانه فقرأه بصوت عال: «سر الليدي أودلي».

غطى جدرانها ورقّ أصفر باهت ووُضعت على أرائها أغطية لحجب الغبار، ثم عبرت بهما صالة ضخمة ضعيفة الإضاءة وصعدت درجاً، ثم دخلت إلى غرفة في الطابق الأول وأعلنت: مكتبة جدي.

أجال هوريس بصره بسرور كبير في أرجاء الغرفة، فقد كانت بالنسبة له غرفة مليئة بالغرائب التي يهواها. ظهرت رؤوس كائنات خرافية منحوتة على قطع الأثاث، وكان هناك تماثيل برونزي يمثل بول وفيرجينى، وساعة برونزية ضخمة عليها نقش فني باسم صانعها وتاريخ صنعها. وقد رغب هوريس في تصوير تلك الساعة.

قالت الأنسة غرينشو: إنها مجموعة ضخمة من الكتب.

كان ريموند قد انشغل بالنظر إلى الكتب، وقد استطاع أن يدرك بنظرة سريعة أنه لم يكن بين تلك الكتب أي كتاب ذي أهمية حقيقية، أو أي كتاب يظهر منه أنه قد قرئ في يوم ما. كانت الكتب كلها في شكل مجموعات للأعمال الكلاسيكية مجلدة بشكل فاخر كما كانت تُجلد قبل تسعين عاماً بغرض ملء مكتبة شخص ما، وقد ضمت المجموعة روايات لعهود سلفت يظهر عليها أيضاً أنها لم تقرأ.

بحثت الأنسة غرينشو في أدراج المكتب الضخم، ثم أخرجت أخيراً وثيقة مخطوطة وقالت موضحة: إنها وصيتي، إذ لا بد للمرأة من أن يترك ممتلكاته لأحد ما، أو هكذا يقولون. وأعتقد أنني لو مت دون وصية فإن أملاكى ستؤول إلى ابن ذلك الخبيث سمسار الخيول هاري فليشر. إنه رجل وسيم وغد بكل معنى الكلمة، ولا أرى سبباً يجعلني أترك هذا البيت لابنه.

ثم مضت قائلة وكأنها تجيب على اعتراض ضمني: لقد حزمت أمري وقررت ترك المنزل للسيدة كريسويل.

قهقهت الأنسة غرينشو مرة أخرى وعلقت على الكتاب بقولها:
لقد حقق أعلى المبيعات في أوانه، وليس مثل كتبك.

قالت ذلك ووكزته في صدره بمودة. ولقد دُهش ريموند لمجرد معرفتها بأنه يؤلف كتباً، فرغم أنه كان اسماً مميزاً في عالم الأدب إلا أنه لم يكن بوسعه أن يعتبر نفسه كاتباً ممن يحققون أعلى المبيعات.

سأل هوريس بلهفة قائلاً: أتساءل إن كان بوسعي أن ألتقط صورة للساعة!

- بالطبع. لقد اشتريت من أحد المعارض التي عُقدت في باريس كما أظن.

قال: "نعم، إنها تبدو كذلك"، والتقط صورة لها.

- لم تستعمل هذه الغرفة منذ أيام جدي، وهذا المكتب مليء بمذكراته القديمة. أظنها مذكرات مثيرة ولكن نظري لا يساعدني على قراءتها بنفسي. أريد أن أنشر تلك المذكرات ولكنني أظنها بحاجة إلى الكثير من العمل والتحرير.

- يمكنك أن تكلفي أحداً للقيام بذلك.

- أهذا ممكن فعلاً؟ إنها فكرة جيدة، سأفكر في الأمر.

نظر ريموند ويست إلى ساعته وقال: علينا أن لا نستغل لطفك أكثر من ذلك.

أجابته الأنسة غرينشو بلطف قائلة: لقد سعدت برويتكما، وقد حسبتكما في البداية شرطيين عندما سمعتكما تتقدمان من خلف زاوية البيت.

سألها هوريس الذي لا يهمه إلقاء الأسئلة: ولماذا الشرطة؟

أجابت الأنسة غرينشو بشكل غير متوقع قائلة وهي تترنم: «إذا أردت أن تعرف الوقت فاسأل شرطياً»...

ويمثل هذه الروح الفكتورية الساخرة وكزت هوريس بين أضلاعه وهدرت ضاحكة.

* * *

تنهد هوريس لدى عودتهما إلى البيت وقال: لقد قضينا وقتاً رائعاً. ذلك المكان فيه كل شيء في الواقع، أما المكتبة فالشيء الوحيد الذي تفتقده هو وجود جثة! إنها تذكرني بالقصص البوليسية القديمة حول الجريمة في المكتبة، وأنا واثق من أن كتاب تلك القصص كانوا يفكرون في مكتبة كالتي رأيناها اليوم!

- إن أردت الحديث عن جرائم القتل فعليك أن تتحدث مع عمتي جين.

- عمته جين؟ هل تعني الأنسة ماربل؟!

شعر هوريس بالحيرة قليلاً؛ فتلك العجوز الرائعة التي تعزف بها في الليلة الماضية بدت آخر إنسان يمكن ذكر اسمه مرتبطاً بجرائم القتل. لكن ريموند أكد له ذلك بقوله: آه، نعم؛ إن جرائم القتل اختصاصها.

- ولكن هذا مثير جداً يا عزيزي. ما الذي تعنيه حقاً؟

- أعني ما قلته. البعض يرتكبون الجرائم، والبعض الآخر

يشغلون أنفسهم بالجرائم، والبعض تفرض الجرائم نفسها عليهم.
وعمتي جين من هذا الصنف الثالث.

- لا بد أنك تمزح.

- أبدأ؛ يمكنني أن أحيلك إلى المفوض السابق لشرطة
اسكتلنديارد وإلى بضعة ضباط شرطة وبعض المحققين الأكفاء في
إدارة المباحث الجنائية لتأكد بنفسك.

قال هوريس: إن العجائب لا تنقضي!

* * *

على مائدة الشاي قام الاثنان بإعطاء جوان ويست زوجة
ريموند، وابنة أختها لويزا أوكسلي، والأنسة ماربل العجوز، ملخصاً
عن أحداث ذلك اليوم، وأعادوا بالتفصيل رواية كل شيء قالته لهما
الأنسة غرينشو.

قال هوريس بعد ذلك: ولكنني أحس بتشاؤم غامض تجاه هذا
الأمر. تلك المخلوقة التي تشبه الدوقة، مديرة المنزل... هل يمكن
مثلاً أن تضع الزرنيخ في إبريق شاي سيدتها؟ ولا سيما الآن بعدما
أدركت أن سيدتها قد صاغت وصيتها لصالحها؟

- أخبرينا يا عمتي جين، هل ستقع هناك جريمة قتل أم لا؟
ماذا ترين أنت؟

كانت الأنسة ماربل تشتغل بيديها بالغزل بالصوف، وفي تلك
اللحظة قطعت غَزْلَهَا بطريقة عصبية نوعاً ما وقالت: لا يجدر بكم أن
تمزحوا في مثل هذه الأمور كما تفعلون الآن يا ريموند. إن الزرنيخ

احتمال وارد بالطبع إذ يسهل الحصول عليه، وربما كان موجوداً أصلاً
ضمن الأدوات الزراعية في البيت في شكل مييد للنباتات الضارة.

قالت جوان بحنان: آه، حقاً يا عزيزتي؟ ولكن ألن يكون
وجوده هناك واضح الهدف؟

ريموند: من الجيد للمرء أن يكتب وصيته، ولكني لا أعتقد أن
لدى العجوز المسكينة ما توّزته باستثناء ذلك البيت الفظيع الضخم،
فَمَن الذي يريدُه؟

هوريس: شركة إنتاج سينمائي مثلاً، أو فندق، أو معهد.

ريموند: سيتوقعون شراءه مقابل أغنية!

ولكن الأنسة ماربل هزت رأسها بعدم الموافقة وقالت: أتدري
يا عزيزي ريموند؟ لا أوافقك الرأي فيما ذهبت إليه بخصوص المال.
لقد كان الجد -كما هو واضح- واحداً من أولئك الذين ينفقون بلا
حساب، أولئك الذين يكسبون المال بسهولة ولكنهم لا يحتفظون به.
وربما كان قد أفلس كما تقول، ولكنه لم يفلس تماماً، وإلا لما كان
قد خَلَفَ البيت لابنه. أما الابن فقد كان -كما يحدث غالباً- على
النقيض تماماً من أبيه، بخيلاً يوفر كل بنس، وأعتقد أنه استطاع أن
يدّخر مبلغاً محترماً من المال خلال سنوات عمره. ويبدو أن الأنسة
غرينشو هذه قد أخذت عن أبيها كرهه صرف الأموال. أعتقد أن هناك
احتمالاً كبيراً في امتلاكها لثروة عظيمة مخبأة.

قالت جوان: في هذه الحالة أنساءل الآن، ماذا عن مشروع

لويزا؟

عاد هوريس بيندler إلى لندن دون جمع المزيد من الغرائب، فيما كتب ريموند ويست رسالة إلى الأنسة غرينشو يخبرها فيها بأنه يعرف سيدة اسمها لويزا أوكسلي تستطيع تولي العمل في المذكرات. وبعد بضعة أيام وصلت رسالة مكتوبة بخط عنكبوتي ضخيم أعلنت فيها الأنسة غرينشو أنها تتوق إلى الاستفادة من خدمات السيدة أوكسلي، وحددت فيها موعداً لمقابلتها. وقد ذهبت لويزا إلى الموعد، وتم الاتفاق على شروط عمل جيدة، ثم بدأت عملها في اليوم التالي.

قالت لويزا مخاطبة ريموند: أنا ممتنة لك جداً؛ سيكون العمل مناسباً تماماً لي، إذ أستطيع أخذ الطفلين إلى المدرسة ثم الذهاب إلى «حماقة غرينشو»، ثم أعود لأخذهما في طريق عودتي. كم هو خيالي ذلك المكان! لا يمكنك تصديق وجود مثل تلك العجوز حتى تراها بالفعل.

وفي مساء يومها الأول في العمل عادت لتصف يومها: لم أَرِ مديرة المنزل إلا قليلاً، فقد أحضرت لي القهوة في الحادية عشرة والنصف بقم مزوم، وكانت نادراً ما تكلمني، بل أظن أنها تعارض توظيفي بشدة. كما يبدو أن بينها وبين البستاني ألفريد عداء مستفحلاً، وهو صبي من السكان المحليين كسول تماماً كما أتصور، وهو ومديرة المنزل لا يتحادثان. وقد قالت الأنسة غرينشو بأسلوبها الفخم تعليقاً على العداوة بينهما: لقد نشأت دوماً عداوات - كما أذكر - بين المسؤولين عن الحدائق وبين خدم المنزل. كان الأمر كذلك في أيام جدي، حيث كان هناك ثلاثة رجال وصبي في الحديقة

نظر الجميع إلى لويزا وهي جالسة صامته قرب المدفأة. كانت لويزا ابنة أخت جوان، وكان زواجها قد «قَرَطَ حديثاً» كما يحلو لها أن تقول، تاركاً إياها مع طفلين صغيرين ومال لا يكفي لتربيتهما.

جوان: أعني إذا كانت الأنسة غرينشو هذه تريد حقاً شخصاً لتدقيق المذكرات وتهيتها للنشر...

ريموند: إنها فكرة جيدة.

لويزا: هذا عمل أستطيع تأديته، وأظنني سأحبه.

ريموند: سأكتب لها بذلك.

الأنسة ماربل: إنني أتساءل، ما الذي عنته العجوز بتلك الملاحظة عن الشرطي؟

ريموند: كانت تلك مجرد مزحة.

الأنسة ماربل: إنها تذكرني بالسيد نايسميث.

ريموند: ومن هو السيد نايسميث؟

الأنسة ماربل: كان مرتباً للنحل، وكان بارعاً في صياغة لعبة الكلمات المترادفة في صحف يوم الأحد، وكان يحب إعطاء انطباعات زائفة للقراء لمجرد المتعة، ولكن ذلك أدى إلى بعض المتاعب.

صمت الجميع للحظة وهم يفكرون في السيد نايسميث، ولكن بما أنه لم تبد لهم أية نقاط تشابه بينه وبين الأنسة غرينشو فقد ظنوا بأن العمدة العزيزة جين ربما بدأت تفقد قليلاً من ترابط أفكارها في شيخوختها.

وفي المنزل سبع خادמות، وكان الاحتكاك بين الطرفين دائماً.

في اليوم التالي عادت لويزا بنياً جديداً آخر: تخيلوا، لقد طُلب مني أن أتصل بابن الأخت هذا الصباح!

- ابن أخت الأنسة غرينشو؟

- نعم، وهو ممثل يشارك في فرقة نقدم عروضها الموسمية في مدينة بورهام أونسي. لقد اتصلتُ بالمسرح وتركت له رسالة تطلب منه الحضور للغداء غداً، والأنسة العجوز لم ترغب في إخبار مديرة المنزل بالأمر، وأظن أن السيدة كريسويل قد قامت بأمر أزعج سيدتها.

ريموند: غداً نشهد حلقة أخرى من هذا المسلسل المثير.

الآنسة ماربل: إنه مثل المسلسل تماماً، أليس كذلك؟ المصالحة مع ابن الأخت، حيث إن الدم لا يصير ماء... ثم تكتب وصية أخرى وتلف الوصية القديمة.

ريموند: يا عمّة جين، تبدين جادة تماماً فيما تقولين!

الآنسة ماربل: هل أبدو كذلك يا عزيزي؟ هل سمعت -يا لويزا- شيئاً جديداً بشأن الشرطي؟

لويزا: لا أعرف شيئاً عن أي شرطي.

الآنسة ماربل: لا بد أن ملاحظتها تلك قد عنت شيئاً يا عزيزتي.

وصلت لويزا إلى عملها في اليوم التالي بمزاج مبتهج، وعبرت الباب الأمامي المفتوح حيث كانت أبواب المنزل ونوافذه مفتوحة

دائماً، فالآنسة غرينشو لم تكن تخاف من اللصوص كما يبدو، وربما كان لذلك ما يبرره لأن أغلب الأشياء في المنزل تزن عدة أطنان وليست لها قيمة فعلية في السوق.

مرت بالفريد في الممر المؤدي إلى المنزل، وكان يتكئ على شجرة ويدخن لفافة، وما إن رآها حتى أمسك بمكنسة وبدأ يكنس أوراق الشجر باجتهاد. فكرت في أنه شاب كسول ولكنه وسيم، وقد ذكرتُها ملامحه بشخص ما. وفيما كانت تمر عبر الصالة في طريقها إلى الدرج المؤدي إلى المكتبة ألقّت نظرة على الصورة الضخمة لنانائيل غرينشو التي تستقر فوق الموقد، والتي تُظهره في ذروة ازدهاره الفكتوري جالساً وقد أسند ظهره على كرسي ذي ذراعين، ويداه تستقران على السلسلة الذهبية لساعته الممتدة على بطنه الواسع. ثم ارتفعت بنظرها من البطن إلى الوجه بخديه الضخمين وحاجبيه الكئيين وشاربه الأسود الكبير، وعندها خطرت لها فكرة أن نانائيل غرينشو كان وسيماً في شبابه. وقد بدا لها أنه ربما كان في شبابه يشبه ألفريد إلى حد ما.

ذهبت إلى المكتبة وأغلقت الباب خلفها، وفتحت آلة الطباعة وأخرجت المذكرات من درج في جانب المكتب. ثم لمحت من النافذة المفتوحة الآنسة غرينشو بثوبها المورّد ذي اللون الأحمر الداكن تنحني فوق الكومة الصخرية الاصطناعية التي كانت بحاجة إلى تعشيب، وبدأت عملها.

عندما دخلت السيدة كريسويل إلى المكتبة وهي تحمل صينية القهوة في الحادية عشرة والنصف كان واضحاً أنها في مزاج سيء تماماً، فقد خبطت الصينية على الطاولة وقالت بصوت عال: ضيوف

على الغداء ولا يوجد شيء في البيت! ماذا عساي أفعل، أريد أن أعرف؟ ولا أئر لألفريد أيضاً.

- لقد كان يكنس الممر عندما جئت إلى هنا.

- يا له من عمل رائع!

قالت السيدة كريسويل ذلك وخرجت من الغرفة صافقة الباب خلفها. ابتسمت لويزا مع نفسها وتساءلت كيف سيكون حال ابن الأخت، ثم أنهت شرب قهوتها وعادت إلى عملها ثانية. وكان عملها يشغلها إلى الحد الذي يمضي معه الوقت بسرعة دون أن تحس به، ويبدو أن نانائيل غرينشو قد استسلم لمتعة الصراحة حين شرع في كتابة مذكراته، ولذلك فقد فكرت لويزا وهي تحاول إعداد صفحة من صفحات تلك المذكرات بأن من الضروري التدخل بالكثير من التحرير وإعادة الصياغة.

وبينما كانت تفكر في ذلك جفلت بسبب صرخة صدرت من الحديقة، فقفزت وهرعت إلى النافذة المفتوحة. كانت الأنسة غرينشو تترنح قادمة من جهة الكومة الصخرية باتجاه المنزل ويدها مضمومتان إلى صدرها، وبينهما نتأت قصبه ذات ريش أدركت لويزا بذهول أنها قصبه سهم.

سقط رأس الأنسة غرينشو على صدرها مع قبعة القش البالية وصاحت بلويزا بصوت تخونه القوة: لقد رُميت... رماني... بسهم... اطلبوا النجدة.

هرعت إلى الباب وأدارت المقبض ولكن الباب لم يفتح، وأدركت بعد لحظات من المحاولات غير المجدية أن الباب قد أقفل

عليها، فاندفعت ثانية إلى النافذة وصاحت: لقد أقفل علي الباب.

أدارت الأنسة غرينشو ظهرها للويزا وهي تترنح على قدميها وبدأت بمناداة مديرة المنزل من النافذة الأخرى البعيدة: اتصلني بالشرطة... الهاتف.

ثم اختفت عن عيني لويزا وهي تتمايل من جانب إلى آخر كالمخمور لثمضي من تحت النافذة باتجاه غرفة الاستقبال، وبعد قليل سمعت لويزا صوت انكسار أوانٍ صينية، ثم سمعت صوت سقطة قوية وساد بعدها الصمت. أعاد خيالها تركيب المشهد، فلا بد أن الأنسة غرينشو قد دفعت -في أثناء ترنحها- طاولة صغيرة وضع عليها طقم أواني الشاي.

ضربت لويزا الباب بيأس وهي تصيح وتصرخ، فلم يكن ثمة نبات متسلق أو أنبوب خارج النافذة يساعدها في الخروج من خلالها. ثم عادت إلى النافذة وقد أتعبها ضرب الباب، وأطلت خارج النافذة برأسها فرأت رأس مديرة المنزل يطلّ من نافذة غرفة الجلوس. نادتها مديرة المنزل قائلة: تعالي وأخرجيني يا سيدة أوكسلي، فقد أقفل علي الباب.

- وأنا أيضاً!

- آه، هذا فظيع! لقد اتصلت بالشرطة، إذ يوجد في هذه الغرفة خط هاتفي، ولكن ما لا أفهمه هو إقفال الباب علينا. أنا لم أسمع صوت دوران المفتاح، هل سمعته أنت؟

- لا، لم أسمع شيئاً أبداً. آه، المسكينة! ماذا سنفعل؟ ربما نسمعنا ألفريد.

نادت لويزا بملء صوتها: ألفريد، ألفريد!

- لا بد أنه ذهب إلى الغداء، كم الساعة الآن؟

نظرت لويزا إلى ساعتها وصاحت: الثانية عشرة وخمس وعشرون دقيقة.

- يُفترض أن لا يذهب حتى الثانية عشرة والنصف، ولكنه ينسلّ قبل ذلك كلما سنحت له الفرصة.

- هل تظنين... هل تظنين...

أرادت لويزا أن تسأل: "هل تظنين أنها ماتت؟"، ولكن الكلمات علفت في حنجرتها.

لم يكن هناك ما يمكن فعله سوى الانتظار، فجلست على عتبة النافذة، وبدا لها أن دهرأ قد مضى قبل أن تظهر قرب زاوية المنزل هيئة الشرطي المتبلّدة. أطلت لويزا من النافذة ونظر الشرطي إليها وهو يظلل عينيه بكفّه، وعندما تكلم ظهر التأنيب في صوته إذ سأل بامتعاض: ما الذي يجري هنا؟

أمطرت لويزا والسيدة كريسويل الشرطي بوابل من المعلومات المنفصلة من نافذتيهما، فأخرج الشرطي دفتر ملاحظات وقلماً وهو يقول: كيف سعدتما وأفقلتما على نفسيكما؟ هل لي باسميكما لو سمحتما؟

- لا، شخص آخر أفضّل الباب علينا. تعال وأخرجنا.

قال الشرطي مؤنباً: كل شيء في وقته.

واختفى تحت النافذة.

مرة أخرى بدا الوقت دهرأ يمرّ، ثم سمعت لويزا صوت سيارة تصل. وبعدها، بعد ثلاث دقائق حسبتها ساعة أطلق رقيب شرطة أكثر يقظة من الأول سراح السيدة كريسويل أولاً ثم سراحها.

قالت لويزا بصوت متلعثم: الأنسة غرينشو؟ ماذا... ماذا حدث؟

تنحى الرقيب وقال: أنا آسف لإبلاغك يا سيدتي بما أبلغته توأ للسيدة كريسويل هنا. لقد ماتت الأنسة غرينشو.

صاحت السيدة كريسويل قائلة: بل قُتلت، هذه هي الحقيقة، جريمة قتل!

قال الرقيب مشككاً: ربما كان ذلك حادثاً، فبعض شبان الريف يرمون بالقوس والنشاب.

ثم سمعوا صوت سيارة تصل فقال الرقيب: لا بد أنه الطبيب.

وبدأ بنزول الدرج. ولكنه لم يكن الطبيب، ف فيما كانت لويزا والسيدة كريسويل تنزلان الدرج دخل شاب متردداً من الباب الأمامي ووقف ينظر حوله بشيء من الحيرة، ثم تكلم بصوت عذب بدا مألوفاً للويزا، إذ لعله كان يشبه قليلاً صوت الأنسة غرينشو. تساءل الشاب: المعذرة، هل... هل تسكن الأنسة غرينشو هنا؟

تقدم منه الرقيب وقال: هل لي أن أعرف اسمك إذا سمحت؟

أجاب الشاب: فليشر، نات فليشر. أنا ابن أخت الأنسة غرينشو في الواقع.

- حقاً يا سيدي؟ حسناً، أنا آسف جداً، إنني متأكد...

قاطعته نات فليتشر قائلاً: هل حدث شيء؟

- لقد وقع حادث، وأصيبت خالتك بسهم اخترق وريدها الوداجي.

أخذت السيدة كريسويل تتكلم بهستيرية تاركة تهذيها المعتاد: لقد قُتلت خالتك، هذا ما حدث، لقد قُتلت خالتك.

- ٣ -

سحب المفتش ويلش كرسيه مقرباً من الطاولة، وجعل يقلب نظره في الأشخاص الأربعة الجالسين أمامه في الغرفة. كان ذلك في مساء اليوم نفسه، وقد مر المفتش ببيت السيد ويست ليعيد الاستماع إلى شهادة لويزا أوكسلي.

قال المفتش: هل أنت متأكدة من أنها الكلمات نفسها: «لقد رُميت، رماني بسهم، اطلبوا النجدة»؟

هزت لويزا رأسها بالإيجاب.

- وهل أنت متأكدة من الوقت أيضاً؟

- لقد نظرت إلى ساعتني بعد دقيقة أو دقيقتين، وكانت تشير إلى الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة.

- وهل ساعتك دقيقة؟

- لقد نظرت إلى الساعة الجدارية أيضاً.

التفت المفتش إلى ريموند ويست وقال: يبدو - يا سيدي - أنك كنت والسيد هوريس بيندler شاهدين قبل أسبوع على وصية الأنسة غرينشو؟

أعاد ريموند سرد وقائع تلك الزيارة التي قام بها إلى «حمافة غرينشو» برفقة هوريس بيندler باختصار، فعلق ويلش قائلاً: قد تكون إفادتك هذه مهمة. هل أخبرتك الأنسة غرينشو تحديداً بأن وصيتها قد كُتبت لمصلحة السيدة كريسويل مديرة المنزل، وأنها لم تكن تدفع لها أجوراً مقابل ما كانت السيدة كريسويل ستكسبه عند موتها؟

- هذا ما قالته لي، نعم.

- هل ترى أن السيدة كريسويل كانت على علم بهذه الحقيقة بشكل أكيد؟

- بلا شك؛ فقد أشارت الأنسة غرينشو بحضوري إلى أن المستفيدين من الوصية لا يحق لهم أن يكونوا شهداء عليها. وقد فهمت السيدة كريسويل ما عنته الأنسة غرينشو بوضوح، كما أن الأنسة غرينشو أخبرتني أنها توصلت إلى هذا الترتيب مع السيدة كريسويل.

- إذن فإن لدى السيدة كريسويل سبباً يدفعها إلى الاعتقاد بأنها طرف مستفيد؛ أي أن الدافع واضح في حالتها، ويمكنني القول إنها ستكون المشتبه الرئيسي لدينا الآن لولا حقيقة أنها كانت محجوزة في غرفتها كالسيدة أوكسلي، وأن الأنسة غرينشو قالت تحديداً بأن رجلاً هو الذي رماها.

- لقد كانت محجوزة في غرفتها بالتأكيد.

- نعم، لقد أخرجها الرقيب كايلي، وقد كان قفل الغرفة قفلاً

ضحكاً قديماً الطراز ذا مفتاح ضخم قديم الطراز أيضاً، وكان المفتاح في القفل من الخارج، ولا يمكن أبداً أن يكون قد وُضع فيه من داخل الغرفة أو غير ذلك من احتمالات الاحتيال والخفة. ولذلك سنعتبر أن السيدة كريسيول كانت حتماً محجوزة داخل تلك الغرفة ولم تستطع الخروج. ولم يكن في الغرفة قوس أو نشاب، بالإضافة إلى أن الأنسة غرينشو لم تكن لتُصاب من الغرفة تحت أية ظروف، فزاوية الرمي تنفي ذلك. نعم، إن السيدة كريسيول بعيدة عن الشبهات.

توقف المفتش قليلاً ثم مضى قائلاً: هل تظنون أن الأنسة غرينشو كانت مولعة بالمقابل أو بالمزاح الثقيل؟

نظرت الأنسة ماربل بحدة من الزاوية التي تجلس فيها وقالت: إذن لم تكن الوصية لصالح السيدة كريسيول في نهاية المطاف؟

نظر المفتش ويلش إليها بطريقة تغلب عليها الدهشة وقال: هذا تخمين ذكي جداً منك يا سيدتي. نعم، لم يرد اسم السيدة كريسيول كمستفيدة من الوصية.

قالت الأنسة ماربل وهي تهزّ رأسها: تماماً كما كان يفعل السيد نايسميث الذي حدّثكم عنه. لقد أخبرت الأنسة غرينشو السيدة كريسيول بأنها ستخلف لها كل شيء، وهكذا تخلصت من دفع أجورها، ثم تركت أموالها لشخص آخر. لا شك أنها كانت مستمتعة جداً بما تفعله وأنها كانت تتهلل فرحاً وهي تضع الوصية في كتاب «سر الليدي أودلي».

- من حسن الحظ أن السيدة أوكسلي نجحت في إرشادنا إلى مكان إخفاء الوصية، وإلا لكان أعبانا البحث عنها.

علق ريموند متمتماً: إنها روح الدعابة الفكثورية.

وقالت لويزا: إذن فقد تركت أموالها لابن أختها؟

هزّ المفتش رأسه بالنفي وقال: لا، لم تترك أموالها للسيد نات. ثمة إشاعة تدور هنا، ولكنني أحب أن أشير - قبل ذلك - إلى أنني حديث عهد بالمنطقة ولم أسمع الإشاعة إلا من مصادر جانبية. الظاهر أن الأنسة غرينشو وأختها قد أغرمتا كلتاها في تلك الأيام الغابرة بمدرب الفروسية الشاب الوسيم، ولكن الأخت هي التي فازت به... لا، لم تترك الأنسة غرينشو المال لابن أختها.

توقف قليلاً وهو يحك ذقنه ثم أضاف: لقد تركته لألفريد.

صاحت جوان بصوت أذهلته المفاجأة: ألفريد البستاني؟

- نعم يا سيدي وست، ألفريد بولوك.

- ولكن لماذا؟

سعلت الأنسة ماربل وتمتمت قائلة: أتخيل... وربما كنت مخطئة، أنه ربما كانت هناك أسباب عائلية كما يمكن تسميتها.

أجابها المفتش موافقاً: يمكنك أن تسميها كذلك على نحو ما. يبدو أنه من المعروف تماماً في القرية أن توماس بولوك، جد ألفريد، كان ابناً غير شرعي للسيد غرينشو العجوز.

صاحت لويزا قائلة: بالطبع... التشابه بينهما! لقد رأيت صباح اليوم.

وتذكرت كيف مرت بألفريد ودخلت المنزل وهي تنظر إلى صورة غرينشو.

قالت الأنسة ماربل: يمكنني أن أفكر بالسبب. لعلها فكرت بأن ألفريد بولوك يمكنه أن يحس بالفخر بامتلاك المنزل وربما رغب في الإقامة فيه، أما ابن أختها فلن يجد له أية فائدة في المنزل بالتأكيد، وسوف يبيعه بأسرع ما يستطيع. إنه ممثل، أليس كذلك؟ ما هي المسرحية التي يمثلها في الوقت الحاضر؟

قال المفتش لنفسه: "لا بد للعجائز أن يخرجن عن الموضوع"، ولكنه أجابها بأدب: أظن -يا سيدتي- أنهم يمثلون في هذا الموسم مسرحيات جيمس باري.

قالت الأنسة ماربل وهي تفكر: باري؟

أجابها المفتش ويلش قائلاً: مسرحية «ما تعرفه كل امرأة».

ثم احمرّ وجهه خجلاً وسارع إلى القول: هذا هو اسم المسرحية. لست شخصياً من رواد المسرح، ولكن زوجتي شاهدت تلك المسرحية في الأسبوع الماضي وقالت إنها مسرحية قوية الحكمة.

علقت الأنسة ماربل قائلة: لقد كتب باري بعض المسرحيات الرائعة جداً، مع أنني عندما ذهبت مع صديقي الجنرال إيسترلي لحضور مسرحية «ماري الصغيرة» لم يعرف أي منا أين ينظر من شدة الخجل.

بدا المفتش الذي لم يسمع من قبل بمسرحية «ماري الصغيرة» حائراً تماماً من كلامها، فيما كانت الأنسة ماربل تتحدث عن مسرحيات باري الأخرى: كانت مسرحية «كريتشون الرائع» ذكية تماماً، كما كانت مسرحية «ماري روز» ساحرة أيضاً، وأذكر أنني بكيت فيها. أما مسرحية «شارع النخبة» فلم أحفل بها كثيراً. وهناك أيضاً مسرحية «قبلة لسندريلاً»... آه، بالطبع!

لم يكن لدى المفتش من الوقت ما يضيئه في الأحاديث المسرحية، ولذلك فقد عاد إلى المشكلة المطروحة قائلاً: السؤال هو: هل كان ألفريد بولوك على علم بأن العجوز قد وضعت وصية لصالحه؟ هل أخبرته بذلك؟ وهل تعلمون أن في بورهام لوفيل القرية نادياً لرماية السهام وأن ألفريد بولوك عضو فيه؟ وهو رام ممتاز بالقوس والنشاب.

تساءل ريموند قائلاً: أليست قضية واضحة تماماً إذن؟ وهذا ينسجم مع حقيقة إقفال الباب على المرأتين، فقد كان يعرف مكانهما من المنزل تماماً.

نظر المفتش إليه ثم تكلم بأسى قائلاً: إن لديه دليل غياب عن مسرح الجريمة.

- لقد اعتقدت دوماً بأن أدلة الغياب عن مسرح الجريمة أدلة مشكوك فيها تماماً.

- ربما كنت تتكلم ككاتب.

قال ريموند ويست وقد أربته الفكرة: أنا لا أكتب قصصاً بوليسية.

- من السهل القول إن أدلة الغياب عن مسرح الجريمة مشكوك فيها، ولكننا مضطرون إلى التعامل مع الحقائق مع الأسف.

ثم تنهد وقال: لدينا ثلاثة مشبوهين مرجّحين، ثلاثة أشخاص كانوا عندما وقعت الجريمة قريبين من مسرحها، لكن الغريب في الأمر أن أحداً من الثلاثة لم يفعلها! لقد شرحنا قبل قليل حالة مديرة المنزل، أما ابن الأخت، نات فليشر، فقد كان لحظة إصابة الأنسة

غرينشو على بعد ميلين يملاً سيارته بالوقود في إحدى المحطات ويستفسر عن الطريق. أما ألفريد بولوك فإن ستة أشخاص يقسمون أنه دخل مطعم «دوغ آند دك» في الثانية عشرة والثلاث وبقي هناك ساعة يتناول غداءه المعتاد خبزاً وجبناً وشايًا.

تدخل ريموند قائلاً بأمل: يقسمون متعمدين لقيموا الدليل على غيابه.

أجابه المفتش: لعلهم كذلك، ولكن إذا كان الأمر هكذا فقد أقام دليله بالفعل.

ساد صمت طويل، ثم أدار ريموند رأسه إلى حيث تجلس الأنسة ماربل تفكر وقال: بقيت المسألة عندك يا عمه جين، فالجميع هنا في حيرة من أمرهم بدءاً بالمفتش وانتهاء بأقلنا تجربة وخبرة، أما أنت فأحسب أن المسألة واضحة لديك كل الوضوح، أليس كذلك؟

- لا يمكنني قول هذا يا عزيزي، ليس كل الوضوح؛ فالقتل ليس لعبة يا عزيزي ريموند، ولا أحسب أن الأنسة غرينشو المسكينة كانت تريد الموت. بالإضافة إلى أن الجريمة كانت فظيعة تماماً، كانت جريمة تم التخطيط لها بعناية بالغة ونُفذت بأعصاب باردة، ولذلك فإنها ليست موضوعاً يمكن التندر به!

أخرجت ملاحظتها ريموند فقال: أنا آسف، فلست بالفظافة التي قد تكون ظهرت مني، ولكن المرء ربما تعامل مع المكاره بشيء من اللطف هرباً من الرعب الذي يكتنفها.

تدخلت جوان قائلة: على أي حال نحن جميعاً لم نعرف القتيلة بشكل جيد.

- هذا صحيح تماماً، فأنت لم تعرفها مطلقاً يا عزيزتي جوان، وكذلك أنا. وريموند لم يأخذ سوى انطباع بسيط من لقائه معها، أما لويزا فقد عرفتها ليومين فحسب.

هتف ريموند قائلاً: هيا يا عمتي، قولي لنا الآن رأيك في القضية. هل تمنع أيها المفتش؟
أجاب المفتش بأدب: لا، أبدأ.

قالت الأنسة ماربل: حسناً يا عزيزي، يبدو أن لدينا ثلاثة أشخاص كان لهم (أو يُظن أن لهم) دافعاً لقتل العجوز، ولدينا ثلاثة أسباب بسيطة تماماً لاستبعاد إقدام أي منهم على قتلها. فمديرة المنزل لم يكن بإمكانها أن تقتل العجوز لأنها كانت محجوزة في غرفتها، ولأن الأنسة غرينشو قالت تحديداً إن رجلاً رماها. البستاني لم يكن بوسعه أن يقتلها أيضاً لأنه كان في المطعم وقت ارتكاب الجريمة. وابن الأخت لم يكن بإمكانه أن يفعلها أيضاً لأنه كان ما يزال بعيداً بعض البعد في سيارته في ذلك الوقت.

علّق المفتش على عرضها للقضية بقوله: لقد صغبت المشكلة بشكل واضح يا سيدتي.

فمضت قائلة: وما دام من المستبعد تماماً أن يُقدم أي شخص غريب على قتل العجوز، فما هو الحل؟

أجاب ريموند بقوله: هذا ما نريد أن نعرفه.

فمضت الأنسة ماربل وفي صوتها نبرة اعتذار: غالباً ما ينظر المرء إلى الأشياء من الزاوية الخطأ. فإن كنا لا نستطيع تغيير تحركات هؤلاء الأشخاص الثلاثة ومواقعهم، أفلا نستطيع تغيير وقت الجريمة إذن؟

سألته لويزا: هل تعنين أن ساعة يدي والساعة الجدارية اتفقتا
كلتاها على عدم الدقة؟

- لا يا عزيزتي، لم أقصد ذلك مطلقاً. بل قصدت أن الجريمة
لم تقع في الوقت الذي اعتقدت أنها وقعت فيه.

صاحت لويزا قائلة: ولكنني رأيتها بأمر عيني.

- سأقول يا عزيزتي بأن ما كان يشغلني هو: هل كان القصد
أن تري أنت الجريمة؟ ولطالما تساءلت: هل كان ذلك هو السبب
الحقيقي لتوظيفك أصلاً؟

- ما الذي تقصدينه يا عمه جين؟

- يبدو الأمر غريباً؛ فالآنسة غرينشو لم تكن تحب صرف
الأموال، ومع ذلك فقد وظفتك وقبلت عن طيب خاطر بكل الشروط
التي وضعتها. يبدو لي أن وجودك ربما كان مقصوداً في تلك المكتبة
في الطابق الأول لتتظري من النافذة، وبذلك تكونين الشاهد الأول،
شاهداً خارجياً يحدد بثقة لا يهزها تأنيب الضمير مكاناً وزماناً محددين
للجريمة.

قالت لويزا والشك يملأ عقلها: ولكن لا أحسبك تقصدين أن
الآنسة غرينشو قد قصدت أن تُقتل!

- ما أقصده - يا عزيزتي - هو أنك لم تعرفي الآنسة غرينشو حقاً.
فلا يوجد سبب يؤكد أن الآنسة غرينشو التي رأيتها عندما ذهبت لاستلام
الوظيفة هي نفسها الآنسة غرينشو التي رآها ريموند قبل ذلك بأيام.

ثم قالت مستبقة جواب لويزا: آه، نعم، أعرف؛ ستقولين إنها

كانت ترتدي ذلك الثوب المميز، ثوبها المورّد القديم، وقبعة القش
الغريبة فوق شعرها الأشعث، وأنها تطابقت تماماً مع الوصف الذي
قدمه لنا ريموند في عطلة الأسبوع الماضي. ولكن هاتين المرأتين
كانتا متماثلتين في العمر والطول والحجم، وأعني بهما مديرة المنزل
والآنسة غرينشو.

تساءل ريموند قائلاً: ما الذي تقصدينه؟

- كنت أفكر يا عزيزي بأنه كان بإمكان امرأة واحدة أن تقوم
بتمثيل الدورين كليهما خلال الأيام الثلاثة التي عملت فيها لويزا
هناك. لقد قلت بنفسك - يا لويزا - إنك لم تري مديرة المنزل إلا نادراً
خلال تلك الدقيقة الصباحية التي كانت تحضر لك فيها صينية القهوة.
إننا كثيراً ما نرى بعض الممثلين الأذكى يدخلون المسرح بشخصيات
غير شخصياتهم الرئيسية لبضع دقائق لتقليص عدد الممثلين، وأنا
واثقة أن تغيير الشخصية كان يعطي تأثيره بسهولة تامة، فربما لم تكن
تسريحة الشعر التي كانت مديرة المنزل تبدو فيها كمركيبة إلا باروكة
شعر توضع وتنزع.

- عمتي جين! هل تعنين أن الآنسة غرينشو كانت ميتة قبل أن

أبدأ عملي هناك؟

- لم تكن ميتة، بل مخدّرة إذا صح ظني، وهو أمر هين جداً
على امرأة عديمة الضمير كمديرة المنزل التي صنعت ما صنعت،
ثم اتفقت معك على ترتيبات العمل وجعلتك تتصلين بابن الأخت
لدعوته إلى الغداء في وقت محدد. كان الشخص الوحيد القادر على
تمييز الآنسة غرينشو الحقيقية هو ألفريد، ولعلك تذكرين بأن الجو
كان ماطرأ في أول يومين من عملك هناك وأن الآنسة غرينشو ظلت

داخل البيت في حين لم يدخله ألفريد بسبب خلافه مع مديرة المنزل. وفي آخر يوم كان ألفريد في الممر بينما كانت الأنسة غرينشو تعمل في الكومة الصخرية الاصطناعية التي أود لو ألقى نظرة عليها.

- هل تقصدان أن السيدة كريسويل هي التي قتلت الأنسة غرينشو؟

- أظن أن تلك المرأة أحضرت لك القهوة ثم أقفلت عليك الباب وهي خارجة، ومن ثم حملت الأنسة غرينشو المخدرة إلى غرفة الاستقبال، ثم تنكرت وخرجت لتعمل على الكومة الصخرية حيث يمكن لك رؤيتها من النافذة. بعد ذلك صرخت وأنت مترنحة إلى المنزل ممسكة بما يبدو أنه سهم اخترق نحرها، وطلبت النجدة وحرصت أن تقول «رمانى» لتبعد الشبهة عن مديرة المنزل، كما أنها طلبت النجدة من اتجاه نافذة مديرة المنزل وكأنها تراها هناك. وما إن دخلت غرفة الاستقبال حتى قلبت طاولة عليها أوان خزفية وركضت مسرعة إلى الطابق الأول حيث ارتدت باروكة المركيزة، واستطاعت بعد لحظات قليلة أن تطل برأسها من النافذة وتخبرك أنها محجوزة في غرفتها هي الأخرى.

- ولكنها كانت محجوزة بالفعل.

- أعلم ذلك، وهنا يأتي دور الشرطي.

- أي شرطي؟

- تماماً، أي شرطي؟ لو سمحت أيتها المفتش، هل لك أن

تخبرني كيف ومتى وصلت إلى مسرح الجريمة؟

بدت الحيرة على وجه المفتش وأجابها قائلاً: تلقينا في الثانية عشرة

وتسع وعشرين دقيقة مكالمة من السيدة كريسويل مديرة منزل الأنسة غرينشو تقول فيها إن سيدتها قد أصيبت بسهم، فانطلقنا أنا والرقيب كايلى مباشرة بسيارتنا ووصلنا المنزل في الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة، فوجدنا الأنسة غرينشو ميتة والسيدتين محجوزتين في غرفتيهما.

قالت الأنسة ماريل مخاطبة لويزا: وهكذا ترين يا عزيزتي أن الشرطي الذي رأيته لم يكن شرطياً حقيقياً. إنك لم تفكري فيه مرة أخرى، فلا أحد يتذكر ذلك بل يقبل المرء بدلة رسمية أخرى فقط.

- ولكن من؟ ولماذا؟

جواباً على كلمة من أقول: إذا كانت المسرحية التي يمثلونها الآن هي «قبة لسندريلا» فإن الشخصية الرئيسية فيها هي شخصية الشرطي، فلم يكن على نات فليتشر إلا أن يأخذ بدلة الشرطي (التي يرتديها على المسرح) ثم يسأل في المحطة عن الطريق متعمداً لفت الانتباه إلى الوقت، حيث كانت الساعة الثانية عشرة وخمساً وعشرين دقيقة، ثم يسوق سيارته بسرعة فيتركها في إحدى الزوايا ويرتدي بدلة الشرطي ويقوم بدوره.

- ولكن لماذا، لماذا؟

- كان يجب على أحد ما أن يقفل الباب على مديرة المنزل من الخارج، وكان على أحد ما أن يغرز السهم في نحر الأنسة غرينشو، إذ يمكنك طعن امرئ بالسهم طعنًا ويكون كما لو أنك رميته، ولكنه يحتاج إلى بعض القوة.

- هل تعين أنهما مشتركان في الجرم؟

- نعم، أعتقد ذلك، وأحسبهما أمًا وابنتها على الأغلب.

- ولكن أخت الأنسة غرينشو ماتت منذ زمن بعيداً!

- نعم، ولكنني لا أشك في أن السيد فليتش قد تزوج ثانية، فهو يبدو من ذلك النوع من الرجال الذين يتزوجون ثانية، وأظن أن الطفل مات أيضاً وأن ذلك المدعو «ابن الأخت» ما هو إلا ابن الزوجة الثانية وليس قريباً للأنسة غرينشو بناتاً. لقد حصلت المرأة على عمل مديرة المنزل ودرست موقع الجريمة، ثم كتب الشاب رسالة إلى «خالته» مقترحاً القيام بزيارة لها، وربما كان قد أشار مداعباً إلى القدوم بزي شرطي أو طلب منها أن تذهب لمشاهدة المسرحية... ولكن لعلها شكّت في الأمر فرفضت مقابلته. ولو أنها ماتت دون كتابة وصية لأصبح وريثها الشرعي، ولكن بما أنها كتبت وصيتها لمصلحة مديرة المنزل (كما اعتقدا) فقد كانت المشكلة محلولة.

- ولكن لماذا استخدمنا السهم؟ إنها فكرة غريبة!

- ليست غريبة أبداً يا عزيزي؛ فقد كان ألفريد متممياً إلى نادٍ لرمية السهام، وكان المطلوب أن يُتَهم هو بالقضية. وقد كان وجوده في المطعم منذ الثانية عشرة والثلاث من سوء حظهما؛ كان معتاداً على الانصراف من عمله لتناول الغداء مبكراً قليلاً عن مواعده، وقد أتى انصرافه مناسباً تماماً.

ثم هزت رأسها بالنفي وأضافت: يبدو الأمر خطأ من الناحية الأخلاقية، أعني أن يكون كسل ألفريد سبباً في إنقاذ حياته.

تنحني المفتش وقال: حسناً يا سيدتي، إن اقتراحاتك هذه مثيرة تماماً، ولكن عليّ أن أتحرى بالطبع.

* * *

- ٤ -

وقفت الأنسة ماربل وريموند ويست قرب الكومة الصخرية الاصطناعية ونظرا إلى السلة التي توضع فيها الأعشاب الضارة المقتلعة. تحممت الأنسة ماربل: أزهار الألوسن، وعشبة كاسر الحجر، وشقائق النعمان، والجريس... نعم، هذا كل ما أحجاجة من دليل؛ فالتى كانت تعشّب هنا صباح أمس لم تكن بستانية، إذ اقتلعت النباتات المزروعة الصالحة والأعشاب الضارة على السواء، لذلك أعرف الآن أنني كنت على حق. شكراً يا عزيزي ريموند لإحضاري إلى هنا، فقد أردت رؤية المكان بنفسي.

نظر الاثنان إلى المبنى الضخم المسمى «حماقة غرينشو»، ثم سُمع صوت سعدة جعلهما يلتفتان. كان هناك شاب وسيم ينظر أيضاً إلى البيت، قال: بيت ضخم جداً، أكبر مما يحتاجه المرء هذه الأيام. لا أدري، ولكن لو قُدّر لي أن أربح بطاقة يانصيب وأكسب منها أموالاً كثيرة فما كنت لأبني إلا بيتاً كهذا.

نظر إليهما ألفريد بولوك بابتسامة نحلى وقال: أستطيع الآن أن أقول إن جدي العظيم قد بنى هذا البيت، وهو بيت رائع. أقول ذلك لكل من يسميه «حماقة غرينشو»!

* * *

لا تنسونا من صالح دعائكم